المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى - مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مركز الدراسات العليا الإسلامية المسائية

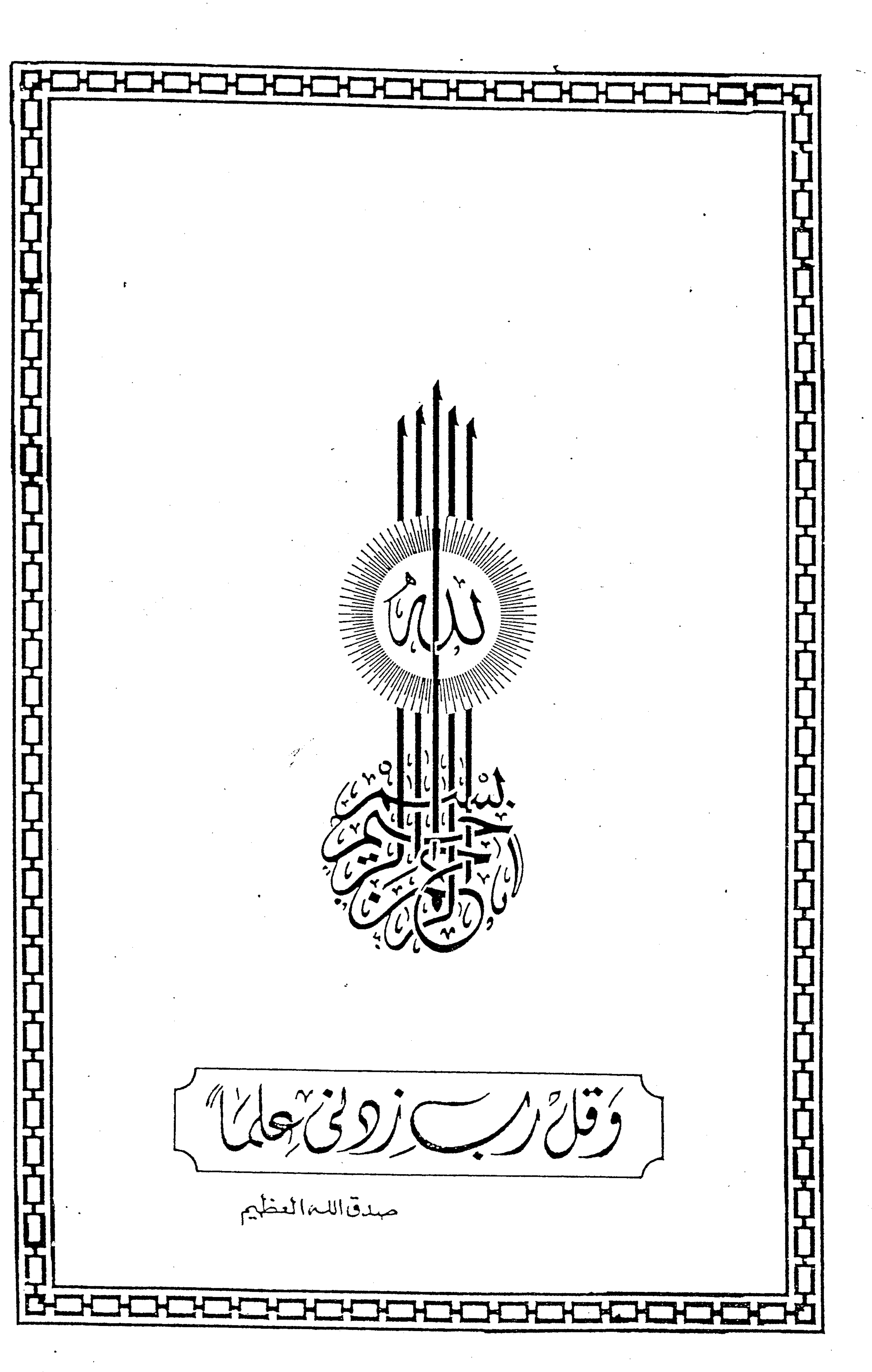
# القلب ووظائفه في الكتاب والسنة



إعداد الطالب
سلمان زيد سلمان اليماني

إشراف الأستاذ الدكتور
فاروق أحمد الدسوقي

بحث مقدم إلى مركز الدراسات العليا المسائيه
في
كلية الشريعه والدراسات الإسلاميه بجامعة أم القرى بمكه المكرمه
كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية
عام ١٤١٠ هـ


الله
بسم الله الرحمن الرحيم
وقل رب زدني علما
صدق الله العظيم

## ملخص موضوع الرسالة ، وعنوانها : " القلب ووظائفه في الكتاب والسنه "

إن ادراك الإنسان لذاته مطلب بشرى قديم لم يصل اليه المفكرون عبر تاريخ الفكر وأولى الناس بالوصول اليه هم المسلمون الذين خصهم الله بالقرآن الكريم الذى يتضمن مئات الآيات عن البشر ، بنى آدم ، الانس ، الانسان ، ذاته واحواله وصفاته وأفعاله واهدافه ومصيره ، ويفصل القرآن الكريم الكلام عن الذات الإنسانيه في عشرات بل مئات الآيات الكريمه عن القلب والفؤاد واللب والعقل والصدر ، كلها أوعيه للمعرفة ، وبها حياة الذات الانسانيه المتصاعدة في مراتب متساميه ، وكذلك تصيب القلب امراض تتسفل بصاحبه في دركات المعاصى والنفاق والشرك حتى الموت .

فأحوال القلب هى احوال الذات الإنسانيه المتغيره ، والقلب في نفس الوقت هو مصدر هذه الأحوال اذ هو محل الاراده ومركز الفقه وجهاز تلقى المعرفه الأول عند الانسان ومن ثم عالج الباب الأول تعريف القلب وتم اظهار الفروق اللغوية بينه وبين الألفاظ المقاربة له كالفؤاد واللب والعقل والصدر وخصائص كل منها .

وعرض الباب الثاني لمراحل حياة القلوب بدءاً بالقلب الفطرى متدرجاً في مراتب الاحسان من بداية القلب السليم ثم الخشوع فالتقوى والطمأنينه فالسكينه حتى الغين على القلب والتى اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اما الباب الثالث فقد تدرج البحث فيه حتى اول امراض القلب ابتداءً من الآثام التى تؤدى الى صغو القلب ثم تسفل صاحبه في دركات المعاصى حتى تنقله الى مراحل الموت .

اما الباب الرابع فقد استمر في بيان مراحل موت القلب من بدايه لهوه حتى الختم عليه بعد ان تغطيه الذنوب فيكون من الغافلين والعياذ بالله .

وفي الباب الخامس تم اظهار الفوارق بين العقل والفكر والنظر وبيان مقر التعقل ومن هو العاقل وكيف يترقى الفهم في الإنسان .

كما اوضح الباب السادس المعارف الغير مباشرة للقلب والمباشرة له كالرؤيا والخاطر والإلهام والتحديث وما يترتب على ذلك من مخاطبة ومكاشفه ثم الفراسة وكلام الله لانبيائه ثم قول السلف في العلم اللدنى مع تقيد كل معرفة بالكتاب والسنة .

والمحصلة النهائية للبحث ان كنه الذات الإنسانيه وحقيقتها تكمن في القلب ولا سبيل لمعرفة الانسان ذاتاً ونفساً وروحاً وكائناً حياً متميزاً عن سائر الأحياء بدون معرفة القلب ووظائفه .

وارجو ان يكون هذا البحث بداية طريق معرفة النفس الإنسانيه في الكتاب والسنه . والله الموفق .

| الطالب | المشرف | عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية |
|---|---|---|
| سلمان زيد سلمان اليمانى | الدكتور فاروق احمد الدسوقى | الدكتور سليمان وائل التويجرى |

# مقدمة

الحمدلله الذي كتب الإيمان وزينه في قلوب اوليائه وجعل فيها الرآفة والرحمة على عباده المطلع على تقلب قلوبهم والعليم بأختلاف أحوالهم الممتحن للقلوب بالتقوى المطهر لها من الشرك وادرانه احمده جلت عظمته كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه واشكره على عظيم رحمته وسعة أفضاله ، وأستعين به وأتوكل عليه والتوكل من نعمائه وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه شرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره .

**(اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون . اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم )** (١)

اما بعد :

فإن من أشرف مخلوقات الله تعالى وأعجبها هو مالم يظهر للحس بل هو من عالم الغيب ، وإن كان قائماً بمحل محسوس وجسد ملموس إلاوهي الروح والنفس واللب والفؤآد والقلب مضافاً إليها العقل إتصالاً لاإستقلالاً ، هذه الأنوار الإلهيه التي تشرق على عالم الحس فتعطيه المدد النفيس وتمنح الإنسان غذاءه وضياءه الذي به يفرق بين الحقائق والأباطيل وبين الثوابت والأوهام إنما يتلقاها أول مايتلقاها في النفس الإنسانيه القلب ولما كان الإنسان مغرماً بمعرفة مايجهل وخاصة علوم ماوراء المادة وطرق الكثيرمن العلماء أبوابها إماعن طريق الشمول أو عن طريق تحليـــل جزئية في إطار النظريات الفلسفيه ســـواء كانت فلسفة قديمة

---

١ ـ صحيح مسلم : الإمام مسلم القشيري ، ترقيم محمد فوآد عبدالباقي ، طبعة دار احياء التراث العربي ، كتاب صلاة المسافرين ، باب ( ٢٦ ) [ ١ : ٥٣٤ ] .

متمثله فيالفلسفة اليونانيه والبوذية أو كانت فلسفة حديثه ومعاصرة أو حتى فيما يسمى بالفلسفة الإسلامية .

ولا أعلم بالتحديد متى بدأ شغفي بالبحث عن غير المنظور ، فمن الصغر كنا نسمع عن الجن والملائكة ، ثم أرتقيت سناً وأرتقت الأفكار إلى العقل والروح والنفس والفوآد واللب والقلب وغيره .

أمور يتحير فيها الإنسان ولايجد لها جواباً إن سأل أباه قال له قولاً غير شافٍ ، وإن سأل معلمه إحاله إلى كتب كثيرة ، وإن عاد إلى الكتب فسيقع في متاهات ومعان فلسفيه يخرج منها كما دخل .

ولما سهل الله لي دراسة الماجستير تقابلت بقدرة الله مع سعادة الدكتور فاروق الدسوقي في منزل أحد الأفاضل وتحدثت معه في هذه الأمور وعرضت عليه فكرة الدراسة التكميليه للماجستير بعنوان النفس والقلب والعقل فوضح لي المتاهات التي سأقع فيها بسبب تشعب الموضوع .

فكل بحث من هذه المسائل هو قضية اختصم فيها الناس وجادلوا فيها وجاءوا على ذلك بما عندهم من حجة وما لديهم من دليل دون أن يجتمعوا فيها على رأي الامانذر ، فالموضوعات الغيبيه متعدده وللناس فيها مشارب فكل يدلي بقدر معرفته وبمقدار ماحباه الله من تعقل ، وفضل لي أن أبحث أحداها . وفي أي أبحث؟ الروح ؟

فاذا بالحق يخاطب عباده " قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا " [ الإسراء : ٨٥ ] .

العقل ؟

تطرق له علماء الصوفيه كالحارث المحاسبي <١> ، والحكيم الترمذي <٢> .

القلب ؟

هذا هو الباب الذي لم يفتح كما ينبغي .

أختلط بالنفس ، أمراض النفوس هي أمراض القلوب في كثير من البحوث والعكس أيضاً صحيح لديهم .

العقل هو القلب أو كلاهما مغاير للآخر ؟ تجد الموافق وتجد المخالف هل القلب المعنوي هو نفسه المضخه الموجودة في باطن القفص الصدري من الإنسان ؟

نجد الإجابات متعدده ، نعم ، ولا ، والثالث يلقي على المجاز كل لفظه وردت عن القلب .

من المسئول القلب أم العقل ؟

من الذي يبصر ؟

اين مقر الإيمان ؟ واين مقر النفاق ؟

كيف يعمي القلب ؟ وكيف يطبع عليه ؟

أمور متعدده الجوانب تجعل الموضوع ذا أهميه لحياة الإنسان الذي كرمه خالقه الكريم في أعلا صور التكريم ،"لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم " [التين: ٤ ] وهبه سر المعرفة بمايميزه عن المخلوقات من علم وفهم .

---

١ ـ الحارث بن أسد المحاسبي باحث صوفي توفى عام ٢٤٣هـ ، الاعلام ٢/١٥٣ .

٢ ـ محمد بن على بن الحسن بن بشر : الحكيم الترمذي ، باحث صوفي ، ت ٣٢٠هـ ، الأعلام ٦/٢٧٢ .

وهبه الإراده المستقله من تميز وإدراك ليتم رسالته على هذه الأرض فيعمرها عن طريق الإيمان بالله ومايوجبه من العمل الصالح .

الإنسان الذي يريد الرقي في شعب الإيمان لايتم له ذلك إلا برقي قلبه في مراحل حياته .

والإنسان الحائر لا يعود إلى الجاده إلا إذا رجع قلبه ، ولايسير في درب الهداية إلا إذا غمره الإيمان .

وحلت في الكتب وهي اليفى وسميري فشعرت بالتيه بين ثناياها فعدت إلى المنبع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التمس منهما النور الذي ينير لي الطريق .

وطلبت موجهاً من الجامعة يوجهني في عمل الخطة ويشاء الله أن يكون الموجه هو الدكتور فاروق الدسوقي واستبشرت خيراً .

وتقدمت بالخطة وإذا بالموجه يصبح مشرفاً من غير حول مني ولاقوة .

ولاأزكي على الله أحداً منحني الجم من علمه والكثير من وقته ، وأحببت بحثي والمحب يضحي بالغالي والنفيس فكثيراً ماكنت أسمع آذان الفجر مثل ماسمعت نداء العشاء وخاصة ليالي الأجازات .

جمعت من القرآن الكريم كل آيه تمس القلب فهو رفيقي من النشاءه فلا يصعب تكراره ، وعدت إليه ثانيا وثالثا ويشهد الله على ذلك حتى أطمأننت إلى ما جمعت ، وعدت إلى السنة النبوية فقرأت الصحيحين بالتفصيل وما عداهما رجوعا إلى المعاجم والفهارس واستخرجت ما من الله به على فهى بحر ذو شعب .

وبين المفسرين وشراح الحديث وعلماء اللغه والأصول مجال واسع ومتاهات للباحث وكلما تحيرت صليت ودعوت .

وطرق السابقون للقلب اجمالا وصدر تفصيل من بعضهم كأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي في كتابه ( بيان الفرق بين الصدر القلب والفؤاد واللب ) وعلى صغر حجم الكتاب بعد تحقيقه ، فقد ذكر فيه رحمه الله الفوارق وبين أن كلا منها مغاير للآخر مختص بصفات تميزه عن غيره وقد أفادني كثيرا في بحثي .

كما وان الإمام شمس الدين بن قيم الجوزيه في كتابه ( إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ) قد تطرق إلى أمراض القلوب أو بالأصح أثر الذنوب على القلب وعلامات ذلك وعلاجه .

ومن ذلك أيضا الأمام أبو حامد الغزالي شرح عجائب القلب في إحياء علوم الدين وفرق بينه وبين النفس وركز على افاته وما يمرضه أو يميته . وإن كان اخذ بكلام المتكلمين والفلاسفه واتجه إلى طريق التصوف .

ومن المعاصرين طرق هذا الباب الدكتور محمد علي الجوزو في كتابه ( مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة ) ‹١› وكان للعقل النصيب الأوفى في كتابه واحتل القلب أقل نصيب من بحثه فقد أجمل مراحل حياة القلب فى بصيرته كما أجمل مراحل المرض والموت في صفات المنافقين فلم ينل القلب من بحثه من العناية والتوسع ما أعطاه للعقل من كتابه ولكن المعرفة موزعه بين البشر ليعم الخير الجميع وقد يصل إلى بعض الحقيقه متأخر قام على لبنة الأوائل ولا حلاوة للبحث إلا بهذا وما استمرار الحياة الا بماضيها .

وحاولت جمع ما فرقه السابقون وتوضيح ما أبهم وتفصيل ما أجمل وأن ورد جديد ففتح من الله فالقرآن ينبوع يروى وارده والسنه صنو له والكل شفاء ورد بأفصح عباره على أصدق أمه ، وأنوار الوحي تلج القلب المستأنس به .

---

١ ـ مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة ، د . الشيخ محمد علي الجوزو ، ط ١٩٨٣/٢م ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .

وقسمت بحثي بين أبواب وفصول ومباحث ، وحوى الباب الأول وعنوانه القلب والألفاظ المقاربة له معانى القلب وأطلاقاته وتحديد تعريف له يزيل اللبس ويوضح المراد من هذه اللطيفة الربانيه ، ووردت ألفاظ مرادفه له فما الفرق بين هذه المترادفات وأى الروابط تحويها وما هي صفاتها المتفقه مع القلب والمستقله بذاتها كالفؤاد واللب والعقل و،الصدر والورع والخلد والحنان .

وبدأ الباب الثاني الذي عنوانه ( مراحل حياة القلوب ) سيرا مع الفطرة فى نموها أو أنحدارها ومع أنوار لا إله إلا الله زيادة ترتقي ونقصانا أو انعدما يكون للشيطان مدخل اليها مع تبين الفارق بين الاسلام والأيمان ومقر كل منهما واستطرد في تدرج رقي القلب في درجات الإحسان من بداية القلب السليم حتى العين عليه مرورا بالخشوع ثم التقوى فالحنت والأنابه ثم السكينه من بداية الطمأنينه حتي أعلى رقيها .

وحوى الباب الثالث وعنوانه ( القلب المريض ) نقيض الصحه والمانع من إتمام الوظيفه المرادة من القلب وكلها رذائل خلقيه تمنع زيادة النور فيه من النكته السوداء حتى انتكاسه وكلها تدور في دائرة الأثام سواء كان صغوا أو زيغا وكل أثم ينقل إلى درك أدنى غلظة كان أو قسوة عن تكبر أو نفاق سلوك وفي مبحث النفاق تم التفريق بين السلوك والعقيدة وأيها المؤثر في زيادة المرض وكذلك الكفر الذي لايخرج عن الملة الدائر فى دائرة السلوك الجاهلى كالطعن في النسب والنياحة على الميت وغير ذلك كما أوضحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سننه والسبب عائد إلى أثر الذنوب على القلب .

وفى مراحل موت القلب وهو (الباب الرابع) تحدثت عن نفى الحياة عن القلب مع سلامه البنيه سواء كان نفي نموا أوحاسة أو عقل بتدرج مؤدى إلى نقض الحياة عنه مطلقا فى ختام الختم عليه دائر بين الضلال والكفر على أوسع المهاوى والدركات وأوضحت حكمة عدم تصريح القرآن بموت القلب مع تعدد معانيه وأنواعه

إذ تبداء المراحل من لهوه واستهزائه الذى يعمره فينكر الحق إنكار جهل فأشمئزاز ثم كن وريب إلى أن يتم التقطيع فيتغلف بركام الذنوب ويشربها فيصرف عن الحق بعد سلوك الكفر فيه فيحال بينه وبين الإيمان إذا أصابه طمس الإدراك التام النابع عن الغوايه واللجاجه فى الباطل فينتهى به إلى الران فالطبع ثم الختم الذى تترتب عليه الغفله فلم يعد متسع للهداية .

ثم تتطرقت لاعراض القلوب التي قد تجتمع في قلب واحد أو تظهر أعراضا يشترك فيها المعنوي والحسي من رعب وجزع وخوف مع ذكر الفوارق بينها ، ومن التشابه القسوة والوجوف والحميه والوهن وما شاكل ذلك من أعراض يقذفها أو يجعلها الله في القلوب .

ومسك الختام الباب الأخير (القلب والمعرفة) تحدثت عن معرفة القلب وتحديد التعقل وأهميته لتقوم به الحجه على من جحد مع توضيح الفارق بينه وبين الفهم ومراتب الناس في التعقل وتدرج المعرفة المحصلة إلى المنهج الصحيح المقتضي لمدلول لا إله الا الله المرتقى في مراتب الإيمان عن طريق تعقل القلب بزيادة القصد من أبواب الخير والهدى وأسباب السعادة والنجاة مع ذكر شروط كمال المعرفه في العلم والعمل .

ثم تتبعت أقسام المعرفة المباشرة للقلب إبتداء من الرؤيا والخاطر والإلهام فالتحديث والفراسة والوحى مع توضيح بقدر المستطا ع لكل منها .

وكلها معاناة متعددة ذات مراحل متغايرة ومن مراحل المعاناة ما كان بين المكتبات والمراجع قد تجمع العشرة ومطلوبك فى أحداها أو فى غيرها فتعود كما بدأت ، وإذ بك فى ثنايا الفكرة وينتهي دوام المكتبه وما حصلت شيئا ، وباطلاعك تستجليك مكتبات مدن أخر تقرب أو تبعد عن مدينتك وحبك لمزيد المعرفة فتح من الله لك وجود الله لا يجد ، وإذا بالموضوع يتسع فكل نقطه تكون جدولا ومجموعها

يم ، ولا بد من جمع المعلومات والإيجاز بغير إخلال ، وسرت على منهج موضح في التصدير والفضل بعد الله لمشرفي والنفس تطمع في المزيد والوقت ليس ملكي إنما أنا مطالب ومتابع ، فإن وفقت فمن الله وذاك مطلبي ، وإن أخطأت فهذا قصار جهدي فقد أبي الله أن يتم الا كتابه ، داعيا الله بدعاء كليمه عليه الصلاة والسلام " رب أشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني ، يفقهوا قولي" [طه : آيه ٢٥ ، ٢٨ ] .

سلمان زيد سلمان اليماني

غرة العام الهجرى/١٤١٠هـ

# التصدير

# تصدير

## منهج البحث :

ينبغى لمن اراد بحث علم ان يعود الى مبدأ ذلك العلم ،وكذلك من أراد البحث في كتاب الله أن يعود الى لغة القرآن يستنبئها في يسر وسهولة عن معنى اللفظ المراد بحثه ، فالقرآن الكريم هو أساس الإسلام وينبوعه الأول ، وإذا كان القرآن المجيد كتاب عقيدة تخرج منها شريعة يقوم عليها نظام الحياة ، فأنه في الوقت نفسه كتاب اللغة الأول كما قال تعالى : " كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون " [ فصلت :آيه ٣ ] فهذا القرآن نزل بلسان عربى مبين .

ومن ناحية أخري كتاب الله شفاء لما في الصدور " قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور " [ يونس :آيه٥٧ ]ولا يمكن ان نستنبط منه طرق الشفاء والوقاية لما في الصدور الا بإرجاع اللفظ الى أصله العربى وقد تعرض كتاب الله تعالى فى كثير من آياته لما يحي قلوب المؤمنين ويشفى صدورهم وعالج القلب مما يعلق به كما عالج النفس مما يشينها حتى يكون المسلم صالحا لتلقى أوامر الله التي تجعله يسيطر بروحه على بدنه ، ويسمو بنفسه فوق حسه، ويحسن الوفاق بين قلبه ولبه ، فإذا هو سليم القلب لديه من نور البصيرة مايجعله موطن الرحمة الربانية في دنياه والنعمة الباقية في أخراه إذ لا ينجو يوم القيامة الا من أتى الله بقلب سليم .

وليس القرآن هو المصدر الوحيد لدين الله ، ذلك ان الله عزوجل أوحى الى نبيه الكريم بوحى آخر غير القرآن ،هو السنة النبوية الشريفة فهى كالقرآن سواء بسواء من حيثِ الأصل فهما مصدرا الإسلام لا يختلف في ذاك مؤمنان .

ويقدم لنا القرآن الحقائق الكونية والأحكام ، سواء كانت خلقية أو عملية وكذلك السنة فهى مبينه لهذه الأحكام ، والباحث في نصوص الوحى بحاجة الى أسس يتبعها ليخرج بعد البحث بمعنى حقيقى متكامل وشامل لما استفسر عنه ، فهناك قواعد اساسية لكل باحث في كتاب الله ، وقواعد اخري تفرضها طبيعة البحث ، ومن أهم القواعد الأساسية :

**أولا** : إخلاص النية وابتغاء الحق وهو أمر نفسى لا يطلع عليه الا الله ولا يصفو هذا المقصد الا برقى القلب في شعب الإيمان ، فاذا التجأ الباحث الى الحق تبارك وتعالى يطلب منه ابتغاء معرفة الحق وحده سيهديه الله ويعلمه خاصة اذا تقرب اليه بكثرة النوافل ،وهذا دأب سلفنا الصالح رحمهم الله وعلى سبيل المثال قال الإمام محمد بن إسماعيل البخارى صاحب الصحيح (خرجت كتاب الصحيح من زهاء ستمائه الف حديث في ست عشرة سنة ، وما وضعت فيه حديثا الا اغتسلت وصليت ركعتين ) ‹١› .

فهذا السلوك الخلقى مع الخالق لابد أن يثمر في قلب الانسان حياة راقيه تدفعه الى مواصلة البحث في القرآن الكريم والسنة المشرفة اللذين بهما تحيا القلوب وتشفى مما يصيبها من وصب الدنيا و جدير بمن كانت نيته خالصة لله تعالى ان ينفع المسلمين بما يتوصل من نتائج .

**ثانيا** : النظر في القرآن جملة واحدة فالقرآن يفسر بعضه بعضا فعلى سبيل المثال إذا أردنا أن نعرف القلب المتقى فلا ننظر للفظة فى آية واحدة أو عدد منها إنما الرجوع لكامل مواطن المادة في القرآن ، وبقدر الإستطاعة في السنة ، والرجوع للمفسرين والمحدثين فسنخرج بمعنى حقيقى للتقوى ومرتبتها

---

١ ـ صحيح البخارى : ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى " ت : ٢٥٦هـ " الطبعة السلطانية ١٣١١هـ عن النسخة اليونينية :تصوير عالم الكتاب :المقدمة : ٨ .

بالنسبة لمراتب حياة القلب وكيفية نموها في الإنسان ، ومتى يكتسبها العبد، ومتى تكون هبة من الله تبارك وتعالى وماهى العلامات الظاهرة في الإنسان المتصف بهذه الصفة وتأثيرها على حياة الفرد والمجتمع في العبادات والمعاملات والاحكام الشرعية ، فنستطيع ان نجمع بحثامتكاملاعن التقوى .

فهى عملية إحصاء شامل لا تغفل فيه آية واحدة <١> .

**ثالثا** : الرجوع الى لسان القرآن فالقرآن نزل بلسان عربى " وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين " [ الشعراء :آيه١٩٢ - ١٩٥ ] فكل عبارة أو اسم في اللغة العربيه يوجب اختلاف المعنى ولابد وإن كان بينهما تقارب الا أن هناك فوارق تظهر للباحث .

قال ابو هلال العسكرى<٢> ( الشاهد على أن إختلاف العبارات والاسماء يوجب إختلاف المعانى ان الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة وإذا أشير الى الشىء مرة واحدة فعرف فالإشارة اليه ثانية وثالثة غير مفيد ، وواضع اللغة حكيم لايأتى فيها بما لايفيد ، فإن أشير منه في الثانى والثالث الى خلاف ما اشير اليه في الأول كان ذلك صوابا ، فهذا يدل أن كل إسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الاعيان في لغة واحدة فإن كل واحد منهما يقتضى خلاف مايقتضيه الآخر وإلا لكان الثانى فضلا لايحتاج اليه ، والى هذا ذهب المحققون .

---

١ ـ ذكر الدكتور فاروق الدسوقي في الجزء الأول من كتابه القضاء والقدر في الإسلام ، قواعد منهجية للباحث عن الحقيقه في القرآن والسنة ، حرى بالباحث أن يطلع عليها وفيه توسع في شرح هاتين القاعدتين .

٢ ـ ابو هلال العسكرى : الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى عالم بالأدب ، توفى ٣٩٥هـ ، الاعلام ١٩٦/٢.

وقال : جميع ماجاء في القرآن وعن العرب من لفظين جاريين مجرى ماذكرناه من العقل واللب والمعرفة والعلم والكسب والجرح والعمل والفعل معطوفا أحدهما على الآخر فانما جاز هذا فيها لما بينهما من الفرق فى المعنى ولولا ذلك لم يجز عطف زيد على أبى عبد الله اذا كان هو هو )<١> .

**رابعا** :عدم العدول باللفظ من الحقيقة الى المجاز وخاصة فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله . فالله تبارك وتعالى انزل الكتاب شفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين

فمعانيه أشرف المعانى والفاظة أفصح الألفاظ وأبينها وأعظمها .

فاذا وردت صفة فى القرآن الكريم أو السنة المشرفة ولا نجد دليلا على نقل هذه الصفه عن موضوعها فى اللغة فلا يصح حملها على غير الحقيقة لأن الله تعالى قال : " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم " [ ابراهيم : آيه٤ ] فكل خطاب خاطبنا الله تعالى به أو رسوله صلى الله عليه وسلم فهو على موضوعه فى اللغة إلا اللهم إن وجد نص أو إجماع علماء على ان هذه الصفة قد نقلها الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم عن موضوعها الى معنى آخر خاصة ونحن نجد ان العلماء اختلفوا فى اصل وقوع المجاز فى اللغة .

---

١ ـ الفروق اللغوية :صفحه [ ١١ -١٢ ] ابى هلا العسكرى ، تحقيق حسام الدين القدسى ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، عام ١٤٠١هـ .

قال ابو الحسن الآمدى <١> ( اختلف الأصوليون فى اشتمال اللغة على الاسماء المجازية : فنفاه الإستاذ ابو اسحاق <٢> - يعنى أبا إسحاق الاسفرائينى - ومن تابعه واثبته الباقون وهو الحق ) <٣> .

وقد رد عليه شيخ الاسلام بن تيمية <٤> بقوله ( إن اراد بالباقين من الأصولين كل من تكلم فى اصول الفقه من السلف والخلف فليس الأمر كذلك - الى ان قال - فمعلوم ان أول من عرف انه جرد الكلام فى اصول الفقه هو الشافعى وهو لم يقسم الكلام الى حقيقه ومجاز بل لا يعرف فى كلامه مع كثرة استدلاله وتوسعه ومعرفته الأدلة الشرعيه انه سمى شيئا منه مجاز ولا ذكر فى شىء من كتبه ذلك لا فى الرسالة ولا فى غيرها .

وحينئذ فمن اعتقد ان المجتهدين المشهورين وغيرهم من أئمة الاسلام وعلماء السلف قسموا الكلام الى حقيقة ومجاز كما فعله طائفة من المتأخرين : كان ذلك من جهله وقلة معرفته بكلام أئمة الدين وسلف المسلمين ) <٥> .

وقد فصّل رحمه الله فى الفتاوى ادلة المثبت والنافي ورد على القائلين بالمجاز وعلى سبيل المثال انقل رده على قول الآمدى رحمه الله ( كيف وان أهل الاعصار لم تزل تتناقل فى اقوالها وكتبها عن اهل الوضع تسمية هذا حقيقه ، وهذا مجاز ) <٦> .

---

١ ـ ابو الحسن الأمدى : على بن محمد بن سالم التغلبى ، ابو الحسن سيف الدين الآمدى - اصولى باحث ، توفى سنه ٦٣١هـ ، الاعلام ٣٣٢/٤ .

٢ ـ محمد بن محمد بن احمد تاج الدين الاسفراينى عالم بالنحوت ٦٨٤هـ الاعلام ٣١/٧.

٣ ـ الإحكام فى اصول الأحكام : سيف الدين على بن محمد الآمدى - دار الكتب العلميه - بيروت ، ١٤٠٠هـ .الجزء[١ : ٦١ ] المسألة الثانيه .

٤ ـ احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرانى = شيخ الاسلام ، توفى سنه ٧٢٨هـ ، الإعلام ١ / ١٤٤

٥ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيميه : جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد النجدي ، طبع بإشراف الرئاسه العامه لشئون الحرمين [ ٢٠ : ٤٠٠ ـ ٤٠٤ ] .

٦ ـ الأحكام [ ١ : ٦٢ ] .

فقال : هذا مما يعلم بطلانه قطعيا ، فلم ينقل أحد قط عن أهل الوضع أنهم قالوا : هذا حقيقه وهذا مجاز ، وهذا معلوم بالإضطرار أن هذا لم يقع من أهل الوضع ، ولا نقله عنهم أحد ممن نقل لغتهم ، بل ولا ذكر هذا أحد عن الصحابه الذين فسروا القرآن وبينوا معانيه وما يدل في كل موضع ، فليس منهم أحد قال : هذا اللفظ حقيقه وهذا مجاز ، ولا ما يشبه ذلك ، لا ابن مسعود وأصحابه ولا ابن عباس واصحابة . ولا زيد بن ثابت وأصحابة ، ولا من بعدهم ، ولا مجاهد <١> ولا سعيد بن جبير <٢> ، ولا عكرمة <٣> ، ولا الضحاك <٤> ، ولا طاوس <٥> ، ولا السدى<٦> ، ولا قتادة <٧> ولا غير هؤلاء ولا أحد من أئمة الفقه كالأئمة الأربعة وغيرهم ولا الثورى <٨> ولا الاوزاعى <٩> ولا الليث بن سعد <١٠> ، ولا غيره ، وانما وجد فى كلام احمد بن حنبل لكن بمعنى آخر كما انه وجد فى كلام أبى عبيده معمر بن المثنى<١١> بمعنى آخر .

---

١ ـ مجاهد بن جبر ابو الحجاج المكى المخزومى من الطبقة الثالثة من التابعين ، توفى سنه ١٠١هـ السيوطى / طبقات الحفاظ : ٤٢ .

٢ ـ سعيد بن جبير بن هشام : ابو محمد ، تابعى مفسر كوفى روى عن ابن عباس ، توفى سنه ٩٤هـ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤ / ١١ .

٣ ـ عكرمه مولى ابن عباس ابو عبد الله المدنى امام فى التفسير ، توفى عام ١٠٥هـ طبقات الحفاظ / ٤٣

٤ ـ الضحاك بن مزاحم البلخى الخرسانى/مفسر،ت :١٠٥هـ ،الاعلام ٣/٢١٥.

٥ ـ طاووس بن كيسان اليمانى ابو عبد الرحمن الحميرى من كبار التابعين ، توفى ١٠٦هـ طبقات الحفاظ/٤١ .

٦ ـ اسماعيل بن عبد الرحمن السدى ، تابعى سكن الكوفه ، ت : ١٢٨هـ ، النجوم الزهراه ١ / ٣٠٨ .

٧ ـ قتادة بن دعامة السدوسى البصرى ، احد الاعلام روى عن أنس ، ت ١٠٦هـ ، طبقات الحفاظ / ٤١.

٨ ـ الثورى : سفيان بن سعيد بن مسروق ، ت ١٦١هـ ،الاعلام ٣/١٠٤ .

٩ ـ الأوزاعى : عبد الرحمن بن عمر بن يحمد ، ت ١٥٧هـ ، الاعلام ٣ / ٣٢٠.

١٠ ـ الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى ، ت ١٧٥هـ ، الاعلام ٥ / ٢٤٨ .

١١ ـ ابو عبيده معمر بن المثنى التميمى البصرى ، ت ٢٠٩هـ ، الاعلام ٧ / ٢٧٢ .

ولم يوجد ايضا تفسير الكلام الى حقيقة ومجاز فى كلام أئمة النحو واللغة كأبى عمرو بن العلاء <١> ، وأبى عمرو الشيبانى <٢> ، وابى زيد <٣> ، والأصمعى <٤> ، والخليل <٥> ، وسيبوية <٦> ، والكسائى <٧> ، والفراء <٨> ، ولا يعلمه أحد من هؤلاء عن العرب ) <٩> .

وقد سار على هذا المنوال تلميذه ابن القيم <١٠> وذكر فى الصواعق المرسلة ردود كثيرة بعنوان ( ذكر الطواغيت الأربع التى هدم بها اصحاب التأويل الباطل معاقل الدين .

الطاغوت الثانى : قولهم إن آيات الصفات مجازات لا حقيقة لها) <١١> .

وفى الفصل التاسع فى وظائف المتأول قال رحمه الله ( لما كان الأصل فى الكلام هو الحقيقه والظاهر كان العدول به عن حقيقته وظاهره مخرجا له عن الأصل فأحتاج مدعى ذلك الي دليل يسوغ إخراجه عن أصله فعليه أربعة أمور لاتتم له دعواه الا بها - اذكرها باختصار -

---

١ ـ ابو عمر بن العلاء : زبان بن عمار التميمى المازنى البصرى ، ت ١٥٤هـ ، الاعلام ٤١/٣ .

٢ ـ ابو عمرو الشيبانى : اسحاق بن مرار / لغوى ، ت ٢١٥هـ ، الاعلام ١٨١/٣.

٣ ـ ابو زيد : سعيد بن أوس الانصارى ، ت ٢١٥هـ ، الاعلام ٩٢/٣.

٤ ـ الاصمعى عبد الملك بن قريب - ابو سعيد ، ت ٢١٦هـ ، الاعلام ٤ / ١٦٢.

٥ ـ الخليل بن احمد الفراهيدى ، ت ١٧٠هـ ، الاعلام ٢ / ٣١٤.

٦ ـ سيبويه : عمر بن عثمان بن قنبر امام /النحو ، ت ١٧٩هـ ، انباه الرواة ٣٤٦/٢.

٧ ـ الكسائى : على بن حمزه ، ت ١٨٩هـ ، ارشاد المبتدى صفحه ١٥٠ .

٨ ـ الفراء يحى بن زياد النحوى ، ت ٢٠٧هـ ، الاعلام ١٤٥/٨ .

٩ ـ مجموع الفتاوى [ ٢٠: ٤٥١ - ٤٥٢ ] .

١٠ـ شمس الدين محمد بن ابى بكر المعروف بابن قيم الجوزيه ، توفى ٧٥١هـ/ مقدمة الصواعق المرسله

١١ـ الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة :شمس الدين محمد ابى بكر بن قيم الجوزية - تحقيق الدكتور على بن محمد الدخيل الله - دار العاصمة - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ [ ٢ : ٦٣٢ فما بعدا ] .

الأمر الأول : بيان احتمال الفظ للمعنى الذى تأوله فى ذلك التركيب الذى وقع فيه والا كان كذبا على اللغة منشئا وضعا من عنده فان اللفظ قد لا يحتمل ذلك المعنى لغة .....

الأمر الثانى : ويبين تعين ذلك المعنى ثانيا فإنه اذا اخرج عن حقيقته قد يكون له معان فتعين ذلك المعنى يحتاج الى دليل .

الأمر الثالث : إقامة الدليل الصارف للفظ عن حقيقته وظاهره ، فإن دليل المدعى للحقيقه والظاهر قائم فلا يجوز العدول عنه الا بدليل صارف يكون أقوى منه

الأمر الرابع : الجواب عن المعارَض فإن مدعى الحقيقه قد أقام الدليل العقلى والسمعى على ارادة الحقيقه <١>.

وقد حقق ذلك الشيخ محمد الأمين الشنقيطى <٢> فى كتاب بعنوان :

( منع جواز المجاز فى المنزل للتعبد والاعجاز )<٣> فقال فيه : ( والذى ندين الله به ويلزم قبوله كل منصف محقق أنه لا يجوز إطلاق المجاز فى القرآن مطلقا على كلا القولين .

اما على القول بأنه لا مجاز فى اللغة اصلا وهو الحق . فعدم المجاز فى القرآن واضح .

---

١ ـ الصواعق المرسله [١ : ٢٨٨ – ٢٩٣ ].

٢ ـ محمد الأمين محمد المختار الشنقيطى صاحب اضواا البيان ، ت ١٣٩٣هـ ترجمتة فى آخر اضواء البيان.

٣ ـ منع جواز المجاز فى المنزل للتعبد والاعجاز – محمد الأمين الشنقيطى ، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ .

واما على القول بوقوع المجاز فى اللغة العربية فلا يجوز القول به فى القرآن ) <١> وقد رتب كتابه رحمة الله على مقدمة وأربعة فصول وخاتمه ، ففى المقدمة ذكر الخلاف فى وقوع المجاز فى اصل اللغة وانه لا يجوز فى القرآن على كلا القولين .

وفى الفصل الأول بين أنه لا يلزم من جواز الشىء فى اللغة جوازه فى القرآن وذكر أمثلة لذلك .

وفى الفصل الثانى أجاب عن آيات زعموا أنها من المجاز نحو قوله تعالى "جدارا يريد أن ينقض ... " الآية [ سورة الكهف :الآيه ٧٧ ] .

وفى الفصل الثالث اجاب عن إشكالات تتعلق بنفى المجاز ونفى بعض الحقائق ويشتمل على أمور لها تعلق بالموضوع .

وفى الفصل الرابع حقق المقام فى آيات الصفات مع نفى المجاز عنها .

وذكر فى الخاتمه وجه مناظرة النافى لبعض الصفات بالطرق الجدليه .

والمهم أن موضوع المجاز فى القرآن يحتاج الى دراسه دقيقة فبعض كتب التفاسير أكثرت من المجاز وعلى سبيل المثال ابو القاسم الزمخشرى <٢> رحمه الله صاحب الكشاف قسم كل أحوال القلوب من قبيل المجاز فقال فى تفسير قوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم " [ البقرة : آيه٧] .

---

١ ـ منع المجاز : ٨ .

٢ ـ ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشرى – معتزلي ، صاحب الكشاف ، توفى ٣٨٠هـ ، سير اعلام النبلاء ١٥١/٢٠ .

( " فإن قلت " ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشيه الأبصار . قلت " لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وإنما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل ..) <١> .

فلو حملنا اشمئزاز القلب واكنانه وريبه وتقطيعه وإشرابه وما يصاب به من العمى والرآن والطبع ثم الختم عليه وهى كلها أعلى من أن تكون مرضاً أو قل مرضا متقدما وهى مراحل موت القلب وحملناها على المجاز وأنه لاثم شيء من ذلك وهى كلها احوال قلوب يخبرنا الله بها فما هى الفائدة التى نجنيها من ذكرها فى القرآن ؟ .

وكذلك فسر قوله تعالى: " فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون " [ البقرة : آيه ١٠ ] .

فقال عفا الله عنه ( واستعمال المرض فى القلب يجوز ان يكون حقيقه ومجازا . فالحقيقة أن يراد الألم كما تقول فى جوفه مرض ، والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الإعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصى والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفه شبيهة بالمرض ، كما استعيرت الصحة والسلامة فى نقائض ذلك والمراد هنا ما فى قلوبهم من سوالإعتقاد والكفر أو من الغل والحسد والبغضاء لأن صدورهم كانت تغلى على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنين غلا وحنقا .. ) <٢> .

فهنا نجده حدد المرض بالعلم المشاهد الذى تعرفه الأطباء أما امراض القلوب من الإثم والصغو والزيغ والغل والغيظ وغيرها كثير يظهر فى

---

١ – الكشاف [ ١ : ٢٦ ] ابو القاسم جار الله محمود الزمخشرى – دار المعرفة – بيروت .

٢ – الكشاف [ ١ : ٣٢ ] .

ثنايا البحث فأعتبرها من قبيل المجاز . ثم هو رحمه الله لم يفرق بين أمراض النفس وامراض القلب وكأنها شيء واحد ، وكأني به يرى حديث النكتة السوداء الوارد في حديث ابى هريرة . رضى الله عنه - ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( **إذا اذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء فإذا تاب صقل منها فإن عاد زادت حتى تعظم في قلبه فذلك الران** .. الحديث ) <١> .

وايضا ما ورد في حديث حذيفه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (**ان الفتن تعرض على القلوب حتى يعود القلب أسود مربادا كالكوز مُجَخِّيا** )<٢>

كأني به يحمل هذه الألفاظ على المجاز وكأن القلب مجرد مضغه لا يتأثر بشيء من هذه الواردات ، والأخذ بهذه المعاني يحرمنا كثيرا من جواهر القرآن ودرره ولو تتبعنا تفسيره لوجدنا هذا منواله وإن كان تفسيره بلغ الغاية في البيان والكشف عن أسرار القرآن فهو إمام في النحو واللغة والبيان إلا أنه سار في تفسير الأحوال على مذهب الاعتزال .

وتتبع من قال بالمجاز في كتاب الله يخرجنا عن المقصود اذ الهدف توضيح مبداء سير البحث وتوضيح قواعدة .

خامسا : عدم الإعتماد في تفسير كلام الله وتوضيح سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - على اقوال غير المسلمين . لأن البحث في كتاب الله عبادة والعباده تسبقها نية الاخلاص لله تعالى وطلب العون منه وتوكلا عليه فيلهم الله المسلم الصواب على قدر إيمانه فإن وصل الى مرتبه التقوى مثلا منح من العلم ما يستحقه أهل هذه المرتبه كما قال تعالى: " واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم" [ البقر : آيه ٢٨٢ ] .

---

١ - المستدرك على الصحيحين في الحديث : ابى عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى ، دار الفكر ، بيروت كتاب الايمان [١ : ٥ ] وقال حديث صحيح .

٢ - يأتى نصه وتخريجه في باب امراض القلوب . ص ١١٧ .

وكلما ارتقى القلب فتح الله عليه علما لم يكن يعلمه من قبل فالموحى اليه يعلم اكثر من المحدث والمحدث يعلم اكثر من الملهم والملهم يعلم اكثر من غيره .

فعلى الباحث ان يسأل أهل لا إله الا الله عن معانى كتاب الله وسنة رسوله " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " [النحل : آيه ٤٣] ، [الانبياء :آيه ٧]

قال ابن عباس : أهل الذكر أهل القرآن <١> . وقال ابن زيد <٢> اراد بالذكر القرآن أى فإسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن .

قال جابر الجعفى <٣> : لما نزلت هذه الأيه قال على رضى الله عنه نحن أهل الذكر ، وقال سفيان <٤> هم أهل التوراة والانجيل الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم <٥> .

فلابد أن يؤخذ معنى كلام الله عن المسلم العالم العدل الثقة الثبت فأنوار الوحى لا تلج القلب المظلم أما الأمور المادية القائمة على التجربه فهي للخلق عامه لا مانع من الإستئناس بقول من بحثها أو اكتشفها ، أما درر المعانى فلا تكون فى قلب عاص مطبوع على قلبه " وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون " [التوبه : آيه ٩٣ ] .

---

١ ـ أ ـ الجامع لاحكام القرآن " تفسير القرطبى " محمد بن احمد الانصارى ، طبعه دار احياء التراث العربى [١٠٨:١٠] .

ب ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم ، والسبع المثانى : شهاب الدين السيد محمود الألوسى ، طبعه ادارة الطباعة المنيريه [١٢ : ١٥٠ ].

٢ ـ ابن زيد : احمد بن محمد بن احمد بن زيد من علماء الحنابلة ، توفى ٨٧٠، الاعلام ٢٣٠/١٢ .

٣ ـ جابر بن يزيد بن الحارث الجعفى تابعى من فقهاء الشيعه ، ت :١٢٨هـ ، الاعلام ١٠٥/٢.

٤ ـ سفيان ابن عيينه بن ابى عمران : محدث الحرم المكى ثقه ، توفى ١٩٨هـ ، تهذيب التهذيب ١١٧/٤ .

٥ ـ تفسير القرطبى [ ١١ : ٢٧٢ ].

فمن تكدر قلبه بالظلمات والشهوات لابد ان تحجب عنه انوار العلوم لأن القلوب كالأوانى مادامت مملوءة بالماء لايدخلها الهواء والقلب المشغول بغير الله لا تدخله المعرفة بجلال الله [1] .

---

١ ـ سيأتى تفصيل ذلك فى القلب والمعرفة . ص ٢٣٦ .

# موضوعات البحث الرئيسيه

## الباب الأول

القلب والألفاظ المقاربة له

## الباب الثاني

مراحل حياة القلوب

## الباب الثالث

القلب المريض

## الباب الرابع

مراحل موت القلب

## الباب الخامس

القلب والمشاعر والإراده

## الباب السادس

القلب والمعرفة

# الباب الأول

# القلب والألفاظ المقاربه له

## الفصل الأول : تعريف القلب

## الفصل الثاني : الألفاظ المقاربة للقلب

# الفصل الأول

# تعريف القلب

المبحث الأول : معاني القلب في اللغة العربية

المبحث الثاني : معاني القلب في القرآن الكريم

## المبحث الأول : معاني القلب في اللغة العربية

القاف واللام والباء أصلان صحيحان .

أحدهما يدل على خالص الشيء وشريفه .

والآخر قلب الإنسان وغيره سمى به لأنه أخلص شيء فيه وأرفعه .

وخالص كل شيء وأشرفه قلبه <١> .

{ والقلب : تحويل الشيء عن وجهه ... وقلَّب الأمور : بحثها ونظر في عواقبها ... وفي التنزيل العزيز " وقلبوا لك الأمور " [ التوبة : آيه ٤٨ ] .

وتقلب في الأمور وفي البلاد : تصرف فيها كيف شاء . وفي التنزيل العزيز " فلا يغررك تقلبهم في البلاد " [ غافر : آيه ٤ ] معناه : فلا يغررك سلامتهم في تصرفهم فيها ، فإن عاقبة أمرهم الهلاك .

ورجل قُلَّب : يتقلب كيف شاء .

وقوله تعالى : " تتقلب فيه القلوب والأبصار " [ النور : آيه ٣٧ ] .

قال الزجاح معناه : ترجف وتخف من الجزع والخوف .

والمنقلب : مصير العباد الى الآخره " وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " [الشعراء : آيه ٢٢٧ ] .

والقلب : مضغة من الفؤآد معلقة بالنياط <٢> .. وقوله تعالى " نزل به الروح الأمين على قلبك " [الشعراء : آيه ١٩٤ ] .

قال الزجاج <٣> : معناه نزل به جبريل ، عليه السلام ، عليك فوعاه قلبك ... قال الفراء في قوله تعالى :" إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب " [ق : آيه ٣٧] أي عقل .

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٥ : ١٧ ] أحمد بن فارس بن زكريا = تحقيق عبدالسلام هارون ، طبعة دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ .

٢ ـ النياط : عرق علق به القلب من الوتين فإذا قطع مات صاحبه / لسان العرب ٧ : ٤١٨ .

٣ ـ الزجاج = إبراهيم بن السري بن سهل أبو اسحاق الزجاج نحوي ، توفى ٣١١ هـ ، انباء الرواة ، ١٥٩/١ .

وقال : وجائز في العربيه ان تقول : ... وما قلبك معك ... ما عقلك معك ..
وقال بعضهم : سمى القلب قلباً لتقلبه ، وانشد :

ما سمى القلب الامن تقلبه * والرأى يصرف بالانسان أطوارا

وروى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه قال :( **لا ومقلب القلوب** ) . ‹١›

وقال الله تعالى " وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ " [ الانعام : آيه ١١٠ ] ‹٢› .

## ويطلق القلب على معنيين :

احدهما : امر حسى ملموس جسمانى مشاهد وخير من يعرفه لنا ذوى الاختصاص في العلوم الطبيه بعامه وعلم وظائف الاعضاء بخاصه فقالوا :

هو عضو عضلى مجوف موضوع في باطن التجويف الصدري الأيسر شكله مخروطي غير منتظم قاعدته الى أعلى وقمته الى أسفل ، والذى لا يزيد في وظيفته عن مضخه تضخ الدم الى انحاء الجسم ( رغم الاهمية القصوي لهذه المضخة ) ‹٣› .

ولقد استطاع الامام ابو حامد الغزالى ‹٤› أن يعبر بكل وضوح عن هذين المعنيين فقال ( لفظ القلب يطلق لمعنيين :

احدهما : اللحم الصنوبري الشكل المودوع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود هو منبع الروح ومعدنه .

---

١ ـ صحيح الإمام البخارى كتاب التوحيد : باب : ١١ ..

٢ ـ لسان العرب ، [ ١ : ٦٨٥ ] ابي الفضل جمال الدين بن مكرم ، دار صادر بيروت ، مادة " قلب " .

٣ ـ دائرة معارف القرن العشرين ، [ ٧ : ٩٠٩ ] محمد فريد وجدي ، دار الفكر ، بيروت ، .

كتاب المعرفة ، جسم الإنسان [ ٦٨ ] ، شركة إنماء النشر والتسويق ، بيروت عام ١٩٨٧م .

الموسوعة العلمية الحديثة ، الجسم البشري [ ٥ : ١٠١ ] ، ميتشل ولسن ، الأهلية للنشر ، بيروت .

قاموس القلب الطبي [ ١٥ ] ، محمد رفعت ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ط أول ١٤٠٥هـ .

٤ ـ محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، ت ٥٠٥ هـ الاعلام ، ٢٢/٧ .

ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الاغراض الدينيه ، وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ، ونحن اذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب ( أى كتاب إحياء علوم الدين ) لم نعن به ذلك ، فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهاده إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلاً عن الآدميين .

والمعنى الثانى : هو لطيفه ربانيه روحانيه لها بهذا القلب الجسمانى تعلق ، وتلك اللطيفه هى حقيقة الانسان ، وهو المدرك العالم العارف من الانسان ، وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ، ولها علاقة مع القلب الجسمانى .. وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته ، فإن تعلقه به يضاهى تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للآلة بالآله ) <١> .

ونكاد نرى شبه إجماع بين العلماء على هذا التعريف <٢> .

وقال الجرجاني <٣> : ( اللطيفه هى كل إشاره دقيقه المعنى تلوح للفهم لا تسعها العباره كعلوم الأذواق ) <٤> .

---

١ ـ إحياء علوم الدين [ ٣ : ١٣٥٠ ] ابو حامد الغزالي ، طبعة مصورة عن طبعة لجنة نشر الثقافة ١٣٥٦هـ.

٢ ـ التبيان في اقسام القرآن[ ١٤ ] ، شمس الدين محمد بن ابي بكر ابن القيم الجوزيه ، تصحيح محمد حامد فقي ، دار المعرفة ، بيروت .

التعريفات [ ١٧٨ ]، الشريف علي بن محمد الجرجاني ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

اتحاف السادة المتقين [٧ : ٢٠٢ ]، بشرح احياء علوم الدين ، السيد محمد الحسيني الزبيدي ، طبعة دار الفكر .غرائب القرآن ورغائب الفرقان[ ١ : ١٥٩ ] ، نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري ، تحقيق إبراهيم عطوه ، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .

٣ ـ علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني ، من كبار العلماء بالعربية ، توفي ٨١٦هـ ، الإعلام ٥/٧ .

٤ ـ التعريفات : ١٩٢ .

## المبحث الثانى : معانى القلب في القرآن الكريم :<*>

ذكر العلماء أن القلب في القرآن الكريم على ثلاثه أوجه :

الأول : بمعنى العقل .

ومنه قوله تعالى "إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب " [ ق : آيه ٣٧ ] أي عقل يتدبر به فكنيّ بالقلب عن العقل لانه موضعه . <١>

الثانى : بمعنى الرأى والتدبير .

ومنه قوله تعالى " تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى " [الحشر : آيه ١٤ ] .

أى تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف لا تستوى قلوبهم ولا يتعاونون بنيات مجتمعه لأن الله ناصر حزبه وخاذل اعدائه من اليهود والمنافقين <٢> .

الثالث : بمعنى حقيقة القلب الذى في الصدر بعينه .

ومنه قوله تعالى " فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور" [ الحج : آيه ٤٦ ] .

---

١ ـ تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير ، اسماعيل بن كثير القرشي ، [ ٤ : ٢٢٩ ] ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، وكذلك تفسير القرطبي ، [ ١٧ : ٢٣ ] .

٢ ـ الكشاف [ ٤ : ٨٣ ] ، زاد المسير في علم التفسير [ ٨ : ٢١٨ ] ، الإمام ابي الفرج عبدالرحمن الجوزي القرشي ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

(*) لم أجد بعد البحث ـ على قدر جهدى ـ أوجها متعددة للقلب فى السنة النبوية مثلما تطرقت كتب الوجوه والنظائر للمادة فى القرآن الكريم .

أي أن الآفة ببصائر قلوبهم لا بأبصار عيونهم وهى الآفة التى كل آفة دونها .

وتكاد تتفق كتب الاشباه والنظائر على هذه الأوجه الثلاث <١> .

---

١ ـ بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز [ ٤ : ٢٨٩ ] مجد الدين محمد يعقوب الفيروز أبادي ، تحقيق محمد علي النجار = المكتبة العلمية ، بيروت .

نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر[ ٤٨٣ ] = جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي ، دراسة وتحقيق محمد عبدالكريم كاظم الراضي ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ، مؤسسة الرسالة .

اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم[ ٣٨٨ ] ، الحسين بن محمد الدامغاني ، تحقيق عبدالعزيز السيد الأهدل ، دار العلم ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٧م .

# الفصل الثاني

# الألفاظ المقاربه للقلب

المبحث الأول : الفؤاد وعلاقته بالقلب .

المبحث الثاني : اللب ومعانيه في اللغة والوحي .

المبحث الثالث : العقل ومعانيه في اللغة والوحي .

المبحث الرابع : الصدر ومعانيه في اللغة والوحي .

# المبحث الأول
## ( الفؤآد وعلاقته بالقلب )

ومن الألفاظ المقاربة للقلب : الفؤآد .

والفـاء والألف والدال أصل صحيح يدل على حمى وشدة حرارة من ذلك فأدت اللحم : شويته .

ومما هو من قياس الباب : الفؤآد سمى بذلك لحرارته . <١>

ومن ثم يقال للقلب الفؤآد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد أى التوقد . <٢>

وفي قول آخر أن أصل الفأد الحركة والتحريك ومنه أشتق الفؤآد لانه ينبض ويتحرك كثيراً ، ورجحه الزبيدي <٣> عن الفيروز أبادي <٤> .

وقال هذا أظهر لعدم تخلفه ومرادفته للقلب . <٥>

( والفؤآد : القلب ، وقيل وسطه ، وقيل الفؤآد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه ) <٦> .

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة ، [ ٤ : ٤٦٩ ] .

٢ ـ المفردات في غريب القرآن [ ٣٨٦ ] ، ابي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ،

٣ ـ الزبيدي = محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرزاق الزبيدي الملقب بمرتضى ، علامه باللغة والحديث ، توفى ١٢٠٥ هـ ، الاعلام ٧/٧٠ .

٤ ـ الفيروز ابادي = محمد بن يعقوب بن محمد مجد الدين الفيوز ابادى ، من أئمة اللغة والأدب ، توفى ٨١٧ هـ ، الأعلام ، ٧/١٤٦ .

٥ ـ تاج العروس ، من جواهر القاموس [ ٢ : ٤٤٨ ] محب الدين أبي الفيض محمد مرتضى الزبيدي ، دار الفكر للطباعة والنشر .

٦ ـ لسان العرب [ ٣ : ٣٢٩ ] .

## الفؤآد في القرآن الكريم :

ذكر الله تبارك وتعالى الفؤاد في القرآن الكريم في ستة عشرة موضعاً .

في مثل قوله تعالى " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون " [ النحل : آيه ٧٨ ] .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآيه (والأفئدة وهى العقول التى مركزها القلب على الصحيح وقيل الدماغ،والعقل به يميز بين الاشياء ضارها ونافعها) .<١>

كما ذكر الفؤآد في قوله تعالى : " وهو الذى انشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون " [ المؤمنون : آيه ٧٨ ] .

ويقال نشأ ينشأ : اذا ربا وشب ومنه نشأ السحاب إذا ارتفع وبدا . <٢>

( فالله يذكر عباده بنعمه عليهم بأن جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة وهى العقول والفهوم التى يذكرون بها الاشياء ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله وأنه الفاعل المختار لما يشاء ) <٣> .

### وقد أتصف الفؤآد بصفات مغايرة للقلب منها :

الفراغ كما في قوله تعالى :" وأصبح فؤآد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدى به " [ القصص : آيه ١٠ ] .

والفراغ : الخلاء أى خالياً من الصبر ، وتفريغ الظروف إخلاؤها <١>

( فالحق تبارك وتعالى يخبر عن فؤآد أم موسى حين ذهب ولدها في البحر

---

١ ـ تفسير ابن كثير [ ٢ : ٥٧٩ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ١ : ١٧٣ ] .

٣ ـ تفسير ابن كثير [ ٣ : ٢٥٢ ] .

٤ ـ لسان العرب [ ٨ : ٤٤٥ ] .

أنه أصبح فارغاً أى من كل شى من امور الدنيا إلا من موسى . قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمه وسعيد بن جبير ، والضحاك ، والحسن البصري <١> وقتاده وغيرهم ). <٢>

## كما اختص الفؤآد بالرؤي .

قال تعالى :" فأوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤآد ما رأى " [ النجم : آيه ١٠ ، ١١ ] .

( أى اتفق فؤآد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورؤيته على الوحى الذى أوحاه الله اليه وتواطأ عليه سمعه وبصره وقلبه ، وهذا دليل على كمال الوحى الذى اوحاه الله اليه وأنه تلقاه منه تلقياً لا شك فيه ولا شبهه ولا ريب فلم يكذب فؤآده ما رأى بصره ولم يشك في ذلك .

ويحتمل ان المراد بذلك : ما رأى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليله أسرى به من آيات الله العظيمه وأنه تيقنه حقاً بقلبه ورؤيته ، وهذا هو الصحيح في تأويل الآيه الكريمة ) <٣> .

## واتصف الفؤآد بالتثبت .

كما قال تعالى :" وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكري للمؤمنين " [ هود : آيه ١٢٠ ] .

( أي ونقص عليك من انباء الرسل الأشياء التى نثبت بها فؤادك قال ابن عباس : نثبت نسكن وقال الضحاك : نشد ، وقال ابن جريج <٤> : نقوي ) <٥> .

---

١ ـ الحسن بن ابي الحسن يسار البصري مولي زيد بن ثابت ، توفى سنة ١١٠ هـ ، طبقات الحفاظ ، ٣٥

٢ ـ تفسير ابن كثير [ ٣ : ٣٨١ ] .

٣ ـ" تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق محمد زهري النجاري ، إدارة البحوث ، ١٤٠٤ هـ .

٤ ـ ابن جريج = عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج ، فقيه الحرم المكي ، توفى ١٥٠هـ ، الاعلام ٤/١٦٠ .

٥ ـ تفسير البحر المحيط [ ٥ : ٢٧٤ ] محمد بن يوسف أبي حيان الأندلس ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .

وعموم المعانى لا تخلو من الطمأنينه ففيها تطيب لقلب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

واتصف بالخلو والهواء .

قال تعالى : " مهطعين مقنعي رؤسهم لايرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء " [ ابراهيم : آيه ٤٣ ] . أى لا تغني شيئاً من شده الخوف <١> والهواء كل فرجه بين شيئين كما بين أسفل البيت الى اعلاه وأسفل البئر الى اعلاها . ويقال هوى صدره يهوي اذا خلا ؛ والهواء : الجبان لأنه لا قلب له . <٢>

واتصف الفؤآد بالصغو .

قال تعالى:" ولتصغي اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة " [ الانعام : آيه ١١٣ ] .

والصغو الميل صغا اليه يصغى : أى مال ، وصغا الرجل إذا مال على أحد شقيه ، وأصغى اليه رأسه : أماله . <٣>

وقد اشترك مع القلب في هذه الصفه كما في قوله تعالى : " إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما " [ التحريم : آيه ٤ ] .

فلكل من القلب والفؤآد إختيار وميل .

واتصف بالتقليب .

كما في قوله تعالى : " ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة " [ الانعام : آيه ١١٠ ] أى نصرفها من رأى الى رأى .

والتقليب كما يكون للفؤآد فهو حالة من حالات القلب والبصر ايضاً كما في قوله تعالى : " يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار " [ النور : آيه ٣٧ ] .

---

١ ـ تفسير القرطبي [ ٩ : ٣٧٧ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ١٥ : ٣٧٠ ] .

٣ ـ لسان العرب [ ١٦ : ٤٦١ ] ، بصائر ذوي التميز [ ٣ : ٤١٦ ] ، المفردات [ ٢٨٢ ] .

كما اتصف الفؤآد بالهوى والميل .

قال تعالى :" فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم " [إبراهيم : آيه ٣٧ ]

( أى تنزع ، يقال : هوى نحوه اذا مال ، وهوت الناقه تهوى هوياً فهى هاويه اذا عدت عدواً شديداً كأنها في هواء بئر : وقوله تعالى :" تهوى اليهم" مأخوذ منه . <١>

والفؤآد لا قيمة له ولا فائدة منه لمن لا يتعظ كما في قوله تعالى :" فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء " [ الأحقاف : آيه ٢٦ ] فاشترك مع القلب في الصغو والتقليب وانفرد ببقيه الخصائص والأحوال .

ونسبت اليه الرؤية والاصغاء والفراغ ، وفعل الله في الفؤآد التثبيت والميل والتقليب .

## الفؤآد في السنه المشرفة :

ورد في مسند احمد من حديث على بن ابى طالب ـ رضى الله ـ عنه قال : **( بعثني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قاضياً الى اليمن .. فذكر الحديث وفيه قال له رسول الله إن الله مثبت قلبك وهاد فؤآدك )** <٢> .

وتثبيت الله للقلب انفردت به السنه وهى موضحة للقرآن ، بينما القرآن ذكر التثبيت كفعل من أفعال الله في الفؤآد ، من ذلك قوله تعالى : " وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤآدك " [ هود : آيه ١٢٠ ] .

ومثلها هداية الفؤاد وردت في السنه فعلاً من افعال الله للفؤآد بينما في القرآن وردت الهداية للقلب كما في قوله تعالى:" ما اصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه " [ التغابن : آيه ١١ ] .

---

١ ـ تفسير القرطبي [ ٩ : ٣٧٣ ] .

٢ ـ مسند أحمد = المسند [ ١ : ١٤٩ ]: الأمام أحمد بن محمد بن حنبل المطبعة الميمنية بمصر ، القاهرة ١٣١٣ هـ . وسنن ابى داود ـ كتاب القضاء ، حديث ٣٥٨٢ واخرجه الترمذى مختصراً وقال حديث حسن ( عون المعبود ٩ : ٥٠٠ ) .

والسنه المشرفة ميزت بين حالات القلب وحالات الفؤاد ففى الحديث الصحيح عن ابى هريرة - رضى الله - عنه قال : سمعت النبى - صلى الله عليه وسلم - يقول ( **جاء اهل اليمن هم أرق أفئدة وأضعف قلوباً - وفي روايه - الين قلوباً وأرق افئدة** )‹١› .

والرقة : ضد القسوة والشدة .

واللين : بمعنى السكون والوقار والخشوع . ‹٢›

وكل هذه المعاني من أعمال القلوب فدل ذلك ان الفؤاد وأن كان مغايراً للقلب الا انه جزء منه إختص ببعض الأحوال .

فالقلب كالوعاء كما في حديث عبدالله بن عمرو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

قال : **القلوب أوعية بعضها أوعى من بعض** .. الحديث . ‹٣›

( ومثل الفؤاد في القلب كمثل الحدقه في سواد العين وكمثل المسجد الحرام في داخل مكه وكمثل المخدع والخزانه في البيت وكمثل الفتيله في موضعها وسط القنديل وكمثل اللب في داخل اللوز وهذا الفؤاد موضع المعرفة وموضع الخواطر وموضع الرؤية وكلما يستفيد الرجل يستفيد فؤاده اولاً ثم القلب ، والفؤاد في وسط القلب كما ان القلب في وسط الصدر مثل اللؤلؤه في الصدف ) ‹٤› .

---

١ - صحيح مسلم [ ١ : ٧٣ ] كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه .

٢ - النهاية في غريب الحديث والأثر مادة رق (٢ : ٢٥٢ ) ، مادة لين ( ٤ : ٢٨٦ ) . : الإمام مجد الدين أبي السعادات ابن الأثير ، تحقيق طاهر الزواوي ، ومحمود الطناحي ، دار الفكر ، بيروت .

٣ - مسند أحمد [ ٢ : ١٧٧ ] . واسناده حسن / مجمع الزوائد ١٠ : ١٥١ .

٤ - بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب [ ٣٨ ] ، أبو عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي ، تحقيق د/ نقو لاهير ، مكتبة الكليات الأزهرية ، الأزهر ، القاهرة ، صفحة [ ٣٨ ] .

## المبحث الثانى :اللب ومعانيه في اللغة والوحى .

اللام والباء : اصل صحيح يدل على لزوم وثبات وعلى خلوص وجودة .

فالأول : الب بالمكان اذا أقام به .

والمعنى الآخر : اللُّب معروف من كل شيء وهو خالصه وما ينتقي منه ولذلك سمى العقل لباً ، ورجل لبيب ، وخالص كل شيء لبابه <١> و لب الرجل ما جعل في قلبه من العقل . <٢>

ورد ايضاً أن اللب هو العقل <٣> وبه قال النووى <٤> أن المراد كمال العقل .<٥>

---

١ ـ مقاييس اللغة [ ٥ : ٢٠٠ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ١ : ٧٢٩ ] .

٣ ـ القاموس المحيط [١٧٠ ] ، مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق مكتبة التراث ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، مؤسسة الرسالة صفحة ، تاج العروس [ ٤٦٤/١ ] .

٤ ـ النووي = يحي بن شرف بن مري الحزامي النووي محي الدين ، علامة بالفقه والحديث ، توفى ٦٧٦هـ ، الاعلام ١٤٩/٨ .

٥ ـ صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الإيمان [ ٢ : ٦٦ ] .

وقال ابن حجر ‹١› اللُّب أخص من العقل وهو الخالص منه ‹٢› وسمى اللب لباً لانه خلاصة الانسان أو لانه لا يسمى بذلك الا اذا خلص من الهوى وشوائب الأوهام فهو خالص ما في الانسان من معانيه كاللُّباب واللُّب من الشيء . ‹٣›

وقيل ما زكى من العقل . فكل لب عقل وليس كل عقل لباً .

## اللب في القرآن الكريم :

ذكرت هذه المادة ستة عشر مرة في القرآن الكريم وقد بين تعالى صفة المستحقيق لهذا التتويج .

قال تعالى :" إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار " [ آل عمران : آيه ١٩٠ ، ١٩١ ] .

ففي الآية حث العباد على التفكر في السموات والأرض والتبصر بآياتها وتدبر خالقها لأن فيها من الآيات العجيبه ما يبهر الناظرين ويقنع المتفكرين ويجذب أفئدة الصادقين وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الآلهيه وخص أولوا الألباب وهم : أهل العقول لأنهم هم المنتفعون بها الناظرون اليها بعقولهم لا بأبصارهم . ‹٤›

وفي مثل قوله تعالى :" أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكرأولوا الألباب . الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق " [الرعد : آيه ١٩ ، ٢٠ ] .

---

١ ـ ابن حجر = أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، من أئمة العلم ، ت ٨٥٢هـ ، الأعلام١/١٧٨

٢ ـ فتح الباري ، شرح صحيح البخاري [١:٤٠٥] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، دار المعروفة ، بيروت .

٣ ـ تاج العروس [ ١:٤٦٤ ] ، المفردات في غريب القرآن [ ٤٤٦ ] .

٤ ـ تيسير الكريم الرحمن [ ١ : ٤٧٣ ] . بتصرف .

فلا يتذكر ويتفكر إلا أولوا العقول الرزينه والأراء الكاملة الذين هم لب العالم وصفوة بنى آدم ولن تجد أحسن من وصف الله لهم بقوله الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون العهد الذى عاهدوا الله عليه . ‹١›

وفي مثل قوله تعالى : " والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب " [ الزمر : آيه ١٧ ـ ١٨ ] .

فهذه صفات المؤمنين وقد نعتهم الله بذلك بقوله : " فاتقوا الله ياأولى الألباب الذين آمنوا " [ الطلاق : آيه ١٠ ] * وهم أيضا قالوا : " ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا " [ آل عمران : آيه ١٩٣ ] .

وقد امتازوا عن غيرهم بالتذكر " وما يذكر إلا أولوا الألباب " [ البقره : آيه ٢٦٩ ]

## اللب في السنة :

ورد في الصحيحين من حديث ابى سعيد الخدري وفيه ( ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احداكن ) ‹٢› .

وقال ابن حجر في شرحه للحديث اللب أخص من العقل وهو الخالص منه ، وقال النووي : المراد كمال العقل .

( ولكن اللب في الفؤآد كمثل نور البصر في العين وكمثل نور السراج في فتيله القنديل وكمثل الدهن المكنون في داخل لب اللوز ) ‹٣› .

## ومن مرادفات القلب : العقل .

قال تعالى :" أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور " [ الحج : آيه ٤٦ ] .

---

١ ـ تيسير الكريم الرحمن [ ٤ : ١٠٢ ] بتصرف .

٢ ـ صحيح البخارى [ ١ : ٧٨] كتاب الحيض ، باب : ٦ ، صحيح مسلم ١ : ١٣٢ كتاب الإيمان ، وسيرد في العقل .

٣ ـ بيان الفرق [ ٣٨ ] .

## المبحث الثالث : العقل ومعانيه في اللغة والوحى :

العين والقاف واللام أصل واحد يدل عُظمه على حبسة فى الشىء أو ما يقارب الحبسه من ذلك العقل وهو الحابس عن ذميم القول والفعل . ‹١›

والعقل : نقيض الجهل يقال عقل يعقل عقلاً اذا عرف ما كان يجهله قبل .

والعقل : الحجر والنهى .

وفي قول آخر : التثبت في الأمور .

والعقل : القلب ، والقلب العقل . ‹٢›

وقال الفيروز أبادى : العقل : العلم : ، أو هو العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها ، أوالعلم بخير الخيرين وشر الشرين ، أو مطلق الأمور ، أو القوة بها يكون التميز بين القبح والحسن . واقتصر كثيرون من علماء اللغة على أن العقل هو العلم . ‹٣›

ولكن هناك فرق بين العلم والعقل .

فالعقل : هو العلم الأول الذى يزجر عن القباح ، وكل من كان زاجره اقوى كان أعقل .

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٤ : ٦٩ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ١١ : ٤٥٩ ] ، تاج العروس [ ٨ : ٢٧ ] .

٣ ـ قاموس المحيط [ ١٣٣٦ ] ، تاج العروس [ ٨ : ٢٥ ] .

وسمى العقل عقلا لانه يمنع صاحبه عن الوقوع في القبيح وهو من قولك عقل البعير إذا شده فمنعه من أن يثور ولهذا لا يوصف الله به . <١>

بينما العلم : هو إعتقاد الشىء على ما هو به على سبيل الثقه ويكون مجملاً ومفصلاً . <٢>

وخلاف العلم الجهل وخلاف العقل الحمق . <٣>

وللعقل الفاظ مردافه كاللب والحجر والنهى والحلم والحجى .

## العقل في القرآن الكريم :

لفظ العقل إسم ليس له وجود في القرآن الكريم وإنما استخدم القرآن ما تصرف منه بصيغه الفعل على النحو التالى .

١ ـ عقلوه : وردت في موضع واحد في قوله تعالى :" أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام االله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون " [ البقره : آيه ٧٥ ] .

٢ ـ تعقلون وردت في اربعة وعشرين موضعاً في مثل قوله تعالى : " أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون " [البقره : آيه ٤٤]

وايضا في مثل قوله تعالى :" كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون " [البقره : آيه ٢٤٢] .

٣ ـ نعقل : وردت في موضع واحد في قوله تعالى : " وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير " [ الملك : آيه ١٠ ] .

---

١ ـ الفروق اللغوية [ ٦٥ ] .

٢ ـ الفروق اللغوية [ ٦٢ ] .

٣ ـ الفروق اللغوية [ ٦٦ ] .

وضع واحد في قوله تعالى : " وتلك الأمثال نضربها
العالمون " [ العنكبوت : آيه ٤٣ ] .

ثنين وعشرين موضعا في مثل قوله تعالى :" صم بكم
" [ البقره : آيه ١٧١ ] .

إن شرب الدواب عند الله الصم البكم
لأنفال : آيه ٢٢ ] .

رة في فضل العقل لا يكاد يوجد لفظ المصدر في حديث
صحيحين عن ابي سعيد الخدري قال : خرج رسول الله ـ
صلى الله عليه وسلم ـ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال :
**(يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقلن وبم يا رسول الله قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من أحداكن قلنا و ما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله ؟ فقال اليس شهادة المرأة نصف شهادة الرجل ؟ قلن بلى قال : هذا من نقصان عقلها ..** )الحديث . <١>

قال ابن حجر ومن فوائد الحديث : أن العقل يقبل الزيادة والنقصان ، وليس المقصود بذكر النقص في النساء لومهن على ذلك لانه من أصل الخلقه . <٢>

وقال النووى نقلا عن الامام ابو عبدالله المازرى <٣> رحمهما الله : ( أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل تنبيه منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

١ ـ صحيح البخارى ، كتاب الحيض [ ١ : ٧٨ ] ، صحيح مسلم كتاب الإيمان [ ١ : ١٣٢ ] ، النووي [ ٢ : ٦٥ ] ورواه مسلم عن طريق عبدالله بن عمر وعن أبي هريرة وأبو سعيد الخدري .

٢ ـ فتح الباري [ ١ : ٤٠٦ ] .

٣ ـ أبو عبدالله المازري = محمد بن علي بن عمر التميمي ، محدث من فقهاء والمالكية ، توفى ٥٣٦ هـ ، الاعلام ، ٢٧٧/٦ .

على ما وراءه وهو ما نبه الله تعالى في كتابه بقوله :" أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى " [ البقره : آيه ٢٨٢ ] ، أى أنهن قليلات الضبط . <١>

واما ماعدا ذلك كحديث .

**( أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ) .**

فقد قال ابن تيمية ( إتفق أهل المعرفه بالحديث على انه ضعيف بل هو موضوع على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد ذكر الحافظ ابو حاتم البستى <٢> وابو الحسن الدار قطنى <٣> والشيخ ابو الفرج ابن الجوزي <٤> وغيرهم أن الاحاديث المرويه عن النبى صلى الله عليه وسلم في العقل لا أصل لشىء منها وليس في روايتها ثقه يعتمد ) . <٥>

## معنى العقل :

بالتتبع في التعريفات اللغوية والأحاديث النبوية نجد ان العقل ليس هو عيناً قائمة بنفسها .

يقول ابن الجوزى : العقل يطلق بالاشتراك على أربعة معان :

---

١ ـ صحيح مسلم بشرح النووي [ ٢ : ٦٧/كتاب الإيمان ] يحي بن شرف الشافعي النووي ، المطبعة المصرية ، ط الثانية ١٣٩٢هـ.

٢ ـ ابو حاتم البستي = محمد بن حبان بن أحمد التميمي ، علامة محدث ، توفى ٣٥٤ ، طبقات السبكي ، ١٤١/٢ .

٣ ـ ابو الحسني الدار قطني = علي بن عمر بن احمد الشافعي ، إمام عصره في الحديث ، توفى ٣٨٥ هـ ، طبقات السبكى ٣١٤/٤ .

٤ ـ ابو الفرح ابن الجوزي = عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، علامة في الحديث والتاريخ ، توفى ٥٩٧ هـ ، الاعلام ٣١٦/٣ .

٥ ـ بغية المرتاد في الرد على المتفلسفه والقرامطه والباطنيه أهل الإلحاد [ ١٧١ ]، أحمد بن عبدالحليم بن تيميه ، تحقيق الدكتور موسى بن سليمان الدويش ، مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ .

أحدها : الوصف الذى يفارق به الإنسان البهائم وهو الذى أستعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي أراده من قال غريزة وكأنه نور يقذف في القلب يستعد به لادراك الأشياء .

والثانى : ما وضع في الطباع من العلم بجواز الجائزات واستحاله المستحيلات .

والثالث : علوم تستفاد من التجارب تسمى عقلاً .

والرابع : منتهى قوة الغريزة التى تقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجله . <١>

وتقسيم ابن الجوزى ينحصر في ثلاث معان فالأول والثانى بمعنى واحد ، وابدال كلمة الارادة بالغريزه أنسب لأن الغريزة : هى الطبيعة <٢> والطبيعة السجية وهى ما رُكب فينا من المطعم والمشرب وغير ذلك <٣> .

والفرق بين الارادة والشهوة : أن الإنسان قد يشتهى ما هو كاره له كالصائم يشتهى شرب الماء ويكرهه ، وقد يريد الإنسان مالا يشتهيه كشرب الدواء المر والحمية والحجامة وما بسبيل ذلك وشهوة القبيح غير قبيحة وارادة القبيح قبيحة فالفرق بينهما بين . <٤>

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

العقل في كتاب الله وسنه رسوله - صلى الله عليه وسلام - وكلام الصحابه رضوان الله عليهم والتابعين وسائر أئمه المسلمين هو أمر يقوم بالعاقل سواء سمى عرضاً أو صفه ليس هو عيناً قائمة بنفسها سواء سمى جوهراً أو جسماً أو غير ذلك ). <٥>

ومعنى هذا أنه ليس عند الانسان عضو مستقلاً يسمى العقل .

---

١ - الأذكياء [ ١٠ ] ابي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، المكتبة التجارية ، بيروت .

٢ - القاموس المحيط [ ٦٦٧ ] .

٣ - القاموس المحيط [ ٩٦٠ ] .

٤ - الفروق اللغوية [ ٩٩ ] .

٥ - مجموع الفتاوى [ ٩ : ٢٧١ ] .

## المبحث الرابع : الصدر ومعانيه في اللغة والوحى

الصاد والدال والراء اصلان صحيحان احدهما يدل على خلاف الورد ، والآخر صدر الإنسان وغيره

فالأول قولهم : صدر عن الماء . وصدر عن البلاد ، اذا كان وردها ثم شخص عنها .

وأما الآخر فالصدر للانسان والجمع صدور . ‹١›

والصدر : أعلى مقدم كل شيء وأوله حتى انهم يقولون صدر النهار والليل وصدر الشتاء والصيف . ‹٢›

والصدر من الإنسان والحيوان ما دون العنق إلى فضاء الجوف وعند الاطباء قفص عظمى غضروفي يتضمن الآلآت الرئسية للتنفس والدورة ‹٣›

### الصدر في القرآن الكريم .

ولكن القرآن اثبت له أفعال تصدر منه وصفات يكتسبها وافعال ترِد عليه من الحق تبارك وتعالى وافعال تُؤثر فيه من الخلق .

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٣ : ٣٣٧ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ٤ : ٤٤٥ ] ، تاج العروس [ ٣ : ٣٢٨ ] .

٣ ـ دائرة المعارف [ ١٠ : ٧٠٤ ] .

فأثبت له الإنشراح فقال تعالى : " ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله " [ النحل : آيه ١٠٦ ] .

كما أن هذه الصفه فعل الله في العبد كما في قوله تعالى :" أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه " [ الزمر : آيه ٢٢ ] .

وفي مثل قوله تعالى : " ألم نشرح لك صدرك -[ الانشراح آية ١ ] * وقوله " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام " [الإنعام : آيه ١٢٥ ] .

والشرح : التوسعة والفتح والفهم والكشف . <١>

ومعنى أن يشرح صدره للاسلام ( أى ييسره وينشطه ويسهله) <٢> والاسلام مقره الصدر وهو بدايه النور قال تعالى :" فهو على نور من ربه " [ الزمر : آيه ٢٢ ] . فمقر الاسلام عند المسلم صدره .

فالإسلام والإيمان نور الصدر والقلب وبدايه النور علامات الخير والفلاح ( فشرح الصدر مقدمة لسطوع الانوار آلهيه في القلب ) <٣> .

ضيق الصدر .

كما أثبت الله للصدر حالة الضيق قال تعالى : على لسان موسى عليه السلام " ويضيق صدري ولا ينطلق لساني " [ الشعراء : آيه ١٣ ] .

وكما في قوله تعالى :" ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون " [الحجر : آيه ٩٧] .

وقوله : " فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك " [هود : آيه ١٢] .

---

١ ـ لسان العرب [ ٢ : ٤٩٨ ] ، القاموس المحيط [ ٢٨٩ ] .

٢ ـ تفسير ابن كثير [ ٢ : ١٧٤ ] .

٣ ـ [illegible]

ثم ان الضيق ايضا من فعال الله في الصدور " ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً " [ الانعام : آيه ١٢٥ ] .

والضيق ضد الإتساع ، والضيق الشك والبخل والعسرة . <١>

وضيق الصدر المذكور في قوله تعالى :" ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً " معناه : هو الذى لا يتسع لشىء من الهدى ولا يخلص اليه شى مما ينفعه من الايمان ولا ينفذ فيه . <٢>

وضيق الصدر للمؤمنين إنقباض وغم مما يشاهد من أفعال لا ترضى الحق أو توصل الضرر الى نفسه او الآخرين .

وقد فسر ابن كثير قوله تعالى : " ولاتك في ضَيق مما يمكرون " [ النحل : آيه ١٢٧ ] بالغم . <٣>

حرج الصدور :

واوضح الحق ان الحرج مكانه الصدر كما في قوله تعالى :" كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه " [ الاعراف : آيه ٢ ] .

وفي مثل قوله تعالى : " ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء " [ الانعام : آيه ١٢٥ ] وهو فعل الله في القلب ، وهذه من صفات النفوس .

كما قال تعالى : " ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت " [النساء: آيه ٦٥ ] .

والحرج : المكان الضيق الكثير الشجر ، ويأتى بمعنى الإثم . <٤>

---

١ ـ القاموس المحيط [ ١١٦٥ ] .

٢ ـ تفسير ابن كثير [ ٢ : ١٧٥ ] .

٣ ـ تفسير ابن كثير [ ٢ : ٥٩٢ ] .

٤ ـ القاموس المحيط [ ٢٣٤ ] .

وفسر القرطبي قوله تعالى :" فلا يكن في صدرك حرج " [الاعراف : آيه ٢ ] أي لا يضيق صدرك بالابلاغ . ‹١›

وقوله :" يجعل صدره ضيقاً حرجاً " [الانعام : آيه ١٢٥] .

ان الحرج شده الضيق وفسره ابن عباس فقال ( الحرج موضع الشجر الملتف فكأن قلب الكافر لا تصل اليه الحكمه كما لا تصل الراعيه الى الموضع الذى التف شجره ) ‹٢› .

## الصدر محل الكبر :

كما اوضح الحق أن الصدر مقر الكبر فقال تعالى : " إن في صدورهم إلا كبرٌ ماهم ببالغيه " [ غافر : آيه ٥٦ ] .

والكبر من أفعال النفوس بدليل قوله تعالى : " لقد استكبروا في أنفسهم وعتو عتواً كبيراً " [ الفرقان : آيه ٢١ ] .

الكبر معظم الشيء ، والاثم القبيح من الذنوب ، والتجبر ، والعظمة . ‹٣›

كما اختص الصدر بالحصر كما في قوله تعالى : " أوجاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم " [ النساء : آيه ٩٠ ] .

والحصر بالتحريك ضيق الصدر وياتى بمعنى البخل ، والعى في الكلام وعدم القدرة على الكتابه ، والكتوم للسر . ‹٤›

والحصر : حبس مع تضيق يقال حصرهم في البلد . ‹٥›

---

١ ـ تفسير القرطبي [ ٧ : ١٦٠ ] .

٢ ـ تفسير القرطبي [ ٧ : ٨١ ] .

٣ ـ القاموس المحيط [ ٦٠٢ ] .

٤ ـ القاموس المحيط [ ٤٨٠ ] .

٥ ـ الفروق اللغوية [ ٩٣ ] .

وفسر القرطبي قوله تعالى : " حصرت صدورهم " بالضيق . <١>

ومن حالات الصدر الرهبه . كما قال تعالى :" لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله " [ الحشر : آيه ١٣ ] .

والرهبه : ( الخوف <٢> وتأتى بمعنى الخشيه وفسر القرطبى الرهبه بالخوف والخشيه <٣> ولكن الرهبه أشد من الخوف (فهى طول الخوف واستمراره ومن ثم قيل للراهب راهب لأنه يديم الخوف ) <٤> .

كما جعل الله الإبتلاء لما تكنه الصدور قال تعالى ." وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور " [ آل عمران : آيه ١٥٤ ] أى يختبر ما فيها من نفاق وإيمان وضعف إيمان ويمحص ما في قلوبكم من وساوس الشيطان وما تأثر عنها من الصفات غير الحميده . <٥>

والإبتلاء : الإختبار والإمتحان <٦> ويكون بالسراء كما بالضراء ومعنى قوله تعالى :" ليتبلي ما في صدوركم " أى ليختبر صبركم وقيل ليقع منكم مشاهدة ما علمه غيباً . <٧>

ونسب الله تعالى الغل الى الصدر وهو ايضا سبحانه الذي ينزعه فقال :"ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار " [الاعراف : آيه ٤٣ ] .

---

١ ـ تفسير القرطبي : [ ٥ : ٣٠٩ ] .

٢ ـ القاموس المحيط [ ١١٨ ] .

٣ ـ تفسير القرطبي [ ١٨ : ٣٥ ] .

٤ ـ الفروق اللغوية [ ٢٠٠ ] .

٥ ـ تيسير الكريم اللرحمن [ ١ : ٤٤١ ] ، التفسير الكبير [ ٩ : ٥٠ ] .

٦ ـ المفردات [ ٦١ ] ، قاموس المحيط [ ١٦٣٢ ] ، التفسير الكبير [ ٣١ : ١٣١ ] ، تفسير القرطبي [ ٢٠ : ٨ ] .

٧ ـ تفسير القرطبي [ ٤ : ٢٤٣ ] .

وكقوله تعالى : " ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين" [ الحجر : آيه ٤٧ ] .

والغل مقره الصدر فان زاد وصل إلى القلب فقال تعالى على لسان عباده المؤمنين :" ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا " [ الحشر : آيه ١٠ ] .

والغل اسم جامع للغش والعداوة والضغن والحقد والحسد . <١>

وايضا الصدر محل وسوسه الشيطان قال تعالى : " الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس " [ الناس : آيه ٥ ] .

والوسوسه فعل الشيطان في النفس ونسبها الله الى النفس فقال تعالى : "ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه " [ ق : آيه ١٦ ] .

( والوسوسه : حديث النفس والشيطان بما لا نفع فيه ولا خير ) <٢> .

أو هو الخطرة الردئيه ، وأصله من الوسواس وهو صوت الحلى والهمس الخفى) <٣> .

كما وأن الصدر مكان إخفاء الأسرار قال تعالى : " قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله " [ آل عمران : آيه ٢٩ ] .

وكقوله تعالى : " وما تخفي صدورهم اكبر " [ آل عمران : آيه ١١٨ ] .

وفي مثل قوله تعالى : " يعلم خائنه الأعين وما تخفي الصدور " [ غافر : آيه ١٩ ] .

واشتركت النفس في هذه الخاصيه كما في قوله تعالى : " وتخفي في نفسك ما الله مبديه " [ الأحزاب : آيه ٣٧ ] .

---

١ـ لسان العرب [ ١١ : ٥٠١ ] ، النهاية في غريب الحديث [ ٣ : ٣٨١ ] ، القاموس المحيط [ ١٣٤٣ ] .

٢ ـ القاموس المحيط [ ٧٤٨ ] .

وكقوله : " وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه " [ البقره : آيه ٢١٤ ] .

ولو تتبعنا احوال وصفات النفس لوجدناها تدور في الصفات السابقه واستقلت بصفات أخرى مغايره للصدر لا مجال لسردها في هذا البحث .

## العلاقة بين الصدر والقلب :

( فالصدر بالنسبه للقلب بمنزله بياض العين في العين ومثل صحن الدار في الدار ومثل الذى يحوط بمكه ومثل موضع الماء في القنديل ومثل القشر الأعلى من للوز الذى يخرج اللوز منه اذا يبس في الشجر فهذا الصدر موضع دخول الوسواس والآفات كما يعيب بياض العين آفه البثور وسائر علل الرمد ) <١> .

( والذى يدخل في الصدر قلما يشعر به في حينه ، وهو موضع دخول الغل والشهوات والمُنى والحاجات ، وإنه يضيق احياناً وينشرح احياناً وهو موضع ولايه النفس الأمارة بالسوء ولها فيه مدخل وتتكلف أشياء وتتكبر وتظهر القدرة من نفسها .

وهو موضع نور الاسلام وموضع حفظ العلم المسموع الذى يتعلم من علم الاحكام والأخبار .

وانما سمى صدراً لأنه صدر القلب وأول مقامه كصدر النهار هو اوله وكصحن الدار الذى هو اول موضع منها ويصدر منه وساوس الحوائج وفكر الإشتغال تصدر منه الى القلب ايضاً اذا استقرت وطالت المده ) <٢>

فلا إنفكاك بين الصدر والقلب فكل منهما مرتبط بالأخر وإن استقل كل واحد منهما بصفات مغايره عن الأخر ففى تفريعها تشابه ، فأنشراح الصدر يؤدى الى خشوع القلب وهدايته ويمهد لنزول السكينه فيه كما وان ضيق الصدر قد يؤدي بصاحبه الى عمى القلب .

---

١ ـ بيان الفرق [ ٣٥ ] .

٢ ـ بيان الفرق [ ٣٥ ـ ٣٦ ] .

ومما أطلقه العرب على القلب الروع والخلد والجنان . <١>

الرُّوع : وهو بالضم القلب أو موضع الفزع منه أو سواده ، والذهن والعقل . <٢>

والروع : الخلد . <٣>

وفي حديث ابن عمر ـ رضى الله عنها ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه : **أخبروني عن شجرة مثلها مثل المؤمن فجعل القوم يذكرون شجراً من شجر البوادى قال ابن عمر وألقى في نفسي أو روعى أنها النخله** ... الحديث . <٤>

قال النووى : والروع هنا بضم الراء وهو النفس ، والقلب ، والخلد .

والخَلَد : بالتحريك : البال ، والقلب ، والنفس . <٥>

والخلد : اسم للجزء الذى يبقى من الإنسان على حالته فلا يستحيل ما دام الإنسان حياً استحالة سائر اجزائه . <٦>

والجنان : القلب : سمى به لإستتاره في الصدر أو لحفظه الاشياء أو لكونه مستوراً عن الحاسه ويطلق على الُروع والروح لأن الجسم يجنها .

وسمى القلب جنانا لان الصدر أجنه <٧> .

---

١ ـ أكتفيت بشرح موجز لهذه الألفاظ بإعتبار إنها لم تستخدم في اللغة العربية كدلالة على القلب بصفة أساسيه .

٢ـ القاموس المحيط [ ٩٣٥ ] .

٣ ـ المفردات [ ٢٠٨ ] .

٤ ـ صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين [ ٤ : ٢١٦٥ ] . حديث رقم (٦٤) .

٥ ـ القاموس المحيط [ ٣٥٧ ] .

٦ ـ المفردات [ ١٥٤ ] .

٧ ـ القاموس المحيط [ ١٥٣٢ ] ، المفردات [ ٩٨ ] ، لسان العرب [ ١٣ : ٩٣ ] ، المصباح المنير [ ١١٢ ] والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، ومعجم مقاييس للغة [ ١ : ٤٢١ ] .

# الباب الثاني

# مراحل حياة القلوب

الفصل الأول : الفطرة والقلب .

الفصل الثاني : القلوب الحية ودرجات الإيمان .

الفصل الثالث : أفعال الله في القلوب .

# الفصل الأول
# الفطرة والقلب

المبحث الأول : الفطرة وعلاقتها بالقلب

المبحث الثاني : تعرض الفطرة للإنحراف واثر ذلك على القلب

# المبحث الأول

# الفطرة وعلاقتها بالقلب

في الحديث المتفق عليه عن ابى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **كل مولود يولد على الفطره فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ... الحديث** » <١> .

الحق تبارك وتعالى هيأ القلوب على قبول الهدى في أصل الجبلة ، تقبل الحق وترضاه وتميل إليه ، فهو محبب الى النفوس ، خلق الانسان في احسن تقويم، نفخ فيه من روحه ، هيأه لخلافه الأرض وخلق له جنة عرضها السموات والأرض ، اعطاه من الحريه قدراً ، فتسلط عليه الشيطان من هذا القدر ، فأعطاه قدرة الدفاع قال تعالى : " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون " [ النحل : آيه ٧٨ ] .

فالسمع والبصر يمدان الفؤآد بما يتطلبه الادراك فتستيقظ الفطرة الى معرفه الله ، تتذكر العهد المكنون في عالم الغيب المستكن فيها قبل أن تظهر الى عالم الشهادة .

( إن العهد الذى اخذه الله على ذرية بني آدم هو عهد الفطره . فقد أنشأهم مفطورين على الإعتراف له بالربوبيه وحده ، أودع هذا فطرتهم فهى تنشأ عليه حتى تنحرف عنه بفعل فاعل يفسد سواءها ويميل بها عن فطرتها ) <٢> .

قال تعالى :" وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك أباؤنا من قبل وكنا ذريه من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون" [ الاعراف : آيه ١٧٢ ، ١٧٣ ] .

---

١ ـ صحيح البخاري : كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي ، وباب ما قيل في أولاد المشركين انظر فتح البارى [ ٣ : ٢٤٥ ] ، صحيح مسلم رقم ( ٢٦٥٨) في القدر .

٢ ـ في ظلال القرآن [ ٩ : ١٣٩٣ ] سيد قطب ، دار الشروق ، ط [ ٦ : ١٣٩٨هـ ] .

فهو ميثاق أقدم من الرسل والرسالات لا سبيل إلى إنكاره .

فالقلوب مفطورة على الإقرار بالله تصديقاً وديناً له لكن يعرض لها ما يفسدها ، ومعرفة الحق تقتضى محبته ومعرفة الباطل تقتضى بغضة لما في الفطرة من حب الحق وبغض الباطل . فالإقرار به فطرياً ضرورياً في حق من سلمت فطرته لا تحتاج الى ادلة ولا براهين فهو أشد رسوخاً في القلوب من أى شيء آخر .

## المبحث الثانى

## تعرض الفطرة للإنحراف وأثر ذلك على القلب

الفطرة تتعرض لعوامل الانحراف ، ففى صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « **يقول الله - إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم اتتهم الشياطين فأجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ماأحللت لهم وأمرتهم ان يشركوا بى مالم أنزل به سلطاناً** » <١> .

فشياطين الانس والجن يعتمدون على نقط الضعف الموجودة في التكوين البشرى فيحولون الفطرة عن المنهج القويم ولهم في ذلك طريقين .

الأول : طريق الشبهات : فيصدونهم عن إتباع الحق باثارة الشبهات وتشكيكهم في أصول الإيمان وخصائصه قال تعالى : " هو الذى أنزل عليك الكتاب منه أيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه إبتغاء الفتنه وإبتغاء تأويله " [آل عمران : آيه ٧] .

الثاني : طريق الشهوات التى تصد القلوب عن الإتباع فاليهود يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعرفون ابناءهم ولا يتبعونه بما في نفوسهم من الحسد والكبر الذى يوجب بغض الحق ومعاداته ، والانسان ضعيف بطبعه قال تعالى : " وخلق الإنسان ضعيفا " [ النساء : آيه ٢٨ ] فينتهز الشيطان نقطه الضعف فهو يجرى في الانسان مجرى الدم فاذا لم يكن للعبد عاصم من الحق أماله الشيطان مما هو محبب للنفس فيترك ما أمره الله من التكاليف قال تعالى :

" فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا " [ مريم : آيه ٥٩ ] .

---

١ - صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، اب [ ١٦ ] ، حديث [ ٢٨٦٥ ] ، جزء [ ٤ : ٢١٩٧ ] .

فطالما ضيعوا الصلاة التى هى عماد الدين وميزان العمل والاخلاص لرب العالمين كانوا لما سواها من دينهم أضيع وله أرفض والسبب أتباع شهوات النفس .

فالشيطان بلغ من حقده بعد طرده ولعنته ان يغوي من البشر كل من لايلجأ الى حمى الله فيمنى الإنسان بالأمنيات الكاذبة في طريق الغواية من لذة كاذبه وسعادة موهومه .

وشعور الإنسان بأن هذا الشيطان عدوه القديم يثير في نفسه على الأقل الخذر من الوقوع في الفخ الذى نصبه العدو فيبقى في صراع ومعركة دائمة ، فإما أن يكون من حزب الله ولياً من اوليائه وإما أن يكون ولياً للشيطان لا ثالث لهما وليس هناك وسط .

ومن يجعل الله مولاه فقد فاز ونجى ، ومن يجعل الشيطان مولاه فقد خسر وهلك ، ولكن حالة إستهواء من أحد الطريقين هى التى تنحرف بالفطرة البشرية عن الإيمان والتوحيد إلى الكفر والشرك ولولا هذا الإستهواء لمضت الفطرة في طريقها ولكن الإسلام هو هادى الفطرة وحاديها أي أن الإسلام بداية حلقة السلسلة يرتقى منه الشخص إلى مرتبه أعلى فالإسلام وحده مدلول شهادة ان لااله الا الله وان محمداً رسول الله فهو في البدء مدلول إعتقاد أن البشر في هذه الأرض خاضعين للناموس الآلهى الواحد الذى يصرفهم ويصرف الأرض كما يصرف الكواكب والافلاك وما تدركه منه العقول وما يقصر عنه إدراك البشر .

فالإسلام بمعناه العملى مرتبة دون الإيمان أو ضحها الحق بقوله تعالى : " قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم " [ الحجرات : آيه ١٤ ] .

فهو اعتراف باللسان وبه يحقن الدم . ثم يتدرج في دائرة الإسلام حتى تتم الدائرة فإن إقترنت الطاعة مع إعتراف اللسان بدأت التكاليف بالأهم فالمهم من الاركان الخمس صلاة ، زكاة ، صيام ، حج ، ومن بداية التعبدات تبدأ حركة ذات

مراحل كل مرحلة لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها وكل مرحلة تسلم إلى المرحلة التى تليها ، فمتى تحرر الإنسان من عبودية الأرض وأنتقل إلى عبودية إله الأرض والسماء لابد أن تختفى الأهواء شيئاً فشيئاً فيحى القلب وتبدأ مرحلة الإيمان .

# الفصل الثاني

# القلوب الحية ودرجات الإيمان

المبحث الأول : القلب مقر الإيمان .

المبحث الثاني : القلب السليم .

المبحث الثالث : خشوع القلب .

المبحث الرابع : تقوى القلوب .

المبحث الخامس : القلب واللين .

المبحث السادس : القلب المخبت .

المبحث السابع : وجل القلب .

المبحث الثامن : القلب المنيب .

المبحث التاسع : القلب المطمئن .

المبحث العاشر : الغين على القلب .

المبحث الحادي عشر : توضيح مكان القلب المعنوي من الإنسان .

# المبحث الأول

## القلب مقر الإيمان

تبدأ هذه المرحلة بنهاية القلق والتيه إلى بداية التصور الناصع للقلب البشرى ، فهو استمساك بالعروة الوثقى قال تعالى : " فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لانفصام لها " [ البقرة : آيه ٢٥٦ ] وهى حقيقة التوحيد اسنقبالاً كاملاً مباشراً للخلق مع الخالق إستقبال معرفة نابع من القلب إعتقاد ووفاء بالفعل ( فمن الناس من نور لاإله الا الله في قلبه كالشمس ، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدرى ، وآخر كالمشعل العظيم ، وآخر كالسراج المضيء ، وآخر كالسراج الضعيف ، ولهذا تظهر الانوار يوم القيامه بايمانهم بين أيديهم على هذا المقدار بحسب ما في قلوبهم من نور الايمان والتوحيد علماً وعملاً ، وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته ) <١> .

وهذه الانوار المتدرجة تدخل في طبقتى الايمان والإحسان حيث يكون ماهو كالسراج الضعيف أدنى درجة من درجات الايمان وما هو كالشمس اعلى درجة من درجات الاحسان .

فالقلب محل الايمان قال تعالى : " ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم " [ المائده : آيه ٤١ ] .

---

١ ـ شرح العقيدة الطحاوية [ ٣٧٦ ] الإمام أبو جعفر الطحاوي ، تحقيق جماعة من العلماء ، تخريج : ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط / السادسة ، ١٤٠٠هـ

والإيمان ضد الكفر وهو بمعنى التصديق وضده التكذيب ، والتصديق يقين يحس به العبد ويشعر به وهو درجات يبدأ بالدخول وينتهي بالعبد إلى أعلى مراتب الطمـأنينة فيـرسخ في القلب قال تعالى : " ولما يدخل الإيمان في قلوبكم " [الحجرات : آية ١٤ ] .

## الفرق بين الاسلام والإيمان :

إن الاسـلام إظهار الخضـوع والقبـول لما يأتى به النبى - صلى الله عليه وسلم - فـان كـان مع ذلك إظهـار إعتقـاد وتصـديق بالقلب وعمل بالجـوارح فـذلك الإيمان الذى يقال للموصوف به هو مؤمن مسلم فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر .

( والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة التى إئتمنه الله عليها فإذا أعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه فقد أدى الأمانة فهو مؤمن ) ‹١› .

والايمان نور الله في القلب يشرق عليه فتشرق به النفس ويشرق به الكيان البشرى عامة ولابد للمركب من الطينة الغليظة ومن النفخة الآلهيه من روح الله ان تشرق عليه هذه النفخة وإلا كان جسداً من لحم ودم .

ولابد للنفس البشرية أن يشرق عليهـا النور النابع من القلب لترى الطريق فتحذر من الشبهات والشهوات ولابد للفطرة من الإيمان لتزداد معرفة بالخالق والقلب مقر الايمان قال تعالى : " اولئك كتب في قلوبهم الإيمان " [ المجادله : آيه ٢٢ ] .

( أي كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الايمان في بصيرته قال السدى ‹٢› ( كتب في قلوبهم الإيمان ) جعل في قلوبهم الايمان ) ‹٣› .

---

١ - لسان العرب [ ٣ : ٢١ ] .

٢ - السدي = إسماعيل بن عبدالرحمن السدي ، تابعي صاحب التفسير توفى ١٢٨هـ ، النجوم الزاهرة [١:٣٠٨].

٣ - تفسير ابن كثير [ ٤ : ٣٢٩ ] .

واثبت الحق ان الايمان يدخل القلوب قال تعالى : " ولما يدخل الإيمان في قلوبكم " [ الحجرات : آيه ١٤ ] .

وأن القلب يطمئن به قال تعالى : " الا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان " [النحل : آيه ١٠٦ ] .

وقد تولى الله تزين الايمان ليقبله القلب وينفتح له كما في قوله تعالى : "ولكن الله حبب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم " [ الحجرات : آيه ٧ ] .

فنور لا إله الا الله يزيد في القلب إشراقاً اذا عنى به قال تعالى : " فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون " [ التوبة : آيه ١٢٤ ] .

والحياة التى يريدها الله لابد ان يشرق فيها نور الله ، فالله نور السموات والأرض فمن حرم من نور الله أصبح في ظلمات قال تعالى : " ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور " [ النور: آيه ٤٠ ] .

والنور واحد لا يتعدد في كتاب الله وليس له جمع في الذكر الحكيم للدلالة على مصدره الواحد بعكس طرق الضلال فهي ظلمات بعضها فوق بعض وكل ما اتى به رسول الله صلى الله وسلم فهو نور يهدى به الله من يشاء من عبادة قال تعالى : " قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين " [ المائده : ايه ١٥ ] .

والقرآن نور قال تعالى : " فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه " [ الاعراف : آيه ١٥٧ ] .

قال ابن كثير <١> في تفسير النور في الآية إنه ( القران والوحى الذى جاء به مبلغاً الى الناس ) <٢> .

والإيمان نور وكل ما جاء من الهدى فهو نور ، فهو حياة القلب قال تعالى : " ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور " [ النور : آيه ٤٠ ] .

ومقر هذه الأنوار قلب المؤمن فهو مقر الايمان ومقر القرآن قال تعالى : "نزل به الروح الأمين على قلبك " [ الشعراء : آيه ١٩٣ ، ١٩٤ ] .

فاذا تمكن الإيمان من قلب شع نوره على الحواس .

## القلب موطن الخير :

والايمان مفتاح كل خير ، مفتاح هداية القلب قال تعالى : " ومن يؤمن بالله يهد قلبه " [ التغابن : آيه ١١ ] .

والايمان حاجز ضد مكايد الشيطان قال تعالى : " إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا " [ النحل : آيه ٩٩ ] .

مهما وسوس فان القلب العامر بالايمان يتأبى أن ينساق معه وينقاد اليه وقد يخطىء ولكن سرعان ما يتدراك ويعود الى رشده ويتوب .

قال تعالى : " إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون " [ الأعراف : ٢٠١ ]

والإيمان كله خير ، وكل بوادره خير ، وقد ارتبط الخير بالقلب في قوله تعالى : " ياأيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم " [الانفال : آيه ٧٠ ] .

---

١ ـ ابن كثير = إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، حافظ مؤرخ فقيه ، توفى ٧٧٤هـ ، الإعلام ١/٣٢٠.

٢ ـ تفسير ابن كثير [ ٢ : ٢٥٤ ] .

( والخير ضد الشر ، وجمعه خيور ) <١> .

( والخير ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلاً ، والعدل ، والفضل ، والشيء النافع ، قيل : والخير ضربان .

خير مطلق : وهو أن يكون مرغوباً فيه بكل حال وعند كل أحد كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ( الحياء كله خير ) <٢> .

**والثاني : خير وشر مقيدان : وهو أن يكون خيراً لواحد شراً لآخر كالمال خيراً لزيد وشراً لعمر ). <٣>**

والخير ورد في القرآن على ثمانية أوجه ، منها الخير بمعنى الإيمان كقوله تعالى : " إن يعلم الله في قلوبكم خيراً " <٤> .

فالقلب الذى فيه خير مهما قل لابد وأن ينفتح للإمان لأن الشيء يميل الى شاكلته ، فالفطرة التى لم تدنس ولم تنحرف هي الخير فاذا جاءها الايمان أيقظ فيها أجهزة الاستقبال والتلقى والإستجابه لنور الله .

كل هذه الأمور مجتمعه تدل على : أن قلب صاحبها سليم خال من الدغل ، والشر ، والشرك ، والكفر ، والضلال ظاهره كباطنه وسره تنطق به جارحته .

---

١ ـ لسان العرب ، ٢٦٤/٤ .

٢ ـ صحيح مسلم كتاب الإيمان [ ٦١ ] .

٣ ـ المفردات [ ١٦٠ ] ، بصائر ذوي التميز [ ٢ : ٥٧٢ ] .

٤ ـ الوجوه والنظائر [ ١٦٨ ] .

# المبحث الثاني

## القلـــــــــب السلـــــيم

( السين واللام والميم ـ معظم بابه من الصحه والعافيه ، فالسلامة ان يسلم الانسان من العاهه والأذى ) <١> .

والسلامة : البراءه . يقال سلم من الأمر سلامة : نجا ، ومنه قوله تعالى : " والسلام على من أتبع الهدى " [ طه : آيه ٤٧ ] أى من اتبع هدى الله سلم من عذابه وسخطه .

ورجل سليم : أى سالم والجمع سلماء ومنه قوله تعالى : " إلا من اتى الله بقلب سليم " [ الشعراء : آيه ٨٩ ] أى سليم من الكفر . <٢>

كما قيل في معنى السليم هو الذى لم يشرك بالله قط . <٣>

وايضاً قيل في معنى السليم انه المعافى . <٤>

ووردت هذه المادة كصفة من صفات القلب في موضعين من الذكر الحكيم.

الأول : في قوله تعالى : " يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم " [ الشعراء : آيه ٨٨ ، ٨٩ ] .

والثاني قوله تعالى " وإن من شيعته لإبراهيم . إذ جاء ربه بقلب سليم " [الصافات : آيه ٨٣ ، ٨٤ ] .

ومما ورد من أدعيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله ( **وأسألك قلباً سليماً** ) <٥> .

---

١ ـ مقاييس اللغة [ ٣ : ٩١ ] .
٢ ـ لسان العرب : [ ٨ : ٣٣٧ ] .
٣ ـ تأويل مشكل القرآن : [ ٣٣٨ ] ابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيه ، شرح السيد أحمد الصقر ، ط الثانية ، دار التراث القاهرة .
٤ ـ الاضداد : ٣٨ ، عبدالملك ابن قريب الباهلي الاصمعي ، الاضداد [ ١١٤ ] سهل بن محمد بن عثمان السجستاني ، نشرها أوغست هفنر ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٥ ـ سنن النسائي [ ٣ : ٥٤ ] في السهو باب نوع آخر من الدعاء ، مسند أحمد [ ٤ : ١٢٥ ] ، سنن الترمذي رقم ٣٤٠٤ ، وفيه [ كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول في دعائه **اللهم إني اسالك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد واسالك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسالك قلباً سليماً ولساناً صادقاً** ] وقال في اسناده ضعف .

ونجد في معنى القلب السليم أقوالاً كثيره منها :

أنه سلامة القلب من الشك في توحيد الله والبعث بعد الموت ، وهو قول مجاهد وقتاده والضحاك وغيرهم من أئمة التفسير واختاره ابن جرير الطبري .<١>، <٢>

ومدار هذا المعنى على الشرك أما الذنوب فلا يسلم منها أحد .

وقيل صاحب القلب السليم هو الذى لم يلعن شيئاً قط . <٣>

وايضاً قيل انه قلب المؤمن لأن قلب المنافق مريض لأن الله قال عنهم " في قلوبهم مرض " <٤> وهو قول سعيد بن المسبب ) <٥> .

كما قيل انه القلب الخالص ، أو هو الخالى من البدعة المطمئن الى السنة .

وهناك اقوال ذكرها الامام القرطبى وغيره في تفاسيرهم .

ولكن نبى الله ابراهيم عليه السلام يصرح انه لا ينجو من عذاب الله الا صاحب القلب السليم كما قال تعالى عنه : " ولا تخزني يوم يبعثون ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم " [ الشعراء : آيه ٨٧ ـ ٨٩ ] .

والحق لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلابد ان يكون القلب السليم هو قلب كل مؤمن فهو بذلك أول درجات الإيمان ، بهذا القلب استنكر ابراهيم قومه على عبادة الاصنام واستبشع افعالهم ، وبهذا القلب انتهت حيرته في بداية أمره واستقرت في معرفة الخالق جل جلاله فهو قلب الفطرة التى بدأت تصقل وتضىء بعد ان شع عليها نور الايمان .

---

١ ـ محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ، المؤرخ والمفسر ، توفى ٣١٠هـ ، طبقات السبكى [ ٢ : ١٣٥ ] .

٢ ـ جامع البيان [ ١٩ : ٨٧ ] ، تفسير القرطبي [ ٧ : ١١٤ ] .

٣ ـ جامع البيان [ ٢٣ : ٦٩ ] .

٤ ـ جامع البيان [ ٢٣ : ٦٩ ] .

٥ ـ سعيد بن المسبب بن حزن المخزومي ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، توفى ٩٤ هـ ، الاعلام ١٠٢/٣ .

وارتقى قلب ابراهيم عليه السلام وارتقى ابراهيم بقلبه الحى حتى استحق الخلة بعد النبوة قال تعالى : " ومن أحسن ديناً ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلاً " [ النساء : آيه ١٢٥ ] .

( فلا أحد أحسن من دينِ منْ جمع بين الاخلاص للمعبود وهو اسلام الوجه لله الدال على إستسلام القلب وتوجهه وانابته واخلاصه ، وتوجه الوجه وسائر الاعضاء لله ، وهو مع هذا الاخلاص والاستسلام متبع لشريعة الله مائلاً عن الشرك الى التوحيد ) ‹١› .

١ ـ تيسير الكريم الرحمن [ ٢ : ١٧٨ ] .

# المبحث الثانى
## خشـــــوع القلـــــب

ولكن الحق تبارك وتعالى يريد من العبد أن يرتقى الى مرتبه أعلى من القلب السليم يريده أن يخشع لذكر الله وتهزه كلمات الله .

قال تعالى : " ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون " [ الحديد : آيه ١٦ ] .

والشاهد في هذه الآيه الكريمة ان الموجه اليهم الخطاب هم مؤمنون ولكنهم لم تخشع قلوبهم بعد ، مما يدل على ان الخشوع هو الدرجة الاعلى التى تلى درجة القلب السليم والتى توصلنا الى انها أول درجات الايمان وادنى مراتب حياة القلوب.

فما هو الدافع لهذه القلوب أن ترتقى إلى مرتبه أعلى في دائرة الإيمان ؟ . إنه الخشوع ، ولكن خشوع القلب فأحكام الله تكاليف قال تعالى : " وانها لكبيرة الا على الخاشعين " [ البقرة : ٤٥ ] .

ومما صح من ادعيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنه كان يقول في دعائه (**اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع و من قلب لا يخشع** ) <١> .

---

١ ـ صحيح مسلم ، كتاب الذكر ، باب [ ١٨ ] ، حديث [ ٧٣ ] ، تسلسل [ ٢٧٢٢ ] .

والخشوع في اللغة التطامن ، يقال خشع اذا تطامن وطأطأ رأسه <١> وكل ساكن خاضع خاشع : والتخشع التدلل ، يقال خشع سنام البعير اذا أفضى وذهب شحمه وتطأطأ شرفه <٢> .

فهو يدور حول اللين والسهوله والإنخفاض والذل والسكون . <٣>

وقد ذكر سبحانه وتعالى الخشوع في كتابه في سبعة عشر موضعاً وأثبت في آية سورة الحديد خشوع القلب ، فمن الممكن أن يكتسب العبد هذه المنزلة إذا أخلص النية لله وصغى لذكر الله حتى تمكن من قلبه ( وأوصل اهل التفسير الذكر في القرآن الى عشرين وجهاً منها التوحيد والصلوات الخمس وصلاة الجمعة والقرآن والثناء على الله وغيرها ) <٤> .

ولكن العلامة المميزة هى حب الصلاة والصبر على كل ما اتى من عند الله قال تعالى : " واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين " [البقرة : آيه ٤٥ ] .

فانها سهلة خفيفة لأن الخشوع وخشية الله ورجاء ما عنده يوجب له فعلها منشرحاً صدره ، لترقبه للثواب وخشيته من العقاب .

بخلاف من لم يكن كذلك فانه لا داعى له يدعوه إليها واذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه .

والمادة وردت في القرآن الكريم على أربعة أوجه :

أحدها : التواضع . ومنه قوله تعالى : " واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة الا على الخاشعين " [ البقرة : آيه ٤٥ ] يعنى المتواضعين .

---

١ ـ مقاييس اللغة [ ٢ : ١٨٢ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ٨ : ٧٢ ] ، تاج العروس [ ٥ : ٣١٨ ] .

٣ ـ مدارج السالكين [ ١ : ٥٥٨ ] ، محمد بن ابي بكر ابن قيم الجوزيه ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، ونزهة الأعين النواظر [ ٢٧٦ ] .

٤ ـ نزهة الأعين النواظر [ ٣٠١ ] .

والثاني : الخوف . ومنه قوله تعالى : " ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين " [ الانبياء : آيه ٩٠ ] .

الثالث : سكون الجوارح ورمى البصر الى موضع السجود ومنه قوله تعالى : " قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون " [المؤمنون : آيه ١ ـ ٢] .

الرابع : الذل والتذلل ومنه قوله تعالى : " وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همساً " [ طه : آيه ١٠٨ ] * وقوله تعالى : " وجوه يومئذ خاشعه " [الغاشية : آيه ٢ ] * وقوله تعالى " خاشعة ابصارهم ترهقهم ذله " [ القلم : آيه ٤٣ ] <١> .

وقال الراغب <٢> : الخشوع : الضراعه واكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح <٣> والوجوه السابقه كلها قريبة من تعريف الراغب .

## تعريف الخشوع في أقوال العلماء :

مدار الخشوع تحقيق حقيقة الإيمان في القلب ليتجرد من التعلق بغير الله ويتجه حقيقة لمالك السموات والارض الذى خاطبه فهو أعلم بحاله ومداخله ليخرجه من ظلمات الجهل الى نور الإيمان .

لهذا نجد تعريفات متعدده للعلماء في معنى الخشوع :

فالخشوع : فعل يرى فاعله ان من يخضع له فوقه وأنه أعظم منه ولا يكون الا مع خوف الخاشع من المخشوع له ولا يكون تكلفاً ولهذا يضاف الى القلب فيقال خشع قلبه <٤> .

---

١ ـ اصلاح الوجوه والنظائر [ ١٥٨ ] ، نزهة الأعين النواظر [ ٢٧٦ ] .

٢ ـ الراغب = الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني ، أديب من الحكماء العلماء ، ت ٥٠٢هـ ، الاعلام ٢٥٥/٢ .

٣ ـ المفردات في غريب القرآن [ ١٤٨ ] .

٤ ـ الفروق اللغوية [ ٢٠٦ ] .

الثانى : الخشوع والخضوع والتواضع : بمعنى واحد وهو الانقياد للحق . ‹١›

الثالث : الخوف الدائم في القلب . ‹٢›

الرابع : الاستسلام للحُكمين ، أى الحُكم الدينى الشرعى فيكون معناه عدم معارضة برأى أو غيره ، والحكم القدرى وهو عدم تلقيه بالتسخط والكراهة والإعتراض . ‹٣›

الخامس : قيام القلب بين يد الرب بالخضوع والذل . ‹٤›

السادس : خمود نيران الشهوة ، وسكون دخان الصدر ، واشراق نور التعظيم في القلب . ‹٥›

السابع : تذلل القلوب لعلام الغيوب . ‹٦›

الثامن : الخشوع : خضوع القلب وطمأنينته وسكونه لله تعالى وانكساره بين يديه ذلاً وافتقاراً وإيماناً به وبلقائه . ‹٧›

## الفرق بين الخشوع والخضوع :

ولكن تعريف الخشوع بالخضوع فيه تسامح إذ أن الخضوع ورد مرتين في الذكر الحكيم على غير سياق المدح فقال تعالى : " فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض " [ الاحزاب : آيه ٣٢ ] .

---

١ ـ التعريفات [ ٩٨ ] .

٢ ـ المرجع السابق نفسه .

٣ ـ بصائر ذوي التميز [ ٢ : ٥٤٢ ] .

٤ ـ مدارج السالكين [ ١ : ٥٥٨ ] .

٥ ـ المرجع السابق نفسه .

٦ ـ المرجع السابق نفسه .

٧ ـ تيسير الكريم الرحمن [ ١ : ٨٣ ] .

وقال تعالى : " إن نشأ ننزل عليهم من السماء آيه فظلت أعناقهم لها خاضعين " [ الشعراء : آيه ٤ ] .

( والخضوع هو التطامن والتطاطؤ ولا يقتضى أن يكون معه خوف ولهذا لا يجوز اضافتة الى القلب فيقال خضع قلبه ، وقد يجوز أن يخضع الانسان تكلفا من غير ان يعتقد ان المخضوع له فوقه ولا يكون الخشوع كذلك . ‹١›

والخشوع محله القلب وثمرته على الجوارح وهى تظهره . ‹٢›

وليس مقصوراً على القلب بل كل ما في الانسان له حالة خشوع كالسمع والبصر والمخ والعظم والعصب والوجه والاصوات وكذلك الجماد كالأرض والجبل ، أوضح ذلك القرآن والسنه سواء كان ذلك في الدنيا أو عند البعث .

فعن خشوع الاصوات يقول الحق تبارك وتعالى : " وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً " [ طه : آيه ١٠٨ ] .

وعن الأبصار قال تعالى : " خاشعه أبصارهم ترهقهم ذله " [ القلم : آيه ٤٣ ] * ومثلها في [ المعارج : آيه ٤٤ ] * وقال تعالى : " قلوب يؤمئذ واجفه ابصارها خاشعه " [ النازعات : آيه ٩ ] .

وعن الوجوه قال تعالى : " هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعه " [ الغاشية : آيه ٢ ] .

وعن بقيه الجوراح ورد في الحديث الصحيح عن على بن ابى طالب - رضى الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه كان إذا ركع قال (**اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعى وبصرى و مخى وعظمى وعصبى** .. ) الحديث . ‹٣›

---

١ - الفروق اللغوية [ ٢٠٦ ] .

٢ - مدارج السالكين [ ١ : ٥٥٨ ] .

٣ - صحيح مسلم ، كتاب المسافرين ، باب ٢٦ حديث ٢٠١ ، وأخرجه أبو داود ، في كتاب الصلاة [١١٩]

وعن الجماد قال تعالى : " لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله " [ الحشر : آيه ٢١ ] * وقال تعالى : " ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعه " [ فصلت : آيه ٣٩ ] .

وسواء كان المقصود من الخشوع حسياً أو معنوياً فالمقصود التذلل والسكون مع الحق تبارك وتعالى وعدم الفتور والتكاسل .

وفسره الألوسى بأنه ( الانقياد التام لأوامر الله ونواهيه والعكوف على العمل بما فيها من الأحكام من غير توان ولا فتور ) <١>

## مكانه الخشوع :

أول ما تفقد هذه الأمة الخشوع فقد ورد في حديث حذيفه - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( **أول ما تفقدون من دينكم الخشوع وأخر ما تفقدون من دينكم الصلاة** ) <٢> .

فالخشوع أول ما يرفع من القلوب تتلوه اعمال الجوارح كعقد انفرط فتتابع نظمه فبذهاب الخشوع تكون العبادة بغير روح .

وبذهاب الخشوع يذهب العلم ففى حديث ابى الدرداء قال : كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فشخص ببصره الى السماء ثم قال :( **هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شىء وفي الحديث إن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع من الناس ؟ الخشوع ، يوشك ان تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً** ) . <٣> وقال الترمذى : حديث حسن غريب .

---

١ - روح المعاني [ ٢٧ : ١٨٠ ] ، تفسير أبو سعود = [ ٥ : ٢٧٧ ] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ابي السعود بن محمد العمادي الحنفي ، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا ، مكتبة الرياض الحديثة ١٤٠١هـ .

٢ - المستدرك [ ٤ : ٤٦٩ ] كتاب الفتق والملاحم وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي في التلخيص = تلخيص المستدرك ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، بهامش المستدرك ، طبعة دار الفكر ، بيروت، عام ١٣٩٨هـ .

٣ - سنن الترمذي ، ابي عيسى محمد عيسى بن سورة المتوفى ٢٩٧هـ ، كتاب العلم[ ٥ : ٣٢ ] ، تحقيق إبراهيم عطوه عوض ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

قال الترمذى هذا حديث حسن غريب وروى بعضهم هذا الحديث عن عبدالرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك عن النبى - صلى الله عليه وسلم -

ونلاحظ فيما سبق ان رسوخ الايمان وثبوت العبد على أوامر الله لابد له من الصبر على الطاعه حتى يبدأ القلب في الخشوع درجة بعد أخرى فقد يخشع مره تليها ثانيه فتكرار هذه الحالة لابد أن تصبح صفة من صفات القلب الملازمة له فيحترم أوامر الله ويعظمها بقلبه وتعظيم شعائر الله دليل على أن القلب أرتفع إلى مرتبه أعلى من الخشوع وهى التقوى قال تعالى : " ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب " [ الحج : آيه ٣٢ ] .

# المبحث الرابع

## تقـــــوى القلـــــــوب

التقوي مكانه ومرتبه يرتقى اليها المؤمن يؤمر بها العبد حتى قبل دخوله الاسلام ويراد بها الحث على الطاعة وافراد الله بالتوحيد كما هى دعوة الانبياء قال تعالى : " اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون " [ الشعراء : آيه ١٠٦ ]

وكقوله تعالى : " اذ قال لهم أخوهم هود الا تتقون " [ الشعراء : آيه ١٢٤ ] ولكن تقوى القلوب وردت في القرآن في موضعين .

الأول في قوله تعالى : " ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب " [ الحج : آيه ٣٢ ] .

والثانى فى قوله تعالى : " ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين أمتحن الله قلوبهم للتقوى " [ الحجرات : آيه ٣ ] .

والواو القاف والياء : كلمة واحدة تدل على دفع شىء عن شىء بغيره . (١)

( والتقوى : اسم من وقى يقال وقاه الله : صانه وحفظه وكلاءه ، ووقيت الشىء إذا صنته وسترته عن الأذى ) (٢) .

---

١ ـ مقاييس اللغة [ ٦ : ١٣١ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ١٥ : ٤٠١ ] ، تاج العروس [ ١٠ : ٣٩٦ ] .

( ووقاه الله السوء يقيه وقاية بالكسر أى حفظه ) ‹١› .

( والتقوى إعتماد المتقى ما يحصل به الحيلوله بينه وبين ما يكرهه ) .

فالمتقى هو المحترز مما أتقاه . ‹٢›

( والتقوى اكثر مدحة من الإيمان ‹٣› لأن الإيمان قد يتخلله غيره والتقوى لا يتخللها غيرها ويقارب التقوى الورع إلا أن الفرق بينهما : أن التقوي أخذ عدة والورع دفع شبهه والتقوى متحقق السبب والورع مظنون السبب ، والورع تجاف بالنفس عن الإنبساط فيما لا يؤمن عاقبته ) ‹٤› .

( ويسمى الخوف تاره تقوى والتقوى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضى بمقتضاه ) ‹٥› .

## اما في عرف الشرع :

( فالتقوى حفظ النفس عما يؤثم ، وذلك بترك المحظور ، ويتم ذلك بترك بعض المباحات ) ‹٦› فى رأى البعض .

---

١ ـ المصباح المنير [ ٦٦٩ ] .

٢ ـ نزهة الأعين النواظر [ ٢١٩ ] .

٣ ـ الفروق اللغوية [ ١٨٣ ] .

٤ ـ نزهة الأعين النواظر [ ٦٦٩ ] .

٥ ـ المفردات في غريب القرآن [ ٥٣٠ ] .

٦ ـ المفردات في غريب القرآن [ ٥٣١ ] .

( وقيل العمل بطاعه الله على نور من الله رجاء رحمة الله وترك معاصى الله على نور من الله مخافة عذاب الله ) <١> .

( وورد انها الاحتراز بطاعه الله عن عقوبته وهو صيانه النفس عما تستحق به العقوبه من فعل أو ترك ) <٢> .

وأيضاً ( فهى عبارة عن كمال التوقى عما يضره في الآخره ) <٣> .

## التقوى في اقوال المفسرين :

وذكر أهل التفسير أن التقوي في القرآن على خمسة اوجه :

احدها : التوحيد ومنه قول تعالى : " ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض " [ النساء : آيه ١٣١ ] .

الثانى : الاخلاص ومنه قوله تعالى : " ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب " [ الحج : آيه ٣٢ ] * وقوله تعالى : " أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى " [ الحجرات : آيه ٣ ]

الثالث : العبادة والطاعة ومنه قوله تعالى : " أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون " [ النحل : آيه ٢ ] * وقوله تعالى : " أفغير الله تتقون " [ النحل : آيه ٥٢ ] .

الرابع : ترك المعصية : ومنه قوله تعالى : " وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله " [ البقره : آيه ١٨٩ ] أى اتركوا خلاف أمره .

---

١ ـ الدر المنثور في التفسير المأثور [ ١ : ٦١ ] ، للإمام عبدالرحمن جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، ط الأولى ١٤٠٣هـ ، بيروت .

٢ ـ التعريفات [ ٦٥ ] .

٣ ـ تفسير أبي السعود [ ١ : ٤٨ ] .

الخامس : الخشية : ومنه قوله تعالى : " يأأيها الناس أتقوا ربكم " [النســاء : آيه ١ ] * وقوله تعــالى : " اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون " [الشعراء: آيه ١٠٦] <١> .

وقد ذكر القاضى ابو السعود <٢> في تفسيره ان للتقوى ثلاث مراتب :

الأولى : التوقى عن العذاب المخلد بالتبرؤ عن الكفر وعليه قوله تعالى : "والزمهم كلمة التقوى " [ الفتح : آيه ٢٦ ] .

الثانية : التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى : " ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا " [ الأعراف : آية ٩٦ ] .

الثالثة : ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهى التقوى الحقيقية المأمور بها في قوله تعالى : " ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته " [ ال عمران : اية ١٠٢ ] <٣>

وقد ذكر الله هذه المراتب في قوله تعالى : " ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين " [ المائده : آيه ٩٣ ] .

فربط التقوى الثالثة بالاحسان - وهو ان تعبد الله كانك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك - أمر قلبى ، والاحسان مرتبه أعلى من الايمان . <٤>

فاصحاب هذه المرتبه ذكر الحق تبارك وتعالى انه يحبهم فهى خير الزاد وخير لباس يلبسه القلب .

---

١ - نزهة الأعين النواظر [ ٢٢٠ ] ، بصائر ذوي التميز [ ٢ : ٣٠٠ ] ، اصلاح الوجوه والنظائر [ ٤٩٤ ].

٢ - أبو السعود : محمد بن محمد العمادي الحنفي ، الإمام المفسر ، ت ٩٨٢هـ ، شذرات الذهب ٣٩٨/٨.

٣ - تفسير أبو السعود [ ١ : ٤٨ ] .

٤ - التفسير الكبير [ ١٢ : ٨٤ ] الألوسي [ ٧ : ١٨ ] أبو السعود [ ٢ : ١١٨ ] وغرائب القرآن [١٧ : ٩٧]

## بعض صفات المتقين :

فالقلب المتقى لابد من صفات اكتسبها من أثر التقوى ظهرت على الجوارح والحق تبارك وتعالى ذكر في كتابه الكريم فقال تعالى : " آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين " _ من هم المتقون ؟

" الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقانهم ينفقون . والذين يؤمنون بما انزل إليك وما انزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون " [البقره : آيه١_ ٤]

وقال تعالى " وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون " [ آل عمران : آيه ١٣٣ _ ١٣٥ ] .

وايضاً في قوله تعالى : " ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين . الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون " [الانبياء : آيه ٤٨ _ ٤٩ ] .

وكما في قوله تبارك وتعالى : " إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون " [ الاعراف : آيه ٢٠١ ] .

وقوله تعالى : " يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول " [ الاحزاب : آيه ٣٢ ] .

فالتقوى يستطيع الانسان ان يكتسبها لذا إقترنت بالصبر في أكثر من موضع في كتاب الله قال تعالى : " وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شئياً " [ آل عمران : آيه ١٢٠ ] * وقال تعالى : " بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم " [ آل عمران : آيه ١٢٥ ] .

وقال تعالى : " إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين " [يوسف : آيه ٩٠ ]

وهناك ترابط بين الصبر والتقوى والرحمة والاعمال الصالحة في غير موضع من كتاب الله وسنه رسوله ، فنتائج تقوى القلوب لا تحد بحد ولابد لمن هو في هذه المكانه أن تسطع على قلبه أنوار رحمة الله ، والرحمة فعل الله في القلوب ‹١› .

وهى اثر من آثار التقوى يستفيد القلب منها اللين فبرحمة الله التى نزلها في قلوب عبادة يلين القلب من أثر الخشية والخشية أثر من آثار المعرفه إمتاز بها العلماء قال تعالى : " إنما يخشى الله من عباده العلماء " [ فاطر : آيه ٢٨ ] .

فلا يصل القلب إلى مرتبه حتى يأتى بااللتى قبلها ولا يرتفع من الأدنى إلى الأعلى الا من رحم ربك .

---

١ ـ سنفرد افعال الله في القلوب بباب مستقل ومنه الرحمة . ص : ٩٣

# المبحث الخامس
## القلـــــب اللـــــين

ذكر الله اللين في كتابه في أربع مواضع :

الأول في قوله تعالى : " الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله " [ الزمر : آيه ٢٣ ] .

والثاني : قوله تعالى : " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك " [ آل عمران : آيه ١٥٩ ] .

الثالث : في قصة موسى وهارون عندما ارسلهما الله الى فرعون فقال تعالى : " فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى " [ طه : آيه ٤٤ ] .

والرابع : في قوله تعالى : " ولقد آتينا داود منا فضلاً ياجبال اوبي معه ، الطير والنا له الحديد " [ سبأ : آيه ١٠ ] .

اللام والياء والنون كلمة واحدة " وهى اللين " : ضد الخشونة .

ويقال هو في ليان من عيش ، أى نعمة ، وفلان ملينه : أى لين الجانب . (١)

---

١ ـ مقاييس اللغة [ ٥ : ٢٢٥ ] غرائب القرآن [ ٤٥٧ ] لسان العرب [ ١٣ : ٣٩٤ ] .

واللين يكون على وجهين : لين في الأجساد ؛ كلين الشمع والحديد وغيره .

ولين في المعانى : كلين الطبع ولين القول . ‹١›

والملاينه : المداهنه ، والألين : اللين . ‹٢›

ولين القلب ضد الغلظه ، قال تعالى : " ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك " [ آل عمران : آيه ١٥٩ ] .

وقد تجلى لين القلب في موقف الصديق - رضى الله عنه - مع أسرى بدر عندما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ فقال ابو بكر رضى الله عنه يارسول الله ؛ قومك وأهلك استبقتهم واستان بهم لعل الله ان يتوب عليهم ؛ وفي الحديث فقال رسول الله (**إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون الين من اللين وان الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة وانما مثلك ياأبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام قال : من تبعنى فإنه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ..** )الحديث ‹٣› وهذا مدح في حق عمر - رضى الله عنه - فهى شده قلب في الحق .

وعلامة لين القلب إتباع هدى المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ففى حديث أبي أمامة الباهلي قال : أخذ بيدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال لى ياأبا أمامه ( **إن من المؤمنين من يلين لي قلبه** ) ‹٤› .

---

١ - بصائر ذوي التميز [ ٤ : ٤٧٢ ] .

٢ - تاج العروس [ ٩ - ٣٣٨ ] .

٣ - مسند أحمد [ ١ : ٣٨٣ ] حياة الصحابة [ ٢ : ١٠٥ ] محمد يوسف الكاندهلوي ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٣٩٤ هـ . والحديث إسناده صحيح / البداية : ابن كثير ( ٣ : ٢٩٨ ) .

٤ - مسند أحمد [ ٥ : ٢٦٧ ] والحديث إسناده جيد ورجاله ثقات / الأحاديث الصحيحه للألبانى (١٠٩٥)

وقال الطبرى في تفسير قوله تعالى " ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله " [ الزمر : آية ٢٣ ] يعنى الى العمل بما في كتاب الله والتصديق به . ‹١›

ولكن إضافة إلى الإتباع فللقرآن وقع على القلب المتقى العالم فيؤثر فيه بالخشية واللين والوجل والاطمئنان .

كما أن بعض القلوب فطرت على اللين أو هى أمتازت بعناية الرحمة التى وهبها الله فكان اللين سجية لها كحديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :( **أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً** ) ‹٢› .

فاذا كان القلب لينا لابد للفوآد أن يرق فيتقد ويعى ما يصل اليه من الحق فيكسب خير الأخره إضافه لكسبه خير الدنيا بالألفه وإجتماع الكلمه له بعد إجتماع القلب معه مع سكينه وإطمئنان وذاك نور على نور .

وهذه الأنوار لها في قلوب اهل العلم حالات أخر فاذا ازداد علماً من أثر إتقاد القلب وصاحبه تقوى أدى إلى الإخبات .

---

١ ـ جامع البيان [ ٢٣ : ٢١١ ] .

٢ ـ صحيح البخاري [ ٥ : ١٢٢ ] ، كتاب المغازيباب (٣٤) باب قدوم الأشعرين وأهل اليمن . وفي عمدة القارى [٣١:١٨] للإمام بدر الدين محمد محمود العينى المتوفى ٨٥٥هـ نشر إدارة الطباعة المنيريه ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

## المبحث السادس

## القلـــب المخبـــت

الخبت ورد في القرآن الكريم في ثلاث مواضع :

الأول : في قوله تعالى : " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم اولئك أصحاب الجنه هم فيها خالدون " [ هود : آيه ٢٣ ] .

والثانى : في قوله تعالى : " فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين" [ الحج : آيه ٣٤ ]

والثالث : في قوله تعالى : " وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم " [ الحج : آيه ٥٤ ] .

وكان من دعاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه عنه إبن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ( **اللهم أجعلنى لك شاكرا ، لك ذاكرا ، لك راهبا ، لك مطواعاً، اليك مخبتاً او منيبا** .. الحديث ) ‹١› . إسناده حسن وله شواهد / كنز العمال (٣٧٢٩) .

### فما هو الخبت ؟

الخبت كلمة عربية محضه تطلق على ما أتسع من بطون الأرض ، وجمعه أخبات ، وخبوت .

وقال ابن الأعرابى : الخبت ما اطمأن من الأرض واتسع . ‹٢›

وقيل : الخبت ما اطمأن من الأرض ، وغمض فاذا خرجت منه أفضيت إلى سعة .

وقيل : الخبت الوادى العميق الوطىء ، ممدود ، ينبت ضروب العضاه .

---

١ ـ سنن ابي داود [ ٢ : ٨٤ ] حديث رقم [ ١٥١٠ ] ، عون المعبود ، شرح سنن ابي داود [ ٢٧٦/٤ رقم ١٤٩٦ ] ، محمد شمس الدين الحق العظيم الأبادي ، دار الفكر ، ط ١٣٩٩/٣ .

سنن الترمذي كتاب الدعوات باب [ ١٠٣ ] ، حديث [ ٣٥٥١ ] ج [ ٥ : ٥٥٤ ] وقال حديث حسن صحيح

٢ ـ لسان العرب [ ٢ : ٢٧ ] .

وقيل : الخبت الخفى المطمئن من الأرض ، فيه رمل . <١>

قال الشاعرالجاهلى ضمرة بن ضمرة في قصيدة طويله منها :

ولجندب سهل البلاد وعذبها * ولى الملاح وخبتهن المجدب <٢>

والخبت : ما انخفض من الأرض <٣> ، أو هو المطمئن من الأرض فيه رمل . <٤>

فأصل الكلمة يدل على المكان المنخفض من الأرض <٥> - أو الإستواء من الخبت وهو الأرض المستوية الواسعة . <٦>

وقد وردت في القرآن الكريم على وجهين :

الأول : أخبتوا يعنى أخلصوا . ومنه قوله تعالى : " وأخبتوا الى ربهم " [هود : آيه ٢٣ ] يعنى اخلصوا * مثلها في [ الحج : آيه ٣٤ ] ( وبشر المخبتين ) يعنى المخلصين .

الثانى : الإخبات القبول : ومنه قوله تعالى في سورة [الحج : آيه ٥٤ ] (فتخبت له قلوبهم ) يعنى فتقبل له صدورهم . <٧>

---

١ - لسان العرب [ ٢ : ٢٧ ] ، تاج العروس [ ١ : ٥٤٠ ] .

٢ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب [ ٢ : ٣٨ ] عبدالقادر بن عمر البغدادي ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط ٢ ، ١٩٧٩م .

٣ - التفسير القيم ، للإمام ابن القيم [ ٣١٠ ] ، جمعه : محمد أويس الندوي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، لجنة التراث ، بيروت .

٤ - التفسير القيم [ ٢ : ٤٠ ] ، [ ١١ : ٥٢ ] .

٥ - مدارج السالكين [ ٢ : ٣ ] .

٦ - أحكام القرآن [ ٩ : ٢١ ] .

٧ - إصلاح الوجوه والنظائر [ ١٥٣ ] .

ولكن الراغب الاصفهانى إعتبر الخبت بمعنى اللين والتواضع والخشوع وذكر الآيات الثلاث في باب واحد ، وكأن الوجه الثانى بمعنى الأول ‹١› وكذلك الفيروز أبادى في البصائر ‹٢› وابن الأثير في النهاية . ‹٣›

واختلف أهل التفسير في معنى الاخبات .

( فقال مجاهد : هو الطاعه .

وروى عن ابن عباس والضحاك : أنه التواضع والخضوع . كما روى عن قتاده ومقاتل ‹٤› أنه الإخلاص ) ‹٥› .

وجميع هذه الاقوال تدور على معنى السكون الى الله وتتضمن معنى الطمأنينه ، وهو اول مراتبها . فتقوى القلوب تؤدى الى العمل الصالح ، فيلين القلب ، ويثمر الاخبات الذى يكون حالة من حالات القلب الحى ، ثم يصبح صفة من صفاته ، فهو صفة العلماء العاملين الصابرين على ماأصابهم مستسلمين للطاعة بعدم الإعتراض على قضاء الله ، وعبادته بتفان وانقياد والانفاق في مرضاته فهو تحول مطلق وتفان تام للحق تبارك وتعالى .

وقال ابن القيم ( اعلم أنه متى استقرت قدم العبد في منزلة الإخبات وتمكن فيها إرتفعت همته وعلت نفسه عن خطفات المدح والذم فلا يفرح بمدح الناس ولا يحزن لذمهم ، هذا وصف من خرج عن حظ نفسه وتأهل للفناء في عبودية ربه ، وصار قلبه مطرحاً لأشعة أنوار الأسماء والصفات ، وباشر حلاوة الايمان واليقين قلبه ) ‹٦› .

---

١ ـ المفردات في غريب القرآن [ ١٤١ ] .

٢ ـ بصائر ذوي التميز [ ٢ : ٥٢١ ] .

٣ ـ النهاية في غريب الحديث [ ٢ : ٤ ] .

٤ ـ مقاتل : مقاتل بن سليمان الأزدي ، مفسر ، توفى ١٥٠هـ ، الاعلام ٢٨١/٧ .

٥ ـ جامع البيان [٢٤:٢ ، ٧١ : ١٦١ ] الدر المنثور [ ٤١٤:٤ ، ٤٩:٦ ] الجامع لأحكام القرآن [ ٩ : ٢١ ] ، روح المعاني [ ١٧ : ١٥٤ ] .

٦ ـ مدارج السالكين [ ٢ : ٦ ] .

وقال أيضاً : النفس جبل عظيم شاق في طريق السير الى الله عز وجل ، وكل سائر لا طريق له إلا على ذلك الجبل فلا بد أن ينتهى اليه ، ولكن منهم من هو شاق عليه ومنهم من هو سهل عليه وإنه ليسير على من يسره الله ) <١> .

ولكن صفاء القلب من درن الذنوب العظام ، والتفكر في قدرة الله والتفاني في طاعته بعمار الدنيا والآخره وجعل الدنيا طريق الآخره بإيمان كامل ، ويقين صادق ، ومداومة على الطاعة في الحدود المشروعة ، سينقله من مرتبه الاخبات الى مرتبه الوجل لأن المخبت اذا ذكر الله وجل قلبه .

١ ـ مدارج السالكين [ ٢ : ٨ ] .

## المبحث السابع

## القلـب الوجـل أو وجـل القلـب

يقول الحق تبارك وتعالى : " فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ماأصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون " [ الحج : آيه ٣٤ ـ ٣٥ ] .

وذكر الله سبحانه وتعالى « الوجل » في كتابه الكريم في أربعة مواضع في ثلاث منها أثبت الوجل للقلب :

فقال تعالى : " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون " [ الانفال : آيه ٢ ] .

وقال تعالى : " الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ماأصابهم " [ الحج : آيه ٣٥ ] .

وقال تعالى : " والذين يؤتون ماءاتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون " [ المؤمن : آيه ٦٠ ] .

وقال تعالى في سورة الحجر : " ونبئهم عن ضيف إبراهيم . إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم وجلون . قالوا لاتوجل إنا نبشرك بغلام عليم " [٥١ ـ ٥٣ ] .

وفي حديث العرباض بن سارية ـ رضى الله عنه ـ قال : صلى بنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغه ذَرَفتَ منها العيون ووجلت منها القلوب ... الحديث ) (١)

---

١ ـ سنن ابي داود رقم [ ٤٦٠٧ ] باب لزوم السنة ، سليمان بن الاشعث السجتاني ، ت ٢٧٥ هـ ، تعليق محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الفكر ، والترمذى فى العلم رقم (٢٦٧٨) باب (١٦) وإسناده صحيح . واخرجه احمد فى المسند ( ٤ / ١٢٦ ، ١٢٧ ) .

## الوجل في كلام العرب :

إذا عدنا الى معاجم اللغه لوجدنا أن الوجل هو : الفزع والخوف . يقال وجل وجلاً <١> أو هو إستشعار الخوف . <٢>

واستشهد بقول الشاعر :

لعمرك ماأدرى وإني لأ وجل * على أينا تعدو المنية أول

وقال البغدادى <٣> في الخزانه هو : الخوف . <٤>

( ولكن الخوف هو : توقع الضرر المشكوك في وقوعه ومن يتيقن الضرر لم يكن خائفاً له . وكذلك الرجاء لا يكون الا مع الشك ومن تيقن النفع لم يكن راجياً له) <٥> فعلى هذا يكون الخوف خلاف الرجاء .

( أما الوجل خلاف الطمأنينه وجل الرجل يوجل وجلاً إذا قلق ولم يطمئن ويقال أنا من هذا على وجل ومن ذلك على طمأنينه ولا يقال على خوف في هذا الموضع .

---

١ ـ لسان العرب [ ١١ : ٧٢٢ ] القاموس المحيط [ ١٣٧٩ ] تاج العروس [ ٨ : ١٥٣ ] .

٢ ـ المفردات في غريب القرآن [ ٥١٣ ] .

٣ ـ البغدادي : عبدالقادر بن عمر البغدادي ، علامة بالأدب والتاريخ ، ت ١٠٩٣ هـ ، الاعلام ٤١/٤ .

٤ ـ خزانة الأدب [ ٨ : ٢٨٩ ] ، [ ١ : ٦١ ] .

٥ ـ الفروقات اللغوية [ ١٩٩ ] .

وفي القرآن الكريم قال تعالى : " الذين إذ ذكر الله وجلت قلوبهم " [الحج : آيه ٣٥] .

أى إذا ذكرت عظمة الله وقدرته لم تطمئن قلوبهم إلى ما قدموه من الطاعة وظنوا أنهم مقصرون فأضطربوا من ذلك وقلقوا ، فليس الوجل من الخوف في شيء ، وخاف متعد ، ووجل غير متعد وصيغتاهما مختلفتان أيضاً ، وذلك يدل على فرق بينهما في المعنى ) ‹١› .

فالوجل مقترن بالعمل الصالح وهو البذل والعطاء ، وقد يكون من الإجلال والمهابة لعظمة الله وسلطانه ، أو لوعده ووعيده ومحاسبته لخلقه وادانتهم . ‹٢›

وقد يقول المؤمن في تهجده « الله أكبر » مستحضراً لمعنى كبرياء الله فينتفض ويقشعر جلده ، ولا يوجد الوجل في كتاب الله عند وصف جنهم وذكر الحساب والجزاء ، والوجل يكتسبه المؤمن بزيادة تلاوة كتاب الله وإستشعار مكانة الله في قلبه بخلاف الخوف فأنه أمر نفسى قال تعالى : " فأوجس في نفسه خيفه موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى " [ طه : آيه ٦٧ ـ ٦٨ ] وهو عام في حق الله ومن خلقه .

فوجل القلب مكانة عالية ( روى أن الحسن سأله رجل وقال : أمؤمن أنت ؟ فقال : الايمان إيمانان فإن كنت تسألنى عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فأنا مؤمن ، وإن كنت تسألنى عن قوله تعالى : " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم " فوالله لا أدرى أمنهم انا أم لا ) ‹٣› .

والعبد الحي اذا ذكر العقاب لا يأمن من الوقوع في المعاصى فهو في حالة وجل ، ويوضح ذلك أن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : سألت

---

١ ـ الفروقات اللغويه [ ٢٠٢ ] .

٢ ـ تفسير المنار [ ٩ : ٥٨٩ ] تفسير القرآن الحكيم ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ .

٣ ـ التفسير الكبير [ ١٥ : ١٢٢ ] .

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن قول الله تعالى : " والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة " [ المؤمنون : آيه ٦٠ ] .

**(قالت عائشه : هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : لا . يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم اولئك الذين يسارعون في الخيرات ) <١> .**

فاذا استصغر العبد عبادته واستقل كل طاعه بجانب ألآء الله ونعمائه إضافه إلى إستشعار جلال الله وعظمته وهيبته تمكن الوجل من قلبه فأشفق أن يلقى الله وهو مقصر في حقه فازداد مسارعة في الخيرات بسبب يقظه القلب الوجل وهو أمر في حدود طاقة الإنسان وإستطاعته ، وهو علامه من علامات تيقظ العبد يرى أنه مقصر في جانب الله ( لأن الوجل هو بذكر العقاب ) <٢> فتكثر منه الشفقه فيكثر من التوبه والإستغفار والتأسف على ما حصل منه وهذه الافعال ترفعه الى درجه الانابه .

---

١ ـ سنن الترمذي [ج ٥ :٣٢٧ ]، كتاب التفسير ، باب ومن سورة المؤمنين ، حديث رقم [ ٣١٧٥ ] . وله شواهد .

٢ ـ التفسير الكبير [ ١٩ : ٤٩ ] .

# المبحث الثامن

## القلـــــب المنيـــــب

إنابة القلب وردت في موضع واحد في قوله تعالى : " وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب " [ ق : آيه ٣١ ـ ٣٣ ]

والانابه رجوع وتسليم لله تعالى ولكنها قد تكون منسوبه للذات الإنسانيه، والانابه حال لها كما في مثل قوله تعالى : " وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منبين اليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون " [ الروم: آيه ٣٣ ] وهذه لا ترفع العبد عن مرتبته بل ربما اوصلتة الى الضلال انما الإنابه إذا وقرت في القلب رفعته منزلة أعلى إتصف بها انبياء الله عليهم السلام .

والإنابة كلمة واحدة تدل على إعتياد مكان ورجوع اليه . <١>

وانتاب الرجل القوم إنتياباً إذا قصدهم وأتاهم مرة أخرى ، وأناب فلان الى الله اقبل وتاب ورجع الى الطاعة <٢>

والإنابة الرجوع إلى الطاعة ، فلا يقال لمن رجع الى المعصيه أنه أناب ، والمنيب أسم مدح كالمؤمن والمتقى <٣>

---

١ ـ مقاييس اللغة [ ٥ : ٣٦٧ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ١/٧٧٥ ] ، تاج العروس [ ١ : ٤٩٦ ] .

٣ ـ الفروق اللغوية [ ٢٥٠ ] ، تفسير القرطبي [ ٥ : ٧٣ ] .

والإنابة الدعاء ، وكأن معناها عليه توكلت وله أدعو . ‹١›

والملاحظ من المعنى اللغوى أن الماده تدور حول الرجوع ومعنى القصد والمعنى الاصطلاحى في القرآن هو الرجوع الى الله والتوبه اليه ولعل أبو هلال العسكرى منع وصف العائد الى المعصية بالإنابه لانها وردت في القرآن مقصورة على الرجوع الى الله .

وصف الحق بها أبى الانبياء فقال تعالى : " إنَّ إبراهيم لحليم أواه منيب " [ هود : آيه ٧٥ ] .

والأواه كثير التأسف والتأوه على ما وقع فيه كثير من الناس في الذنوب ، وهى صفة تدل على الشفقه عند من يشاهد الشدائد على الغير ، فانه ينيب ويتوب ويرجع الى الله تعالى في ازالة العذاب عنهم ‹٢› فمن كان لا يرضى بوقوع غيره في الشدائد فمن باب أولى أنه لا يرضى بوقوع نفسه فيها ، ولا طريق الى صون النفس عن الوقوع في عذاب الله الا بالتوبه فوجب فيمن هذا شأنه أن يكون منيباً .

والمنيب : الراجع الى الله تعالى ‹٣› وابراهيم كان راجعاً الى الله تعالى في أموره كلها ‹٤› .

وكما ورد على لسان شعيب في قوله تعالى : " وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب " [ هود : آيـــه ٨٨ ] أى ( أرجـــع الى اللـــه فـيـمـا أنا بصدده ) ‹٥› .

---

١ ـ فتح القدير [ ٢ : ٥١٩ ] .

٢ ـ روح المعاني [ ١٢ : ١٠٤ ] .

٣ ـ فتح القدير [ ٢ : ٥١٢ ] الجامع بين فني الرواية والدراية وعلم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر ، ١٤٠١ هـ .

٤ ـ تفسير القرطبي [ ٥ : ٧٣ ] .

٥ ـ روح المعاني [ ١٢ : ١٢١ ] .

فاذا توكل العبد على الله وأستسلم له تأكد له معرفة المعاد فيعلم علم يقين أن لا مرجع للخلق الا إلى الله تعالى .

فصاحب هذه الحالة فوض جميع اموره الى ما يختاره الله له من قضائه وقدره علم أن إليه الرجوع في الآخره .

كما أنه أمتاز بالتفكر في آيات الله والتذكر أنها دلالة من دلالات الخالق جلت عظمته كما في قوله تعالى : " هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقاً وما يتذكر إلا من ينيب " [ غافر : آيه ١٢ ] .

وفي مثل قوله تعالى : " والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب " [ ق : آيه ٧ ـ ٨ ] .

وأمتاز بالإستغفار وكثرة الصلاة اذا انتابه أمر وظن أنه أبتلى فلم يستطع كما في قوله تعالى : " وظن داود أنما فتناه فأستغفر ربه وخر راكعاً واناب " [ص : آيه ٢٤ ] * ثم يقول تعالى : " فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب " فكأن الحق تبارك وتعالى وعد من أذنب وأستغفر بقلب منيب فجزاؤه القربة بعد المغفره والوعد بالجنة ووصفهم تبارك وتعالى بأنهم أولوا الألباب فهم يسيرون بهدى من الله ونور الإيمان بين جوانحهم .

كما في قوله تعالى : " والذين أجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد ـ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الألباب " [الزمر : آيه ١٧ ـ ١٨ ] .

فالإنابه الى الله تعالى هي كثرة الرجوع اليه عز وجل بعد الذنوب ، أو بعد الغفله فهى من صفات القلوب الحيه العامرة بالإيمان بل هى درجة عليا من درجات الإيمان وكأن الحلم والأناة وكثرة التأوه مظهر خلقي سلوكى لدافع قلبى باطنى عند المؤمن هو الانابه .

وقد تكون حالة لازمة لكل مؤمن قلبه عامر بالايمان فيرتقى بها إلى مكانة عليا في مراتب الإيمان ، وتلازمه هذه الحالة حتى تكون صفة من صفات القلب فيسكن القلب بها إلى الحق وقول الحق فترفعه إلى مرتبه الإطمئنان .

# المبحث التاسع

## القلــــــب المطمــــــئن

قال تعالى : " قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب . الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألآ بذكر الله تطمئن القلوب " [ الرعد : آيه ٢٧ ـ ٢٨ ] فبين الإنابة والطمأنينة صلة وثيقه .

قال ابن فارس : الطاء والميم والنون أصيل بزيادة همزة . يقال إطمأن المكان يطمئن طمأنينة . وطامنت منه : سكّنت . <١>

يقال إطمأن الى كذا إطمئناناً وطمأنينة بالضم : سكن اليه ووثق به فهو مطمئن والنفس المطمئنه التى اطمأنت بالايمان . <٢>

والمادة موضوعة للسكون بعد الإنزعاج . <٣>

( والفرق بين الطمأنينه والسكينه أن كل منهما تستلزم الأخرى لكن استلزام الطمأنينة للسكينه أقوى من العكس ، ثم إن الطمأنينة أعم من السكينة وهى على درجات : طمأنينه القلب بذكر الله ، وهى طمأنينه الخائف الى الرجاء ، والضجر الى الحكم ، والمبتلى الى المثوبه .

---

١ ـ مقاييس اللغة [ ٣ : ٤٢٢ ] ، لسان العرب [ ١٣ : ٢٦٨ ].

٢ ـ تاج العروس [ ٩ : ٢٧٠ ] ، المغرب في ترتيب المعرب [ ٢٩٤ ] الإمام ناصر بن عبدالسيد الطرزي ، ت ٦١٦هـ ، الناشر دار الكتاب ، بيروت .

٣ ـ بصائر ذوي التميز [ ٢ : ١٦٥ ] ، المفردات [ ٣٠٧ ] .

والطمأنينه سكون أمن فيه أستراحة أنس ، والسكينه : صولة تورث خمود الهيبة ، والسكينة تكون حيناً بعد حين والطمأنينه لاتفارق صاحبها وكأنها نهاية السكينة ) ‹١› .

وقد ورد الاطمئنان في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى السكون والقرار .

قال تعالى : " ولكن ليطمئن قلبي " [ البقرة : آيه ٢٦٠ ] ‹٢› يعنى ليسكن قلبى إذا نظرت اليه .

وكقوله تعالى " وتطمئن قلوبنا " [ المائدة : آيه ١١٣ ] يعنى تسكن قلوبنا اذا رأينا المائدة .

وكقوله تعالى " الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله " [ الرعد : آيه ٢٨ ] أى تسكن قلوبهم * مثلها قوله تعالى : " الا بذكر الله تطمئن القلوب " [الرعد : آيه ٢٨ ] .

وكقوله تعالى : " وما جعله الله الإبشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به " [ آل عمران : آيه ١٢٦ ] يعنى تسكن ، نظيرها في سورة الانفال يوم بدر قوله تعالى " ولتطمئن به قلوبكم " [ الانفال : آيه ١٠ ] ‹٣› .

---

١ ـ بصائر ذوي التميز [ ٣ : ٥١٧ ] .

٢ ـ بصائر ذوي التميز [ ٢ : ١٦٥ ] .

٣ ـ الوجوه والنظائر [ ٢٩٨ ] .

الثانى : بمعنى الميل والرضا .

كقوله تعالى : " ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها " [ يونس : آيه ٧ ] .

وكقوله تعالى : " وقلبه مطمئن بالإيمان " [ النحل : آيه ١٠٦ ] .

وفي مثل قوله تعالى : " فإن أصابه خير إطمأن به " [ الحج : آيه ١١ ] .

وايضاً قوله تعالى : " ياأيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية " [ الفجر : آيه ٢٧ ] .

الثالث : بمعنى الإقامه التى هى ضد السفر .

ومن هذا الوجه قوله تعالى : " فإذا أطمأننتم فأقيموا الصلاة " [ النساء : آيه ١٠٣ ] أى اذا اقمتم فأتموا الصلاة .

وكقوله تعالى : " قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين " [الاسراء : آيه ٩٥ ] أى مقمين . ‹١›

والقلب المطمئن هو الذى يستكين لكلام الله المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال تعالى : " الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب " [ الرعد : آيه ٢٨ ] .

والإطمئنان أتي بصيغة المضارع لإفادة دوامه وتجدده ‹٢› ، فكلما سمع كلام الله خشع وسكن .

كما أن الطمأنينه ترد على صاحب القلب الحى عند اشتغاله بالطاعات ليقينه في صدق وعد الله وأن محمداً صادق في كل ما أخذ عنه ، وهذه صفة الصفوة الطاهره ، فهي ملكة ينميها العبد حتى لا تفارقه .

---

١ ـ نفس المصدرين السابقين .

٢ ـ الألوسي : ١٣ / ١٤٩ ، ابي السعود [ ٣ : ٢٢٢ ] .

يقـول الفـخـر الرازى <١> ( إن القلب كلمـا وصل إلى شىء فـإنه يطلب الانتقال منه الى حالة اخرى أشرف منها لأنه لاسعادة في عالم الأجسام إلا وفوقها مـرتبـة أخرى في اللذة والغبطه ، أمـا اذا أنتـهى القلب والعـقل الى الاسـتسـعـاد بالمعارف الآلهيه والاضواء الصمدية ، بقى واستـقر فلم يقدر على الانتقال منه البته ، لأنه ليس هناك درجة أخرى في السعادة أعلى منها وأكمل ، فلهذا قال تعالى :

" الا بذكر الله تطمئن القلوب " <٢> .

وفي الآية إشـعار بـأن الكفرة ليست لهم قلوب تفقه وأفئدئهم هواء حيث لم يطمئنوا بذكر الله تعالى ولم يعدوه آية وهو اظهر الآيات وأبهرها . <٣>

وسبب الطمـأنينه ( نور يفيضـه الله تـعالى على قلب المؤمن بسبب ذكره فيذهب مافيها من القلق والوحشه ) <٤> .

فذكر الله تعالى أفضل الأعمال الصـالحة ، وخير الذكر القرآن الكريم ، ثم ما ورد عن رسـول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ بسند صـحيح من تسـبيح وتـهليل ودعاء وتنفل بانواع العبادات المشروعة يرتقى بها الانسان الى درجات القلب ومراتبه المتفاوته .

ومـهـما بلغ العبـد من درجات الكمـال فلا بد له من لحظات يشـعر فيـها بالتقصير في جانب الحق تبارك وتعالى ، وخاصـة من إزداد تعظيم الجلال في قلبه ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الذى بلغ السمـاوات العلى وحاز على أعلى مـراتب الطمـأنينه تعتريه حـالة اختص بها تزيده قرباً بزيادة استـغفاره وهى حـالة الغين .

---

١ ـ الفخر الرازي : محمد بن عمر بن الحسن التيمي أبو عبدالله ، الإمام المفسر ، ت ٦٠٦هـ ، الاعلام ٣١٣/٦ .

٢ ـ التفسير الكبير [ ١٩ : ٥٠ ] .

٣ ـ أبو السعود [ ٣ : ٢٢٢ ] ، روح المعاني [ ١٣ : ١٤٩ ] .

٤ ـ روح المعاني [ ١٣ : ١٥٠ ] .

# المبحث العاشر

## الغيـــن عـلى القلـــب

أخرج الإمـام مسلم وأبو دواد عن الأغر المزنى ، وكـانت له صـحـبه ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :( **إنه ليغان على قلبى وإنى لأستغفر الله في اليوم مائه مرة** ) ‹١› .

والغين : قريب من الغيم ، والغيم : كلمه تدل على سـتر شـىء لشىء يقال غامت السماء ، والغيم : العطش وحرارة الجوف ، لانه شيء يغشى القلب ، ومثل ذلك الغين فيقال : غين على قلبه كأن شيئاً غشيه غطى عليه وألبس . ‹٢›

وهذه المادة لم ترد في القرآن الكريم إنما وردت في السنة مرة واحدة حالة تغشى قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم فيستغفر الله .

وسرد الامام النووى اقوال العلماء فقال :

١ ـ المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذى كان شأنه الدوام عليه ، فاذا فترعنه أو غفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه .

٢ ـ وقيل هو همه بسبب أمته ومـاأطلع عليه من احوالها بعده فيستغفر لهم .

٣ ـ وقيل سببه إشتغاله بالنظر في مصالح أمته وأمورهم ومحاربة العدو ومداراته وتأليف المؤلفه ونحو ذلك فيشتغل بذلك من عظيم مقامه فيراه ذنبا بالنسبة الى عظيم منزلته .

٤ ـ وقبل يحتمل أن الغين هو السكينه التى تغشى قلبه ويكون إستغفاره إظهار للعبودية وملازمة الخشوع . ‹٣›

---

١ ـ صحيح مسلم كتاب الذكر ، باب استحباب الاستغفار ، عون المعبود شرح سنن أبي داود [ ٤ : ٣٧٩]، كتاب الوتر ، باب في الاستغفار ، حديث رقم [ ١٥٠١ ] .

٢ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٤ : ٤٠٦ ، ٤٠٧ ] ، لسان العرب [ ١٣ : ٣١٦ ] ، النهاية [ ٣ : ٤٠٣ ] .

٣ ـ صحيح مسلم بشرح النووي [ ٩ : ٢٤ ] .

وذكر العظيم أبادى صاحب عون المعبود بعض أقوال للعلماء في هذا الشأن لاتخرج عما ذكره الامام النووى وهذه حالة ترد على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تدعوه الى الإستغفار ، وقدره أعلى من أن يخوض فيه مثلى أو يستنبط معناه ، ولو وردت في غيره ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأدليت بدلوى .

# المبحث الحادى عشر
# توضيح مكان القلب المعنوى من الانسان

ومما مر يتضح أن القلب هو أشرف ما في الانسان وأرفعه فليس هو مضخة فقط تضخ الدم ، إنما هناك لطيفه رحمانيه هى حقيقة الانسان لها بهذا القلب الحى تعلق وُثيق ، ولانقول هناك قلبان للانسان إنما هو قلب واحد قال تعالى : " **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه** " [ الاحزاب : آيه ٤ ] ولكن هناك ما هو منظور لنا بالمشاهدة وهناك ما هو معلوم لنا بعلم الله تعالى الذى أنزله على رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

والدليل على أن القلب المعنوى في باطن القلب الحسى أو هو ، ما ورد في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك ( **ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فأستخرج القلب فأستخرج منه علقه فقال هذا خط الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم اعاده في مكانه** ) ‹١› . وكان يرى أثر المخيط في صدره - صلى الله عليه وسلم .

فالإنسان ليس مجرد لحم ودم ودورة دمويه ، إنما هو مخلوق خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وجعل له هذا القلب الصنوبرى سبباً من اسباب الحياة ومركزاً للفوآد واللب ومن جوامع الكلم قوله - صلى الله عليه وسلم - ( ألا وإن في الجسد مضغه اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله أا وهى القلب . ‹٢›

---

١ - صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم . أنظر شرح النووى [ ٢ : ٢١٦ ] .

٢ - رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب ٣٩ ، والترمذي وغيره .

وصلاح الجسد يراه المادى بالسلامة من الآفات الظاهره ، ويحمله المؤمن على السلامة من الآفات الظاهره والباطنه لورود احاديث كثيره تحثنا على صلاحه والعنايه به ، لأنه وعاء الايمان والتصديق ومنه يشع نور التوحيد وتظهر آثاره في عيون المؤمنين ووجوههم .

بصلاح هذه المضغة غمر الايمان قلوب صحابه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكانوا سادت الدنيا ودخل الناس في دين الله افواجاً .

عندما كان هذا القلب مليئاً بالإيمان كانت آثاره تظهر على الجوارح حباً في الله وتفانياً فيه ، يحبون الموت كما يحب غيرهم الحياة ، فوهبهم الله عز الدنيا والأخرة لأنهم تدرجوا في دائرة الايمان وتحرورا من عبودية الأرض وانتقلوا الى عبودية الله وحده لا شريك له ، هذا التدرج هو حقيقة القلب الذى به يرتقى الانسان المؤمن ، أما غير المؤمن فليس له في هذه المراحل نصيب .

فمتى دخل الايمان القلوب غمرها بنوره وزادها القرآن صقلاً ، فتبدأ المرحلة الأولى بسلامه القلب وخلوه من براثن الشرك والضلال يعتلى بعدها إلى مرتبه الخشوع فتسكن نيران الشهوه ويشرق نور التعظيم في القلب .

تليها الثالثة بالتقوي وفيها يصون العبد نفسه عما يؤثم ، فيعمل بطاعة الله رجاء رحمته فهى توحيد وعباده وخشيه فيتبتل الى الله بكليته فيجد للعبادة راحة ولذه فيلين قلبه في الله ، وفي الحق لا يخشى لومة لائم ، يتبع هدى المصطفى براحة نفس ولين الجانب ، تعقبه مرتبه الإخبات فيكون فيها العبد مستسلماً للطاعة غير معترض على قضاء الله بأدنى شك ، فلا تؤثر فيه نزعات الهوى وميلات الشيطان ، فيشعر قليه بحلاوة الإيمان ويرغب في زيادته ويخشى على أعماله من النقصان ، فتثمر عنده حالة الوجل فيزداد من الطاعة لشعوره بالتقصير ، فيقدم من الطاعات الكثير تتخلها التوبه والاستغفار والتأسف على ماحصل منه ، وكلما رأى ميلاً او فتنه دأب على التوبه وعاد الى الطاعة حتى يكون من المنيبين إلى الحق وتكون الإنابه صفة من صفات قلبه فيكثر من التفكر في آيات الله ويستشعر بنعمه عليه ، فهى صفات القلب العاقل الذى دأبه الخوف والرجاء ، حتى يتصف بالطمأنينة

فلا يكون للفجور فيه مدخل وليس للشيطان عليه مسلك ، وقد كان صحابه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في هذه المكانه والمصطفى - صلى الله عليه وسلم - في أعلى الكمال .

فهذه المراتب هى من اختيار القلب باختيار العبد فهى أفعاله المنسوبة اليه قد يقف عند أولاها أو يستمر إلى أعلاها ولكن هذه اللطيفه الربانيه للحق تبارك وتعالى أفعال فيها .

# الفصل الثالث

# افعال الله في القلوب

المبحث الأول : طهارة القلب .

المبحث الثاني : تزين الإيمان في قلب العبد وكتبه .

المبحث الثالث : القلب المهتد .

المبحث الرابع : القلب محل الرأفة والرحمة .

المبحث الخامس : تأليف الله للقلوب .

المبحث السادس : السكينه .

المبحث السابع : ربط القلوب .

المبحث الثامن : إمتحان الله للقلوب وتمحيصها .

# المبحث الأول

# طهـــــــارة القلـــــب

إذا أراد الله بعبده خيراً طهر قلبه من رجس الكفر وخبث الضلالة (والطهر نقيض النجاسه ) <١> .

والتطهر ( الكف عن الأثم ومالا يجمل ) <٢> .

وقيل الطهر : النقاء من الدنس والنجس <٣> .

والطهارة في الاصل : الوضاءة والنظافه <٤>

وقد إرتبطت الطهارة بالقلب في موضعين من الذكر الحكيم :

الأول : في قوله تعالى : " ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً اولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم .. " [ المائده : آيه ٤١ ] .

والثاني : في قوله تعالى : " وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقوبكم وقلوبهن .. " [ الأحزاب : آيه ٥٣ ] .

والمراد في الآية الثانيه الطهارة من الريبة والدنس . <٥>

وآيه المائدة تدل على ان الله لا يريد أن يطهر قلب الكافر وعلى أن الضلال بمشيئة الله عز وجل . <٦>

ويفهم منها : أن من أراد الله هداية للاسلام طهر قلبه من دنس الشرك،فاذا طهر القلب إنشرح الصدر للإسلام وتمكن منه ، إرتقى العبد إلى مرتبة الأيمان بتحبيب الله له وتزينه في قلبه .

---

١ ـ لسان العرب [ ٤ : ٥٠٦ ] .

٢ ـ تاج العروس [ ٣ : ٣٦٣ ] .

٣ ـ المصباح المنير [ ٣٧٩ ] .

٤ ـ نزهة الأعين النواظر : [ ٤١٩ ] .

٥ ـ المفردات : ٣٠٧ ، بصائر ذوي التمييز [ ٣ : ٥٢٨ ] ، الوجوه والنظائر : ٣٠٠ .

٦ ـ تفسير القرطبي [ ٦ : ١٨٢ ] ، روح المعاني [ ٦ : ١٣٩ ] .

## المبحث الثانى

## تزيين الإيمان في قلب العبد وكتبه

قال تعالى : " ولكن الله حبب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم .. " [الآيه الحجرات : آيه ٧ ] .

قال ابن كثير أى حببه إلى نفوسكم وحسنه في قلوبكم . ‹١›

والزين : خلاف الشين يقال : تزينت الأرض بالنبات : أى حسنت وبهجت . ‹٢›

والزينه بالقول المجمل ثلاث : زينه نفسيه كالعلم والاعتقادات الحسنه ، وزينه بدنية كالقوة وطول القامة ، وزينه خارجيه كالمال والجاه .

وقوله تعالى: " حبب اليكم وزينه في قلوبكم " فهو من الزينه النفسيه . ‹٣›

( وتزين الله للأشياء بإيداعها مزينة وايجادها كذلك ، وتزين الناس للشيء بتزويقهم أو بقولهم ) ‹٤› .

---

١ ـ تفسير القرآن العظيم [ ٤ : ٢١٠ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ١٣ : ٢٠٢ ] ، والمصباح المنير [ ٢٦١ ] .

٣ ـ المفردات [ ٢١٨ ] .

٤ ـ المفردات [ ٢١٨ ] .

فاذا زين الله الإيمان في قلب العبد كانت عبادته أكثر وتحمله لمشاق التكليف أتم فتكون العباده والتكاليف عنده أكمل ، فالإيمان يزداد في قلبه حسناً .

قال الرازى ( ليس إدراك الإيمان بالإجتهاد ، بل الله بين البرهان وزين الايمان حتى حصل اليقين ، وبعد حصول اليقين لا يجوز التوقف ) ‹١› .

لهذا نجد السلف الصالح إستمر في ترقى درجات الكمال بزينه الإيمان في القلوب .

## كتب الإيمان في القلب :

وبعد التزين تأتى مرحلة التقرير أو التثبيت التى قال الحق تبارك وتعالى عنها: " أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه .. " [المجادلة : آيه ٢٢] .

والكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شىء الى شىء ، من ذلك الكتاب والكتابه . ‹٢›

والكتاب : الفرض والحكم والقدر . ‹٣›

وقال ابن كثير في تفسير الآيه ( أى كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الايمان في بصيرته ) ‹٤› .

وقال الطبرى ( كتب في قلوبهم الايمان : أى قضى لقلوبهم الايمان فـ[فى] بمعنى اللام ) ‹٥› .

---

١ ـ التفسير الكبير [ ٢٨ : ١٢٣ ] .

٢ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٥ : ١٥٨ ] .

٣ ـ لسان العرب [ ١ : ٦٩٩ ] ، تاج العروس [ ١ : ٤٤٦ ] .

٤ ـ تفسير القرآن العظيم [ ٤ : ٣٢٩ ] .

٥ ـ جامع البيان [ ٢٨ : ٢٧ ] .

وذكر الألوسى في قوله ( كتب في قلوبهم الايمان ) ( أى أثبته الله تعالى فيها ، ولما كان الشيء يراد أولاً ثم يقال ثم يكتب عبر عن المبدأ بالمنتهى للتأكد والمبالغة)<1>.

فمن ثبت في قلبه الإيمان لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباً أو ابناً أو أخاً أو عشيره . قال تعالى : " لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حآد الله ورسوله ولو كانو آباءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الإيمان " [ المجادلة : آيه ٢٢ ] .

فمتى احب العبد الإيمان وثبت في قلبه هدى الله قلبه إلى طريق الحق دوماً وأبدا قال تعالى : " ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم " [ التغابن : آيه ١١ ] .

---

١ ـ روح المعاني [ ٢٨ : ٣٦ ] ، التفسير الكبير [ ٢٩ : ٢٧٧ ] .

# المبحث الثالث

## القلـــــب المهتـــــد

والهاء والدال والحرف المعتل أصلان :

أحدهما التقدم للإرشاد ، والأخر بعثة لَطفَ ـ واللَّطفَ ، بالتحريك : التحفة والهديه ، وكلمة بعثة : وهى المرة من البعث ـ

فالأول قولهم : هديته الطريق هداية ، أى تقدمته لأرشده ، وكل متقدم لذلك هاد والأصل الأخر الهديه : ماأهديت من لَطفَ الى ذى مودة . <٢>

والهدى : خلاف الضلالة ، وهى الرشاد والدلاله ( بلطف الى ما يوصل الى المطلوب ) <٣> .

والهدى : الطاعة والورع . <٤>

---

٢ ـ مقاييس اللغة [ ٦ : ٤٢ ] ، والنهاية في غريب الحديث [ ٥ : ٢٥٣ ] . نزهة الاعين النواظر [٦٢٥] .

٣ ـ نزهة الأعين النواظر : ٦٢٥ ، لسان العرب [ ١٥ : ٣٥٣ ] تاج العروس [ ١٠ : ٤٠٦ ] لنهاية في غريب الحديث [ ٥ : ٢٥٣ ] .

٤ ـ لسان العرب [ ١٥ : ٣٥٥ ] .

والهدى : السيرة والهيئة والطريقه . <١>

والفرق بين الهداية والإرشاد : أن الإرشاد إلى الشىء هو الطريق إليه والتبين له والهدايه هى التمكن من الوصول اليه . <٢>

والهداية : الدلالة على ما يوصل الى المطلوب ، وقد يقال هى سلوك طريق يوصل الى المطلوب . <٣>

وهداية الله للإنسان على أربعة أوجه :

الأول : الهداية العامة .

( وهى الهداية التى عم بجنسها كل مكلف من العقل والفطنه والمعارف الضرورية التى أعم منها كل شىء بقدر فيه حسب إحتماله ) <٤> كما في قوله تعالى : " ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى " [ طه : آيه ٥٠ ] . أى اعطى كل شىء صلاحه ثم هداه الى ما يصلحه .

وهذه الهداية إما تسخير وإما تعليم والى نحوه اشار بقوله تعالى : " واوحى ربك الى النحل " <٥> .

الثانى : هداية البيان والدلالة :

ومعناها : التعريف لنجدي الخير والشر وطريقي النجاة والهلاك ، وهذه الهداية لاتستلزم الهدى التام فانها سبب وشرط لا موجب . <٦>

---

١ ـ النهاية بن الأثير [ ٥ : ٢٥٣ ] .

٢ ـ الفروق اللغوية [ ١٧٢ ] .

٣ ـ التعريفات [ ٢٥٦ ] .

٤ ـ المفردات في غريب القرآن [ ٥٣٨ ] .

٥ ـ اضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن [ ٤ : ٤٧٨ ] للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، الطبعة الثانية .

٦ ـ بدائع الفوائد [ ٢ : ٣٧ ] أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي ، ابن قيم الجوزيه ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

كقوله تعالى : " إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفور " [ الانسان : آيه ٣ ] .

الثالث : هداية التوفيق والإلهام .

وهى الهداية المستلزمه للإهتداء فلا يتخلف عنها وهى المذكورة في قوله تعالى : " يضل من يشاء ويهدي من يشاء " [ فاطر : آيه ٨ ] * وقوله تعالى : " انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء " [ القصص : آيه ٥٦ ]<١>.

الرابع : الهداية في الأخرة :

وهى غاية الهدايات الثلاث ومنه قوله تعالى : " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم " [يونس : آيه ٩ ] .

وقوله تعالى : " أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم " [ الصافات : آيه ٢٢ ، ٢٣ ] <٢> .

وطلب الهداية من أقوال النبوه ففى حديث عبدالله بن عباس - رضى الله عنهما - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول حين فرغ من صلاته ( **اللهم إنى اسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى** ) الحديث . <٣>

وروى الترمذى من حديث شهر بن حوشب قال قلت لأم سلمه - رضى الله عنها - يأم المؤمنين مـاأكثر دعاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا كان عندك ؟ قالت كان أكثر دعائه[ **يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ، فقلت يارسول**

---

١ - بدائع الفوائد [ ٢ : ٣٧ ] .

٢ - بدائع الفوائد [ ٢ : ٣٧ ] .

٣ - أخرجه الترمذي برقم ( ٣٤١٥ ) في الدعوات ، باب رقم ٣٠ ، واسناده ضعيف وقال الترمذي هذا الحديث غريب لانعرف مثل هذا لابن ليلي إلا من هذا الوجه وذكره ، ابن الأثير ، في جامع الأصول [ ٤ : ٢١٤ ] .

**الله ما اكثر دعاءك بهذا ؟ قال : ياأم سلمه ، إنه ليس آدمى إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ )** . <١>

فالقلب صالح لأن يميل إلى الإيمان وصالح لأن يميل الى الكفر بإرادة الله ، فلذا كان طلب الهداية والتوفيق أمر ضرورى ، وقد ذكر الحق تبارك وتعالى هداية القلب في كتابه الكريم بقوله : " مأأصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شئ عليم " [ التعابن : آيه ١١ ] .

والآيه وردت في سياق الرزيا التى تسيىء العبد في النفس او المال أو الولد أو الأحباب ونحوهم من قول أو فعل .

فهو في الدنيا في مرحلة إبتلاء وأختبار هل يصبر على ماأصابه ، وأن كل ماأصابه بقضاء الله وقدره أم لا ؟ .

وقال المفسرون في معنى الهداية :

أولاً : يهد قلبه لليقين فيعلم أن ماأصابه لم يكن ليخطئه وماأخطأه لم يكن ليصيبه ، وهو قول بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ . <٢>

ثانياً : يهد قلبه للعلم بأنها من عند الله فيسلم لأمر الله ويرضى به ، وهو قول علقمة <٣> ) <٤> .

---

١ ـ أخرجه الترمذي برقم [ ٣٥١٧ ] في الدعوات ، باب رقم [ ٩٥ ] وقال هذا حديث حسن كما أخرجه في القدر ، باب ماجاء ان القلوب بين أصبعين عن أنس ابن مالك وذكره ابن الأثير في جامع الأصول [ ٤ : ٣٤٢ ] ، [ ٧ : ٥٣ ] .

٢ ـ تفسير ابن كثير [ ٤ : ٣٧٥ ] .

٣ ـ علقمة بن قيس بن عبدالملك النخعي أبو شبل الكوفي ، من كبار التابعين ت ٦١هـ ، طبقات الحفاظ/٢٠

٤ ـ روح المعاني [ ٢٨ : ١٢٤ ] .

ثالثاً : يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء وهو قول أهل المعاني . <١>

فاذا هداه فقد رحمه ، فالرحمة اقترنت بالهداية في كثير من الذكر الحكيم كقوله تعالى : " ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة " [ الانعام : آيه ١٥٤ ] .

وفي مثل قوله تعالى : " فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة " [الاتعام : آيه ١٥٧ ] .

وفي قوله تعالى : " ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة " [ آل عمران : آيه ٨ ] .

---

١ ـ التفسير الكبير [ ٣٠ : ٢٦ ] .

# المبحث الرابع

## القلب محل الرأفة والرحمة

والرحمة تنمو حين تكون الرأفه ، وكلاهما صفتان جليلتان أحداهما أرق من الأخرى هبة من الحق تبارك وتعالى لقلوب عباده المؤمنين إرتبطت بالقلب في قوله تعالى : " وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة " [ الحديد : آيه ٢٧ ]

فلدينا ثلاث كلمات « جعل » ، « رأفه » ، « رحمة » ، كل كلمة لها مدلول في كلام الله وفي أقوال العرب .

أولاً : كلمة ( جعل ) :

لفظ عام في الأفعال كلها ، وهو أعم من فعل وصنع وسائر أخواتها <٢> وقد ذكر العلماء اوجهاً كثيرة لها <٣> أوصلها الفيروز أبادى إلى ثلاثة عشر وجهاً ، منها : الإيقاع في القلب والإلهام ، ومثاله آيه ( ٢٧ ) الحديد .

وسواء أتت ( جعل ) في هذه الآية بمعنى خلق أو صير أو أنشأ وغيرها فالذى يهمنا أنها فعل الله وفعله جلت عظمته أعم من أن تحصره اللغة ، وما دامت فعل الله في القلب فهى هبة إلهيه قد يكون للكسب في تنميتها شىء ، وهذا الذى نريده من مادة ( جعل ) .

---

٢ ـ المفردات في غريب القرآن [ ٩٤ ] .

٣ ـ المرجع السابق : [ ٩٤ ] ، نزهة الأعين النواظر [ ٢٢٨ ] ، القاموس المحيط [ ١٢٦٢ ] ، الوجوه والنظائر [ ١٠٦ ] ، بصائر ذوي التميز [ ٢ : ٣٨٣ ] ، وغيرهم من مراجع اللغة .

ثانياً : الرأفة :

الراء والهمزة والفاء : كلمة واحدة تدل على رقة ورحمة ، وهى الرأفه <١> والرأفة : الرحمة ، وقيل أشد الرحمة <٢> .

والرأفه : مبالغة في رحمة مخصوصة من دفع المكروه وإزاله الضر ، نقلها الزبيدى عن الفخر الرازى <٣> ومن اسماء الله تعالى « الرؤوف » ومعناه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع خلقه والمتعطف عليهم والمحسن اليهم بنعمه . <٤> وقد ورد في القرآن الكريم احدى عشرة مرة .

وقد وردت « الرأفه » مرتين في كتاب الله الأول في قوله تعالى : " وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفه ورحمة " [ الحديد : آيه ٢٧ ] .

والثانى : قوله تعالى في حد الزانيه والزاني : " ولاتأخذكم بهما رأفة في دين الله " [ النور : آيه ٢ ] .

الثالث : الرحمة :

الراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقه والعطف والرأفه ، يقال من ذلك رحمه يرحمه إذا رق له وتعطف عليه . <٥>

---

١ ـ مقاييس اللغة [ ٢ : ٤٧٠ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ٩ : ١١٢ ] ، المفردات في غريب القرآن [ ٢٠٨ ] .

٣ ـ تاج العروس [ ٦ : ١١٣ ] .

٤ ـ ولله الأسماء الحسنى [ ٢١٩ ] ، جمع : أحمد عبدالجواد ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥ ـ مقايس اللغة [ ٢ : ٤٩٨ ] .

والرحمة : المغفرة ، وفي بنى آدم عند العرب رقة القلب وعطفه . <١>

والرحمة : رقه تقتضى الإحسان الى المرحوم ، وقد تستعمل تارة في الرقه المجرده وتارة في الإحسان المجرد عن الرقه نحو : رحم الله فلاناً . <٢>

وقيل : هى إرادة إيصال الخير . <٣>

وقيل : الإنعام على المحتاج إليه . <٤>

## الفرق بين الرأفة والرحمة :

الرأفة أبلغ من الرحمة ، ولا تكاد تقع في الكراهه ، والرحمة قد تقع في الكراهه للمصلحه . <٥>

قال ابن الجوزي الرحمة في القرآن على سته عشر وجهاً ، وأوصلها الفيروز أبادى الى عشرين وجهاً بينما إقتصر الدامغانى على أربعة عشر وجهاً .

منها الألفة والموافقه بين أهل الإيمان كما في قوله تعالى : " وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة " [ الحديد : آيه ٢٧ ] .

وقال ابن الجوزى : ( الرقه ) ، وقال الدامغانى <٦> : المودة <٧> ، وعموم الأوجه التى ذكروها لاتخرج عن الإنعام وارادة ايصال الخير .

---

١ ـ لسان العرب [ ١٢ : ٢٣٠ ] .

٢ ـ المفردات في غريب القرآن [ ١٩١ ] ، تاج العروس [ ٨ : ٣٠٥ ] .

٣ ـ التعريفات [ ١١٠ ] .

٤ ـ الفروق اللغوية [ ١٦٠ ] ، نزهة الأعين النواظر [ ٣٧٣ ] .

٥ ـ الفروق اللغوية [ ١٦١ ] ، لسان العرب [ ٩ : ١١٢ ] .

٦ ـ الدامغاني : حسين بن محمد بن إبراهيم أبو عبدالله الدامغاني ، فقيه حنفي ، ت ٤٧٨ هـ ، الاعلام ، ٢٥٤/٢ .

٧ ـ نزهة الأعين النواظر [ ٣٣١ ] ، بصائر ذوي التميز [ ٣ : ٥٣ ] ، الوجوه والنظائر [ ٢٠١ ] .

وفي حديث أسامة ابن زيد رضى الله عنه أنه دفع لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صبى نفسه تقعقع وفيه ( **ففاضت عيناه . فقال له سعد : يا رسول الله ما هذا ؟ قال : هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ـ وانما يرحم الله من عباده الرحماء** ) <١> .

قال ابن حجر : ( واما الرحمة التى جعلها الله في قلوب عباده فهى من صفات الفعل ، وصفها بانه خلقها في قلوب عباده ، وهى رقة على المرحوم ) .

ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تاج الرحماء ـ وصفه الله بصفتين في آيه واحده " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم " [ التوبة : آيه ١٢٨ ] .

وفي حديث شق الصدر ، عن أبى إبن كعب عن أبى هريرة ( **فقال له اخرج الغل والحسد ، فأخرج شيئاً كهيئة العلقه ثم نبذها فطرحها فقال له ادخل الرأفة والرحمة ، فاذا مثل الذى أخرج يشبه الفضة ، ثم هز إبهام رجلى اليمنى** ..... الحديث ) <٢> .

وكتب التفاسير ذكرت شق الصدر في تفسير قوله تعالى : " ألم نشرح لك صدرك " وهذا دليل قوى على أن القلب المعنوى مرتبط بالقلب الحسى أو يكاد يكون هو .

---

١ ـ صحيح البخارى ، كتاب التوحيد ، باب ٢ ، حديث [ ٧٣٧٧ ] .

٢ ـ مسند احمد [ ٥ : ١٣٩ ] والحديث من زوائد عبد الله بن الإمام أحمد ورجاله ثقات وحديث شق الصدر فى كتب السير بالإنفاق فهو فى :

أ ـ سيرة بن هشام = السيرة النبوية [ ١ : ١٧٦ ] ابو محمد عبدالملك بن هشام الحميري ، ت ٢١٨ هـ ، طبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٥٥ هـ .

ب ـ طبقات ابن سعد = الطبقات الكبرى [ ١ : ١١٢ ] محمد بن سعد بن منيع البصري ، ت ٢٣٠ ، دار صادر ، بيروت .

جـ ـ دلائل النبوه ومعرفة أصول صاحب الشريعة [ ١ : ١٣١ ] أحمد بن الحسين البيهقي ، توثيق ، د . عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى ، ١٤٠٥ هـ .

د ـ البداية [ ٢ : ٢٧٥ ] ابي الفداء الحافظ بن كثير ، ت ٧٧٤ هـ ، ط ١٣٩٨هـ ، دار الفكر ، بيروت .

هـ ـ الخصائص الكبرى = كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب [ ١ : ٥٤ ] جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، ت ٩١١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

والرحمة خاصة بالمؤمنين ولا تنزع إلا ممن كفر بالله ففى حديث ابى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال ( **سمعت أبا القاسم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول لا تنزع الرحمة إلا من شقى** ) <١> وقال الترمذى هذا حديث حسن .

والشقى الكافر <٢> لقوله تعالى : " **يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقى وسعيد . فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق . خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد** " [ هود : آيه ١٠٥ ـ ١٠٧ ] .

أما ما يتراحم به غير المسلمين فهى رحمة عامة بمثل ما يتراحم البهائم ، ففى حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : **جعل الله الرحمة في مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزأ واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه** ) <٣>

أما المؤمن إذا ثبت على إيمانه ، وكان من أهل التقوى ، فانه له نصيبان من الرحمة رحمة عامة ورحمة خاصة وورد هذا الوعد من الله في سياق آية سورة الحديد المثبتة أن المحبة والرأفه مقرها القلب فقال تعالى : " **ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم** " [ الحديد : آيه ٢٨ ] .

بهذه الرحمة المودعة في القلوب الطاهرة تكونت الألفة بينهم فأتفقت قلوبهم على المودة والمصافاه والتواصل ، فرقت جوانبهم لبعضهم البعض فزادهم الحق تبارك وتعالى ألفة في قلوبهم واذا أئتلفت القلوب كانت الاخوة الطاهرة في الله ولله .

---

١ ـ سنن الترمذي [ ٤ : ٣٢٣ ] ، كتاب البر والصلة ، باب [ ١٦ ] . وقال الترمذى هذا حديث حسن .

٢ ـ نزهة الأعين النواظر [ ٣٧١ ] .

٣ ـ صحيح البخارى كتاب الأدب باب [ ١٩ ] حديث [ ٦٠٠٠ ] . فتح البارى [ ١٠ : ٤٣ ] .

# المبحث الخامس
# تأليف الله للقلوب

قال تعالى : " واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً " [آل عمران : آيه ١٠٣ ] .

المكمن العميق في الإنسان ذلك القلب مقر المشاعر والروابط يؤلف الله بينه وبين الأخر حتى تكون كتلة متآخيه ذلول بعضها لبعض بعد النفرة والتفكك ، والحق تولى التأليف فلا يكون الا لمؤمن اعتصم بحبل الله وأجتمع على هداه وكان الله يبين أن الألفه هبة منه لا دخل للكسب فيها وإن كان الكسب سبباً لها .

وذكر الحق سبحانه « الألفة » في كتابه ثمان مرات في خمس آيات ارتبط القلب بالألفه في ثلاث منها :

اولاً : قوله تعالى : " واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم " [ آيه ـ ١٠٣ آل عمران ] .

ثانياً : في قوله تعالى : " وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ماألفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم إنه عزيز حكيم " [ الانفال : آيه ٦٢ ـ ٦٣ ] .

ثالثاً : في قوله تعالى : " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب " [ التوبة : آيه ٦٠ ] .

رابعاً : في قوله تعالى : " ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً " [ النور : آيه ٤٣ ] .

خامساً : في قوله تعالى : "لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف " [ قريش : آيه ١ ـ ٢ ] .

فما هو الإئتلاف ، وبم يتم ، ولمن يكون ؟

الهمزة واللام والفاء أصل واحد يدل على إنضمام الشيء الى الشيء والاشياء الكثيرة أيضاً . <١>

وألفت الشيء وآلفته بعنى واحد : لزمته ، وألفت الشيء : إذا أنست به ، والفت بينهم تأليفاً : إذا جمعت بينهم بعد تفرق ، وتألف : تنظم . <٢>

وتألف فلان فلاناً : اذا داراه وآنسه وقاربه وواصله حتى يستميله اليه <٣> والإلف : إجتماع مع التئام <٤> والألفة : ضد الوحشة . <٥>

وجميع معانيها تدور حول الإجتماع والإتفاق بعد الوحشة والافتراق .

وعرفها الجرجاني بأنها : إتفاق الأراء في المعاونه على تدبير المعاش . <٦>

(والألفة تدل على الإلتصاق ولفظ الجمع لايدل على ذلك فقولك جمعت بين القوم في المجلس لايدل ذلك على أنك الصقت أحدهم بصاحبه ، ولاتقول الفتهم بهذا المعنى ، وتقول فلان يؤلف بين الزانيين لما يكون من إلتزاق أحدهما بالآخر عند النكاح ، ولذلك لايستعمل التأليف إلا في الأجسام ، والألفه في العربيه تفيد الموافقة ، والجمع لايفيد ذلك ولهذا قال تعالى : " وألف بين قلوبهم " لأنها اتفقت على المودة والمصافاة ، ومنه قيل الألفان والأليفان : لموافقة أحدهما صاحبه على المودة والتواصل والأنسه) <٧> .

---

١ ـ مقايس اللغة [ ١ : ١٣١ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ١١ : ٩ ـ ١٢ ] .

٣ ـ تاج العروس [ ٦ : ٤٣ ] .

٤ ـ المفردات في غريب القرآن [ ٢٠ ] .

٥ ـ بصائر ذوى التميز [ ٢ : ٤ ] .

٦ ـ التعريفات [ ٣٤ ] .

٧ ـ الفروق اللغوية [ ١١٨ ] .

فالألفة نوع من الرحمة سببها الإيمان وهى أول ما يرفع من الناس ، روى ابن جرير الطبرى بسنده عن عمير بن إسحاق قال : كنا نتحدث أن اول ما يرفع من الناس ، أو قال عن الناس : الألفة ‹١› .

والتألف الذى تولى الله إيقاعه في قلوب المؤمنين مخالف للتألف الكسبى وهو التشاكل في الخير والشر والصلاح والفساد .

فقد روى من حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : سمعت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : ( **الأرواح جنود مجنده فما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها أختلف** ). ‹٢›

يقول القرطبى : ( تتشاكل أشخاص النوع الواحد وتتناسب بسبب ماأجتمعت فيه من المعنى الخاص لذلك النوع للمناسبه ولذلك نشاهد أشخاص كل نوع تألف نوعها وتنفر من مخالفها ثم إنا نجد بعض أشخاص النوع الواحد يتآلف وبعضها يتنافر ، وذلك بحسب الأمور التى يحصل الإتفاق والإنفراد بسببها ). ‹٣›

فهذا أمر تتساوى فيه الأمم فكل يعمل على شاكلته فالألفه الأولى لاتكون الابعد الثانية ، لهذا إذا وجد الإنسان من نفسه نفره ممن له فضيلة أو صلاح فينبغى أن يبحث عن سبب ذلك ليتسنى له إزالته حتى يتخلص من الذم .

( والحديث يشير إلى معنى التشاكل في الخير والشر وإن الخير من الناس يحن الى شكله والشرير يميل الى نظيره ، والأوراح إنما تتعارف بضرائب طبائعها التى جبلت عليها من الخير والشر فإذا أتفقت الأشكال تعارفت وتآلفت وإذا اختلفت تنافرت وتناكرت ) . ‹٤›

---

١ ـ جامع البيان [ ١٠ : ٣٦ ] .

٢ ـ صحيح البخارى ، كتاب الأنبياء باب [ ٢ ] . انظر فتح البارى [ ٦ : ٣٦٩ ] .

٣ ـ فتح البارى [ ٦ : ٣٧ ] .

٤ ـ عمدة القاري [ ١٥ : ٢١٦ ] نقلاً عن الخطابي .

فهذا ميل بالطبع مكتسب ، ففى حديث ابى هريزة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ( **المؤمن مؤلف ولاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف**)<١> وفعلاً لاخير في غير المؤمن ففى حديث ابى هريرة ـ رضي الله عنه ـ أيضاً عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ( **إن للمنافقين علامات يعرفون بها تحيتهم لعنة وطعامهم نهبه وغنيمتهم غلول ، ولايقربون المسجد الا هجراً ولا يأتون الصلاة الا دبرا مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون خشب بالليل صخب بالنهار** )<٢> .

وكأنى بهذا الحديث يحكى عن الواقع فالتآلف بين القلوب شبه مفقود الا ما رحم ربك .

وما المعاملات الحسنة الجارية بين المسلمين الا بقايا الألفة التى خلقها الله في قلوبهم تضىء على قدر إستعدادهم العقدى ، ورحم الله صاحب الظلال اذ يقول : ( ان هذه العقيدة عجيبة فعلاً . إنها حين تخالط القلوب تستحيل الى مزاج من الحب والألفة ومودات القلوب التى تلين قاسيها وترقق حواشيها وتندى جفافها وتربط بينها برباط وثيق عميق رفيق ، فاذا نظرة العين ولمسة اليد ونطق الجارحه وخفقه القلب ترانيم من التعارف والتعاطف والولاء والتناصر والسماحة والهوادة لا يعرف سرها الا من الف بين هذه القلوب ولا تعرف مذاقها الا هذه القلوب ) <٣> .

هذه المنح الإلهية لقلوب عامرة بالإيمان انتجت صحابه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن سار على دربهم ، هذه المنح والعطايا الآلهيه كالرأفة والرحمة والتآلف في قلوب أحبابه لابد أن تثمر زيادة الإيمان وقوة اليقين ، وإجتماع احبة المصطفى اكثر ما يكون في بيوت الله ، وبيوت الله مظان نزول السكينة وترابطهم يشتد في ميادين القتال لإعلاء كلمة الله لأنهم أحوج مايكونوا إلى السكينه فينزلها الله في قلوبهم .

---

١ ـ مسند أحمد [ ٢ : ٤٠٠ ] . والحديث صحيح / الأحاديث الصحيحه للألبانى ( ٤٢٦ ) .

٢ ـ مسند أحمد [ ٢ : ٢٩٣ ] . وفيه عبد الملك بن قدامه وثقه يحى بن معين وغيره وضعفه الدارقطنى مجمع الزوائد [ ١ : ١١٢ ] .

٣ ـ في ظلال القرآن [ ٣ : ١٥٤٨ ] .

# المبحث السادس

# السكينـــــــــــــة

وقد ذكر الله السكينة في كتابه في ست مواضع :

الأول : قوله تعالى : " وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم " [ البقره : آيه ٢٤٨ ] .

الثانى : قوله تعالى : " ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين " [التوبة : آيه ٢٦ ] .

• الثالث : قوله تعالى : " إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل لله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها " [ التوبة : آيه ٤٠ ] .

الرابع : قوله تعالى : " هو الذى أنزل السكينه في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم " [ الفتح : آيه ٤ ] .

الخامس : قوله تعالى : " لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينه عليهم وأثابهم فتحاً قريبا " [الفتح: آيه ١٨ ] .

السادس : قوله تعالى : " أذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهليه فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين " [ الفتح : آيه ٢٦ ]

وفي الآية الرابعه من سورة الفتح ذكر الحق سبحانه انه ينزل السكينه في قلوب المؤمنين وهذا مدار الباب .

والسين والكاف والنون أصل واحد يدل على خلاف الإضطراب والحركة ، يقال سكن الشيء يسكن سكوناً فهو ساكن ؛ ومن الباب السكينه : وهو الوقار.<١>

---

١ ـ مقاييس اللغة [ ٣ : ٨٨ ] .

والسكينه : الوادعة والوقار والأمن : يقال رجل وديع وقور ساكن هادىء .

وقيل السكينه هى : الطمأنينه ، وقيل : النصر . <١>

وقيل السكينه والسكن واحد وهو زوال الرعب ، وقيل العقل . <٢>

فالسكينه : السكون الذي ينزله الله تعالى في قلب عبده المؤمن عند اضطرابه من شدة المخاوف فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه ، ويوجب له زيادة الايمان وقوة اليقين والثبات ولهذا أخبر سبحانه وتعالى عن إنزالها على رسوله وعلى المؤمنين في مواضع القلق والإضطراب كيوم الغار ويوم حنين . <٣>

فعلى هذا تكون السكينة موهبة غير مكتسبه ، لأن الله سبحانه أنزلها على رسوله وعلى المؤمنين في مواضع القلق والإضطراب فأطمأنت قلوبهم ولا تنزل على غير المؤمنين .

فتفسير السكينه بمعى الطمأنينه والوقار فيه تقريب للمفهوم ، وما الطمأنينه والوقار الا أثراً من آثار السكينه وموجب من موجباتها ، وقد أوضحت الفارق بين الطمأنينه والسكينه في اطمئنان القلب فالطمأنينه اعلى من السكينه لأنها دائمة لا تفارق صاحبها والسكينه تكون حيناً بعد حين نوضحها بمثال

من واجهه عدو بيده سلاح يريد هلاكه فانه يقلق ويخاف ويضطرب فاذا أغمد العدوسلاحه وبعد عنه ، فانه يسكن ما به من قلق ، فاذا لقى مكاناً آمنا فيه أمة تحميه من عدوه اطمأن وأمن ، وكان في ذلك قوة له على عدوه .

---

١ ـ لسان العرب [ ١٣ : ٢١٤ ] ، تفسير القرطبي [ ١٦ : ٢٦٤ ] .

٢ ـ المفردات في غريب القرآن [ ٢٣٧ ] .

٣ ـ مدارج السالكين [ ٢ : ٥٠٣ ] ، تاج العروس [ ٩ : ٢٣٩ ] .

# أقسام السكينه :

ورد لفظ السكينه في سورة البقره في سياق قصه بنى اسرائيل قال تعالى: " وقال لهم نبيهم إنَّ آية ملكه أنْ يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم " [ البقرة : آيه ٢٤٨ ] .

نجد إختلاف أهل التفسير في معنى السكينه هل هى عين قائمة بنفسها . أى شيء حسى أم أمر معنوى ؟

فمنهم من جعلها حسى ومنهم من جعلها معنوى .

( والنوع الحسى : للأنبياء معجزة وللملوكهم كرامة ، وهى آيه النصر تخلع قلوب الاعداء بصوتها رعباً اذا التقى الصفان للقتال ) . <١>

وقد ورد في حديث البراء ـ رضي الله عنه ـ قال كان رجل يقرأ سورة الكهف والى جانبه حصان مربوط بشطنين فتغشته سحابه فجعلت تدنو و تدنو وجعل فرسه ينفر ، فلما أصبح اتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكر ذلك له فقال :( **تلك السكينه تنزلت على القرآن** ). <٢>

---

١ ـ مدارج السالكين [ ٢ : ٥٠٥ ] .

٢ ـ رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب فضل الكهف ، انظر فتح الباري [ ٩ : ٥٧ ، ٦٣ ] .

والرجل هو أسيد بن حضير - رضى الله عنه - وقد اورد له الأمام البخارى حديثاً في نفس الكتاب باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن ولكن عند قرآته لسورة البقرة ، وقد وقع لثابت بن شماس رضى الله عنه عند قرأته لسورة البقره أيضا كما ذكر ذلك ابن حجر رحمه الله عند شرحه لحديث أسيد .

ولعل هذه السكينه حسيه إذ تسببت في نفر الفرس حتى كادت أن تصيب ابن أسيد وقد رأها مثل الظله فوق رأسه فيها أمثال المصابيح عرجت الى السماء حتى مايراها . سواء كان ذلك ملائكة أو ما ذكره أهل التفسير .

أما المعنوى فسرها صاحب منازل السائرين <١> فقال [هى التى نزلت على قلب النبى - صلى الله عليه وسلم - وقلوب المؤمنين ، وهى شيء يجمع قوة وروحاً ، يسكن اليه الخائف ، ويتسلى به الحزين والضجر ، ويسكن اليه العصى والجريء والأبى . <٢>

فإذا وهب الله عبداً من عباده السكينه فإن كان خائفاً سكن وإن كان حزيناً تسلى ، وإن كان صاحب معصيه وجرأة على المخالفة والإباء استكان اليها ، ولا تعارض بين صاحب المعصية والجرأة على المخالفة وبين المؤمن ، فقد يكون المؤمن مرتكباً لبعض الآثام فتنزل عليه السكينة فيتوب ويرجع الى الحق .

---

١ - منازل السائرين لعبدالله بن محمد بن إسماعيل الأنصاري الهروي الحنبلي المتوفى ٤٨١هـ ، شرحه علماء كثير منهم الإمام ابن القيم الجوزية ، عن كشف الظنون [ ٢ : ١٨٢٨ ] .

٢ - مدارج السالكين [ ٢ : ٥٠٧ ] .

وقال أكثر المفسرين في نزول السكينه على قلوب المؤمنين انها الأمن والطمأنينه . <١>

كما ورد في حديث ابى هريرة ـ رضى الله عنه ـ الذى قال فيه (**وماأجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينه وغشيتهم الرحمه .. الحديث** ) <٢> .

والحديث بين أن هناك فرق بين السكينة والرحمة ، لعطف الرحمة علي السكينة واختار الامام النووى أنها الطمأنينه والوقار ( وكلمة النزول تدل على علو شان المنزل وتدل على أن القلوب منزلاً ومأوى لها ) <٣> .

وهناك أمر معنوى ايضاً ، فقد ورد في حديث وهب السوائى قال : ( خطبنا على ـ رضى الله عنه ـ فقال : من خير هذه الأمة بعد نبيها ، فقلت : أنت ياأمير المؤمنين . قال :لا . خير هذه الأمه بعد نبيها ابو بكر ، ثم عمر ـ رضى الله عنهما ـ ومانبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر ـ رضى الله عنه . <٤>

ويقول ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ( كنا نتحدث ان السكينه تنطق على لسان عمر وقلبه <٥>

فهذه السكينه التى تنطق على لسان المحدث ليست كسبيه إنما هبة من الله يظهر أثرها في إصابة القول والحكمة ، فبعد إطمئنان القلب وسكون الجوارح يكتسب العبد الوقار فيوفقه الله إلى إصابة القول والعمل .

---

١ ـ زاد المسير [ ٣ : ٤١٦ ] ، روح المعاني [ ٢٦ : ٩٢ ] .

٢ ـ صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء باب (١١) وفي شرح النووى [ ١٧ : ٢١ ] . .

٣ ـ روح المعاني [ ٢٦ : ٩٢ ] .

٤ ـ مسند أحمد [ ١ : ١٠٦ ] .

٥ ـ مدارج السالكين [ ٢ : ٥٠٦ ] .

وهذا نوع كسبى ومداره اللغة : وهو الإطمئنان والوقار كما ورد في حديث أبى بريده عن ابيه قال : إن اناساً مروا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بجنازه يسرعون بها فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (**لتكن عليكم السكينه** ). <١>

وكذلك في حديث أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ مثله . <٢>

وفي حديث عمران بن حصين قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : **الحياء لايأتى الابخير** فقال بشير بن كعب . مكتوب في الحكمة إن من الحياء وقاراً ، وإن من الحياء سكينه .. الحديث . <٣> رواه البخارى

وقال فيه إبن حجر إن من الحياء ما يحمله على ان يسكن عن كثير مما يتحرك الناس فيه من الأمور التى لاتليق بذى المروءة ، والمراد من الحياء : الحياء المكتسب هو الذى جعله الشارع من الإيمان وهو المكلف به دون الغريزى .

والمهم في البحث هو الأمر المعنوى للسكينه التى أنزلها الله في قلوب المؤمنين تعطيهم زيادة إيمان وثبات في الأمر وينزلها الله وقت الحاجه .

---

١ ـ مسند أحمد [ ٤ : ٤٠٣ ] . في اسناده ليث بن أبى مسليم القرشى فيه كلام / الفتح الربانى (٩:٨).

٢ ـ مسند أحمد [ ٤ : ٤١٢ ] . في اسناده ليث بن أبى سليم القرشى فيه كلام / الفتح الربانى (٩:٨) .

٣ ـ صحيح الإمام البخارى كتاب الأدب باب الحياء حديث ٦١١٧ وفى فتح البارى [ ١٠ : ٥٢١ ]

# المبحث السابع

## ربـــــــط القلـــــوب

ومن فعل الله في القلب الربط : ويحصل من الله وقت الإحتياج ، ليعلم العبد ان فوقه قوة هى قوة الله تدبر أمره وتربط على قلبه بما فيه ، فسبحان خالق القلوب العليم بأسرارها عندما يفقد المرء وعيه وإدراكه وشعوره وأحساسة في لحظة من لحظات الفراغ فان قدرة الله تنقذه ، تقف بجانبه تربط على قلبه .

وعندما يستمر في طغيانه وكفره لا تفلح معه دعوة الرسل ولا يعى لمنطوق الحق ، خضع للإمتحان الإلهي ففشل ، ولافائدة ترجى ولاأمل ، كان جزاؤه الربط على قلبه بما حوى .

فالربط كما يكون للمؤمن يكون لضده وشتان بين جراب مسك وجراب عفن ولولا الربط على القلب ما تجرأ أصحاب الكهف أمام الطغيان قال تعالى : "فقالوا ربنا رب السموات والأرض " [ الكهف : آية ١٤ ] ولكنهم صرحوا بها ، وصرح بها من بعدهم أمم أمام طغاه الحياة فكان الجهاد لتكون كلمة الله هى العليا ، وكان وتم ، وما انتصر الحق ولا ثبت قدم مجاهد في معركة الا بربط القلوب .

والربط في التنزيل ذكر في خمس مواضع إرتبط بالقلب في ثلاث منها :

الأول : في غزوة بدر الكبرى قال تعالى : " إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام " [ الانفال : آيه ١١ ] .

الثاني : في قصة أصحاب الكهف قال تعالى : " وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه آلهاً لقد قلنا إذا شططا " [ الكهف : آيه ١٤ ] .

الثالث : في قوله تعالى : " وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين " [ القصص : آيه ١٠ ] .

والراء والباء والطاء أصل واحد : يدل على شد وثبات ، من ذلك ربطت الشىء أربطه ربطاً ، والذى يشد به رباط .

ومن ألباب الرباط : ملازمة ثغر العدو كأنهم قد ربطوا هناك فثبتوا به ولازموه . ورجل رابط الجأش أى شديد القلب والنفس . ‹١›

وأصل الرباط : الحبس كان المرابط حبس نفسه على هذه الطاعة . ‹٢›

والرباط : المواظبة على الأمر .

وقال ابن الأثير ‹٣› : الرباط في الأصل : الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها . ‹٤›

وفي الحديث الصحيح عن ابى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال ( **الا ادلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا الى المساجد ، وإنتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط** ) ‹٥› .

فالرباط في الحديث حبس النفس على الطاعة ، فهو بمعنى المواظبة على أعمال مخصوصه والربط من الرباط ، ففى مرحلة معينه من مراحل القلب يربط الحق تبارك وتعالى على قلب العبد بما حوى ليكرمه بأمر أو ليخذله في الدارين .

فعندما أصبح فؤآد أم موسى فارغاً - والفؤآد كما ذكرت : جوهر القلب ولبه فهو مقر العقل - دهمها من الخوف والحيرة ما سلب عقلها عندما علمت بوقوعه في يد فرعون ربط الله على قلبها بالصبر والثبات لتزداد صدقاً ويقيناً بوعد الله وحفظه .

وفي غزوة بدر الكبرى أكرم الله المجاهدين بالربط على قلوبهم .

---

١ - معجم مقاييس اللغة [ ٢ : ٤٧٨ ] .

٢ - هدى الساري : [ ١٢١ ] ، صحيح مسلم بشرح النووي [ ٢ : ١٤١ ] .

٣ - ابن الأثير = المبارك بن محمد بن محمد ابو السعادات ، محدث لغوي أصول ، ت ٦٠٦ هـ الأعلام ، ٥ / ٢٧٢ .

٤ - النهاية في غريب الحديث [ ٢ : ١٨٥ ] .

٥ - رواه مسلم في كتاب الطهارة ، باب فضل اسباغ الوضوء على المكاره ، وفى شرح مسلم للنووي [ ٣ : ١٤١ ] .

وقال النيسابورى <١> في غرائب القرآن في معنى ( على ) أن القلوب إمتلات من ذلك الربط حتى كأنه علاها وارتفع فوقها . <٢>

فغشاهم النعاس وأنزل المطر وثبتت أقدام المجاهدين بتلبد الرمل الذى كان بينهم وبين العدو ، وبربط القلوب ، فكان لها صبر على ملاقاة المشركين حتى تم مراد الله بنصر زمرته المؤمنه الطاهرة .

وكذلك أصحاب الكهف بعد إيمانهم زادهم الله هدى وربط على قلوبهم ، قال ابو السعود في معنى الآيه ( أى قويناهم حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الأهل والأوطان والنعيم والإخوان واجترأوا الصدع بالحق من غير خوف . <٣>

فالحق ربط على قلوبهم فألهمها الصبر على مشاق هجر الأحبة ومواجهة الاعداء لإظهار شعار الدين من غير مبالاة من دقيا نوس الجبار . <٤>

فالربط هبة من الحق لمن احب وعقاب منه لمن عصى ، فالكافر قلبه أغلف ربط على غلافه ففى حديث ابى سعيد الحذرى ـ رضى الله عنه ـ الذى ذكر فيه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قسم القلوب إلى أربعه وفيه ( **وقلب أغلف مربوط على غلافه ـ وفسره ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال ( وأما القلب الأغلف فقلب الكافر** .. الحديث ) <٥> .

فقلب الكافر الحقيقى هو المربوط عليه فلا يدخله إيمان جزاء إصراره وعناده بعد معرفته للحق ـ وصدق اليقين .

---

١ ـ النيسابوري = الحسن بن محمد القمي النيسابوري نظام الدين ، مفسر توفى بعد (٨٥٠ هـ )، الاعلام ٢١٦/٢ .

٢ ـ غرائب القرآن [ ٩ : ١٣١ ] .

٣ ـ تفسير ابي السعود [ ٣ : ٥٠٣ ]

٤ ـ دقيانوس ويسمى قلديانوس ملك في بلاد الروم أو نينوي قبل زمن المسيح ، البداية والنهاية [٢ : ١١٤]

٥ ـ مسند أحمد [ ٣ : ١٧ ] . وقال ابن كثير اسناده جيد حسن [ تفسير ابن كثير ١ : ٥٦ ] .

## المبحث الثامن

## امتحان الله للقلوب وتمحيصها

المؤمن يتقلب في نعيم الله ويسعد بقلبه ويسعد قلبه به ولابد للقلوب المؤمنة من امتحان ولا بد لها من تمحيص ، أى القلوب يستحق أن يتدرج في هذه المراتب وقد أمتحنت قلوب الصفوة الطاهرة وكانت أهلاً للنجاح قال تعالى : " انّ الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين أمتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم " [ الحجرات : آيه ٣ ] .

والمحن : الإختبار ‹١› يقال محنه : إختبره وجربه ، ومثله امتحنه .

والمحنة : ما يمتحن به الانسان . ‹٢›

فقد امتحن الله المؤمنين أن يخفضوا عند رسول الله إذا تكلموا اجلالاً له أو كلموا غيره بين يديه اجلالاً له وامتثلوا للامتحان فكان الصديق رضى الله عنه يخاطبه كأخى السرار والصحابة مثله فأخلص الله قلوبهم للتقوى .

( قال ابن عباس ـ رضى الله عنها ـ في معنى الآيه : أى طهرهم من كل قبيح ) ‹٣› .

ويقول الفخر الرازى ( من يقدم نفسه ويرفع صوته يريد اكرام نفسه واحترام شخصه فقال تعالى ترك هذا الاحترام يحصل به حقيقه الاحترام وبالإعراض عن هذا الاكرام يكمل الإكرام لأن به تتبين تقواكم) ‹٤› .

فلا بد للقلوب أن تمتحن بأنواع المحن والتكاليف قال تعالى : " فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين " [ العنكبوت : آيه ٣ ] .

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٥ : ٣٠٢ ] ، لسان العرب [ ١٣ : ٤٠١ ] .

٢ ـ دائرة معارف القرن العشرين [ ٨ : ٤٦٠ ] .

٣ ـ تفسير القرطبي [ ١٦ : ٣٠٨ ] .

٤ ـ التفسير الكبير [ ٢٨ : ١١٥ ] .

ومن القبيل التمحيص لتتبين الجوده من الرداءة . قال تعالى : " وليبتلي الله ما في صدورهكم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور " [ آل عمران : آيه ١٥٤ ] .

والميم والحاء والصاد أصل واحد يدل على تخليص شيء وتنقيته ، ومحص الله العبد من الذنب : طهره منه ونقاه ، ومحصت الذهب بالنار : خلصته من الشوب <١> وتمحيص الذنوب تطهيرها . <٢>

والتمحيص الإبتلاء والختبار . <٣>

قال ابن كثير في معنى الآيه ( أى يختبركم بما جرى عليكم ليميز الخبيث من الطيب ، ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس في الأقوال والافعال ) <٤> .

والتمحيص عملية تتم في داخل القلب ، عملية كشف لمكنونات شخصيه الفرد تنقيه من الغش والشر تترك القلب نقياً طاهراً مستقراً على الحق لاغشاء ولاضباب هذا التمحيص يعرف الفرد بنفسه ليحاول إصلاحها وتطهيرها ، ويعرفه بقلبه ليصلح اعوجاجه فيجعله في منهج مستقيم يرتقى مراتب الايمان خطوه تلو أخرى ، حتى يرتقى الى الدور المقدر له . هذا التمحيص فعل في القلب وفعل الله في القلوب مجهول الكنه والكيف معروف النتائج في القلوب الطاهرة الندية ، ينفى عنها الزيف والرياء فلا يبقى فيها غش ولا دغل ، فالمسار طويل أمامها حتى تصل الى الكمال .

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٥ : ٣٠٠ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ٧ : ٩٠ ] .

٣ ـ تاج العروس [ ٤ : ٤٣٥ ] .

٤ ـ تفسير القرآن العظيم [ ١ : ٤١٨ ] .

# الباب الثالث

# القلب المريض

الفصل الأول : سبب مرض القلب

الفصل الثاني : أمراض القلوب ودركاتها

# الفصل الأول

## اسباب امراض القلوب

المبحث الأول : تعريف المرض .

المبحث الثاني : اسباب ضعف القلب وما يترتب على ذلك .

# المبحث الأول

## تعريـــف المـــــرض

الميم والراء والضاد . أصل صحيح يدل على مايخرج به الأنسان عن حد الصحة في أي شيء كان ، منه العلة . <١>

أو هو خروج الطبع عن حال الإعتدال <٢> وهو نقيض الصحة ، وأصل المرض النقصان . <٣>

وعرف أيضاً بأنه صفة توجب وقوع الضرر في الأفعال الصادرة عن موضع تلك الصفة <٤> وهو نوعان :

الأول : مرض جسماني : وهو تغير في نسيج أو عضو أو مجموع يوجب تشوشاً في عمله أو يمنع إتمام وظيفة من الوظائف الجسديه . <٥>

ومنه قوله تعالى : " فمن كان منكم مريضاً أو على سفر " [ البقرة : آيه ١٨٤ ] * وقوله تعالى " ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج " [النور : آيه ٦١، الفتح : آيه ١٧ ] .

والثاني :( مرض نفساني : وهو عبارة عن الظلم والجهل والجبن والبخل والنفاق وغيرها من الرذائل الخلقية والسجايا الخبيثه ) . <٦>

كما قوله تعالى : " في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً " [البقرة : آيه ١٠ ] * وقوله تعالى : " وليقول الذين في قلوبهم مرض " [ المدثر : آيه ٣١].

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٥ : ٣١١ ] ، المفردات [ ٤٦٦ ] .
٢ ـ بصائر ذوي التميز [ ٤ : ٤٩٢ ] .
٣ ـ لسان العرب [ ٧ : ٢٣١ ] .
٤ ـ التفسير الكبير [ ٢ : ٦٤ ] .
٥ ـ دائرة معارف القرن العشرين [ ٨ : ٧٣٧ ] .
٦ ـ المفردات [ ٤٦٦ ] ، بصائر ذوي التميز [ ٤ : ٤٩٢ ] .

وذكر أهل التفسير أن المرض في القرآن على ثلاثة أوجه : <١>

أحدها : مرض البدن . ومنه قوله تعالى : " فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه " [ البقرة : آيه ١٩٦ ] .

الثاني : الشك ومنه قوله تعالى : " في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً " [ البقرة : آيه ١٠ ] * وقوله تعالى : " وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم " [ التوبة : آيه ١٢٥ ] .

الثالث : الفجور . ومنه قوله تعالى : " فيطمع الذي في قلبه مرض " [الآحزاب : آيه ٣٢ ] .

وفيها " لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض " [ الآحزاب : آيه ٦٠ ]

والمرض النفساني إذا أطلق فالمراد به عموم الأمراض الباطنه التي تتناول الصدر أو القلب ( فالنفس في كلام الله وصفت بثلاث أوصاف وهي نفس واحدة ولها صفات متغايره فالسكينه مزيد الإيمان وبها تحصل الطمأنينه ويرتقي القلب إلى مقام الروح وتتوجه النفس إلى مقام القلب وفي ذلك طمأنيتها فهي إذا المطمئنه . واذا انزعجت عن مقار جبلاتها متطلعة إلى مقار الطمأنينه فهي اللوامه ، فإذا قامت في محلها لايغشاها نور المعرفة والعلم فهي الأمارة بالسوء . فالنفس والروح يتطاردان فتارة تملك القلب دواعي الروح وتارة تملكه دواعي النفس ) <٢> .

---

١ ـ نزهة الأعين النواظر [ ٥٤٦ ] ، اصلاح الوجوه والنظائر [ ٤٣٢ ] .

٢ ـ اتحاف السادة المتقين [ ٧ : ٢٠٧ ] .

## المبحث الثانى

## أسباب ضعف القلب وما يترتب على ذلك

والمقصود أن أمراض القلوب تأتي اليها من قبل النفس ، فإذا كانت عامرة بالإيمان فهي في مكمن حصين لاتمرض بذاتها ، مفطورة على التوحيد وليس للشيطان مسلك إلى القلب إنما مسلكه النفس .

( فإن القلوب كالأواني مادامت مملؤه ماء لايدخلها الهواء لإشتغال المكان ) ‹١› .

فما دامت عامرة بما مر في حياة القلوب فلا يمكن إغواءها بحال كما قال تعالى : " إنَّ عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ " [ الحجر : آيه ٤٢ ] .

إنما إذا كانت خالية من مراتب الإيمان أي على الفطرة فالفطرة تحرف إذا وجدت من يغويها إلى طريق الضلال فهي نقطة نور أقرب إلى الحق منها إلى الغواية ، إلابقوة خارجيه تحرفها عن الجادة .

فإذا انحرفت الفطرة بفعل النفس الأمارة بالسوء أثرت على القلب إما بالشهوات أو الشبهات كما مر ، لخلوه من الإيمان فينجرف حيالها بما يملأ فراغه نكتة بعد أخرى كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه عنه أبو هريره - رضي الله عنه - ( **إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكته سوداء فإن تاب صقل منها ، فإن عاد زادت حتى تعظم في قلبه فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل " كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون "** ) ‹٢› .

( فالذنوب والمعاصي تضر ، ولابد أن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان على إختلاف درجاتها في الضرر ) ‹٣› .

والذنوب مختلفة المراتب فمنها صغائر ومنها ما توعد باللعنه أو بالحد لفاعله .

---

١ - اتحاف السادة المتقين [ ٧ : ٢٢٠ ] .

٢ - المستدرك كتاب الإيمان ج ١ / ٥ ، وقال حديث صحيح .

٣ - الداء والدواء : ( ٦٠ ) المسمى بالجواب الكافي ، ابن قيم الجوزنه ، دار المدني ، جده ١٤٠٣ هـ .

فمتى مرض القلب وهو الملك أثر على بقية الجوارح كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ( **الاوإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب** ) ‹١› .

أصبح به علة مع بقاء حياته فله مادتان تمده هذه مرة وهذه اخرى وهو لما غلب عليه منها فهو قلب مصفح كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم ( وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقله يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحه يمدها القيح والدم فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه ) ‹٢› .

ففيه من محبة الله والإيمان به ما هو مادة حياته ، وفيه من محبة الشهوات والشبهات ماهو مادة لهلاكه ، وهو يجيب أدناهما اليه جواراً .

فأمراض القلب هي أمراض النفس بالدرجة الأولى ولكن جار السوء له سلطان يؤثر على الضعيف حتى يصبح التأثير صفة غالبة عليه ، فما يلقيه الشيطان في النفس يكون فتنه للقلب المريض أو الميت وقوة للقلب الحي السليم .

قال حذيفه بن اليمان رضي الله عنه : ( **سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى يصير القلب على قلبين أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض ، والأخر أسود مرباداً كالكوز مُجَخِّياً لايعرف معروفاً ولاينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه** ) ‹٣› . ومعنى مجخياً:أي مائلا ‹٤› .

---

١ ـ جزء من حديث رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير ، صحيح البخاري ٢٠/١ كتاب الإيمان .

٢ ـ جزء من حديث رواه الإمام أحمد في مسنده ، ج٣ : ١٧ ، عن أبي سعيد الخدري ، وقال ابن كثير في تفسيره [ ١ : ٥٦ ] إسناده جيد حسن .

٣ ـ صحيح مسلم [ ١٤٤ ] كتاب الإيمان ج١ : ١٢٨ ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً .

٤ ـ القاموس المحيط : ١٦٣٨ .

فليست كل الذنوب مؤثره على القلب إنما ماسكن فيه والزم به ، فإذا أشرب القلب حب الفتنه أتته النكته كما قال تعالى : " وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم " [ البقرة : آيه ٩٣ ] .

فهو دخول تام والزام حتى تحل منه محل الشراب ثم يتدرج به النكت والنكت هو النقطة في الشيء بخلاف لونه ( وهو شبه الوسخ في المرآة ) ‹١› حتى يحيط بالقلب فيصبح محصوراً وهو المشار إليه في الحديث ( كالحصير عوداً عوداً ) .

والمعنى أنها تحيط بالقلوب كالمحصور المحبوس ، يقال حصره القوم إذا أحاطوا به وضيقوا عليه واحد تلو الآخر ومرة بعد آخرى ، فبعد أن كان القلب أبيض مثل الصفا لاتلصق فيه الفتن لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل والزلل أصبح مربادا لونه بين السواد والغبره ، فإذا استمر على ماهو عليه مال ثم انتكس فأصبح كالكوز مجخياً لايعلق به خير ولاحكمة فهو قلب ميت .

والمجخي : ( المائل عن الإستقامة والإعتدال يقال جخي الرجل في جلوسه إذ جلس مستوفزاً وجخي في صلاته إذا جافي عضد به عن جوفه ورفع جوفه عن الأرض وخوى ) ‹٢› .

والتشبيه بالكوز المائل دليل على أن القلب كان مملوءاً بالخير إما الفطرة أو نور الإسلام فلا يزال يميل وفي الميل سكب لما فيه حتى ينسكب ماحوى من الخير فلا يدخله شيء بعد ذلك فمادام عامراً ملآناً بالإيمان لايؤثر فيه شيء فإذا بدأ في مراحل الإنتكاس وبدأت أعراض الضعف عليه تسلطت عليه النفس بقوتي الشهوات والشهبات فيتحمل من الآثام مايلقيه إلى مهاوي الموت .

---

١ ـ القاموس المحيط [ ٢٠٧ ] .

٢ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول [ ١٠ : ٢٢ ] مجد الدين المبارك بن محمد بن الاثير توفى ٦٠٦ هـ ، تحقيق عبدالقادر الارناؤوط ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت .

# الفصل الثاني

## امراض القلوب ودركاتها

المبحث الأول : آثام القلب .

المبحث الثاني : صفو القلب .

المبحث الثالث : زيغ القلب .

المبحث الرابع : غل القلب .

المبحث الخامس : القلب الغليظ .

المبحث السادس : غيظ القلوب .

المبحث السابع : إباء القلب .

المبحث الثامن : القلب والكبر .

المبحث التاسع : نفاق القلب .

المبحث العاشر : الكفر والقلب .

المبحث الحادي عشر : اثر الذنوب على القلوب .

# المبحث الأول

# آثـــام القلـــب

والإثم : الذنب ، وقيل هو أن يعمل ما لايحل له . <١>

والآثام : جزاء الاثم أي العقوبه <٢> ومنه قولـه تعالـى " ومن يفعل ذلك يلق أثاماً " [ الفرقان : آيه ٤٨ ] .

وأيضاً : اسم للأفعال المبطئه عن الثواب . <٣>

وقد نسب الله تعالى الإثم إلى القلب فقال عز وجل " ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه " [ البقرة : آيه ٢٨٣ ] .

ونسب الإثم إلى القلب دليل على أنه أشرف الأجزاء في الإنسان والمسيطر عليها ولبيان أهمية فعله على سائر الجوارح فهي تابعة له .

وقيل : ( أسند الإثم إلى القلب لئلا يظن أن كتمان الشهادة من الأثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعد ان أقترافه ) <٤> .

وقال الرازي : ( إن كثيراً من المتكلمين قالوا : إن الفاعل والعارف والمأمور والمنهي هو القلب ) <٥> .

وقد وردت المادة في القرآن على أربعة أوجه :

فوجه منها الإثم : يعني الشرك : ومنه قوله تعالى : " لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت " [ المائدة : آيه ٦٣ ] .

---

١ ـ القاموس المحيط [ ١٣٨٨ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ١٢ : ٦ ] .

٣ ـ المفردات [ ١٠ ] .

٤ ـ روح المعاني [ ٣ : ٦٢ ] .

٥ ـ التفسير الكبير [ ٧ : ١٢٣ ] ، وسنتطرق لهذا في باب القلب والمعرفة . ص :

الثاني : الإثم : يعني المعصية ، ومنه قوله تعالى : " فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم " [ المائدة : آيه ٣ ] أي غير متعمد لمعصية ، ومنه قوله تعالى : " قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن والإثم والبغي " [الاعراف : آيه ٣٣ ] يعني المعاصي وقيل الخمر .

الثالث : الإثم : الذنب ، كما في قوله تعالى : " فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه " [ البقرة : آيه ٢٠٣ ] يعني فلا ذنب عليه أي ذنبه مغفور .

الرابع : الإثم : يعني الخطأ ، كما في قوله تعالى : " فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً " [ البقرة : آيه ١٨٢ ] أي خطأ وهو قول مقاتل خاصة في العقوبة . <١>

فالإثم أسم جامع لمطلق الذنب الذي يتدرج فيه القلب من عموم المعاصي صغائر وكبائر حتى يهوي به إلى الشرك الأكبر فيختم أو يطبع عليه ، وقد أوضحها ابن القيم مسلسلة فقال : ( أو ل مايطرق القلب الخطرة فان دفعها استراح مما بعدها وان لم يدفعها قويت فصارت وسوسة فكان دفعها أصعب ، فإن بادر ودفعها والاقويت وصارت شهوة ، فان عالجها وإلا صارت ارادة ، فإن عالجها وإلا صارت عزيمة ومتى وصلت إلى هذا الحال لم يكن دفعها ، وأقترن بها الفعل ولابد ) <٢> .

فقبل أن يندفع القلب في الإثم لابدله من الميل إلى هذا المسلك وهو بداية المرض ، فهو مختار في أن يميل إلى طريق الخير أو طريق الضلاله وقد عبر الحق عن ميل القلب بالصغو .

---

١ ـ إصلاح الوجوه والنظائر [ ١٦ ] .

٢ ـ التبيان في أقسام القرآن [ ٤٢٠ ] .

# المبحث الثاني
## صغــــو القلـــــب

وقد وردت هذه المادة مرتين في القرآن الكريم إرتبطت الأولى بالفؤاد في قوله تعالى : " ولتصغى إليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة " [ الأنعام : آيه ١١٣ ] .

والثانية بالقلب في قوله تعالى : " إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما " [التحريم : آيه ٤ ] .

وصغو الفؤاد دليل على صغو القلب ولابد ، لأنه لبه وخالص مافيه وقد قال ابن عباس في تفسير صغو الفؤاد ( أي ولتميل إليه قلوبهم وعقولهم وأسماعهم ) <١> .

يقال : صغي إليه يصغى أي ، مال وكذلك صغى بالكسر يقال : صغيت إلى الشيء اذا ملت ، وصغوه معك : أي ميله معك ، وصغا الرجل : إذا مال على أحد شقيه . <٢>

ويقال في المستمع إذا مال بحاسته إلى ناحية الصوت أنه يصغى <٣> والقلب حاسة قابلة للإنحراف مالم تجد عاصماً يكبحها ، ولاعاصم من وسوسة الانس والجن إلا بالتمسك بما يحى القلب وينميه ، إنما المعوقات هي التي تحول بين القلب والحق . فشياطين الإنس والجن يغر بعضهم بعضاً ، ويحرض بعضهم بعضاً على التمرد والغواية فتصغى إليهم القلوب المريضه ، وفي صغوها زيغان لها والزيغ ميل أيضاً ، إلا أن ( الزيغ مطلقاً لايكون إلا الميل عن الحق ، يقال فلان من أهل الزيغ . ويقال أيضاً زاغ عن الحق . ولا اعرف زاغ عن الباطل ، لأن الزيغ أسم لميل مكروه والميل عام في المحبوب والمكروه ) <٤> .

---

١ ـ تفسير ابن كثير [ ٢ : ١٦٧ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ١٤ : ٤٦١ ] ، تميز ذوي البصائر [ ٣ : ٤١٦ ] ، المفردات [ ٢٨٢ ] .

٣ ـ التفسير الكبير [ ١٣ : ١٥٦ ] ، روح المعاني [ ٨ : ٦ ] .

٤ ـ الفروق اللغوية [ ١٧٦ ] .

# المبحث الثالث

# زيـــــغ القلــــب

والزيغ مرض من أمراض القلوب التي بدأت في طريق الإنحدار ، وقد ذكرت المادة في ثمان مواضع من كتاب الله أرتبطت بالقلب في أربع منها .

الأول : قوله تعالى : " ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب " [ آل عمران : آيه ٨ ] .

الثانية : قوله تعالى : " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه " [ آل عمران : آيه ٧ ] .

الثالثة : قوله تعالى : " لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين أتبعوه في ساعة العسرة من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم " [التوبه : آيه ١١٧ ] .

الرابع : في قوله تعالى : " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدي القوم الفاسقين " [ الصف : آيه ٥ ] .

والزاى والياء والغن : أصل يدل على ميل يقال زاغ يزيغ زيغاً .

والتزيغ : التمايل <١> ، والزائغ : الطالب للفتنه . <٢>

والزيغ : الميل عن الإستقامة ، والزائغ : المائل ، وزاغت الشمس إذا مالت . <٣>

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٣ : ٤٠ ] ، لسان العرب [ ٨ : ٤٣٢ ] .

٢ ـ التفسير الكبير [ ٧ : ١٧٤ ] .

٣ ـ المفردات في غريب القرآن [ ٢١٧ ] ، بصائر ذوي التميز [ ٣ : ١٥٤ ] ، روح المعاني [ ٣ : ٨٢ ] .

وللمفسرين في معناه قولان :

أحدهما : الشك . قاله مجاهد والسدى .

والثاني : أنه الميل . قاله أبو مالك .

وعن ابن عباس كالقولين ، وقيل هو الميل عن الهدى . ‹١›

( ولكن الشك : أستواء طرفي التجويز ، والشاك يجوز كون ماشك فيه على أحدى الصفتين لأنه لادليل هناك ولا أمارة ، فهو إجتماع شيئين في الضمير متناقصين من غير تقوية أحدهما على الآخر ) . ‹٢›

( بينما الميل هو : العدول عن الوسط إلى أحد الجانبين ، ويستعمل في الجور ) . ‹٣›

والحق تبارك وتعالى يصف أهل الزيغ بأنهم يتبعون ماتشابه من القرآن ويتركون الآيات المحكمات فهم مالوا إلى الجانب الذي يرغبون ، أتباعاً للفتنه وإبتغاء تأويله ومابعلم تأويله إلا الله .

كما ان المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حذر أمته من الميل إلى الدنيا وملذاتها فعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال : خرج علينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونحن نذكر الفقر ونتخوفه فقال ( **آ لفقر تخافون ؟ والذي نفسي بيده لتصبن عليكم الدنيا صباً حتى لايزيغ قلب أحدكم إزاغة الاهيه وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء** ) ‹٤› .

---

١ ـ تفسير الطبري [ ٣ : ١٧٦ ] ، زاد المسير [١ : ٣٥٣ ] .

٢ ـ الفروق اللغويه [ ٧٩ ] .

٣ ـ المفردات في غريب القرآن [ ٤٧٨ ] .

٤ ـ سنن ابن ماجه ٤/١ ، المقدمة ، باب [١ ] الحافظ محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة ، تحقيق وترقيم محمد فوآ وعبدالباقي . وقال هذا الحديث مما أنفرد به المصنف .

فالميل إلى طريق الضلال بقرب الإنسان من الهاوية وقد نسب الله للإنسان الزيغ عن الهدى في قوله تعالى : " وإذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدي القوم الفاسقين " [ الصف : آيه ٥ ] .

فاذا مال الإنسان إلى طريق الضلال ولم تنفع معه البينه الواضحه في فترة اختباره التي وهبها الله للقلب أزاغ الله قلبه لأن القلب محل الميل والإرادة ، صالح إذا مال إلى الإيمان وفاسد إن زاغ إلى الضلال .

فمن ذاق حلاوة الإيمان طلب من الله أن يثبت قلبه على الهدى ، فقد كان اكثر دعاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ( **يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك** ) <١> .

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأم سلمه ( **ياأم سلمه مامن آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل ماشاء أقام وماشاء أزاغ** ) <٢> .

فكل من زاغ عن الحق بلبس أو إشتباه فقد سار في طريق الضلال ، سواء كان بأقله أو أكثره فقد وعد الله من بدأ بالزيغ أن يزيغ قلبه ، وحرمه من الهداية وسماه فاسقاً فهو لايقبل الحق ولايميل إليه فتجده يؤذي أهل الحق كما قال تعالى على موسى لقومه " ياقوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم " [الصف : آيه ٥ ] .

ويحمل لهم في قلبه الغش والعداوة والحسد حتى يتمكن الغل من قلبه بعد أن عم صدره .

---

١ ـ مسند أحمد من حديث أم سلمه [ ٦ : ٣٠٢ ، ٣١٥ ] . سنن الترمذى [ ٤ : ٤٤٩ ] كتاب القدر باب (٧) وقال حديث حسن .

٢ ـ المصدر السابق ـ وروى عن حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ [ ٦ : ٩١ ] .

# المبحث الرابع

## غــــل والقلــــب

وردت هذه المادة في القرآن الكريم وأثبت الغل للصدر كما في قوله تعالى : " ونزعنا مافي صدورهم من غلٍ تجري من تحتهم الأنهار " [ الأعراف : آيه ٤٣ ] .

وفي مثل قوله تعالى : " ولاتجعل في قلوبنا غلاً للذين أمنوا ربنا إنك رءوف رحيم " [ الحشر : آيه ١٠ ] .

الغين واللاّم أصل صحيح يدل على تخلل الشيء وثبات شيء ، كالشيء يغرز . من ذلك قول العرب : غللت الشيء في الشيء اذا أثبته فيه كأنه غرزته .

ومن الباب الغل ، وهو الضغن ينغل في الصدر . ‹١›

وورد الغل بمعنى الغش والعداوة والضغن والحقد والحسد والدغل والنفاق والحقد الكامن والخيانه والشر . ‹٢›

وهذه الأمراض مكمنها الصدر يتولى الله نزعها من صدور الذين آمنوا وعملوا الصالحات عند دخولهم الجنه ، هذه الصفات عندما تكمن في الصدر تتخلل القلب بلطف حتى تتمكن منه وتصبح صفة يوصف بها القلب المريض .

قال الرازي : ( الغل : الحقد وهو الذي يغل بلطفه إلى صميم القلب ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة إلى الذنوب الدقيقة ، ويقال : إنغل في الشيء إذا دخل فيه بلطافه ـ كالحب يدخل في صميم الفؤاد ) ‹٣› .

والغل يقتضي التشفي والإنتقام فان تشفى بنفسه أو أحب أن يتشفى غيره ممن يرى أنهم أعداؤه ، فكل أموره ومعانيه تلزم البغض والعداوة ويفضي ذاك إلى التنازع والتقائل وربما أهلك المريض نفسه بالمرض الباطني المتعلق بالقلب ، وهذا

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٤ : ٣٧٦ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ١١ : ٤٩٩ ـ ٥٠٥ ] ، تاج العروس [ ٨ : ٤٨ ] .

٣ ـ التفسير الكبير [ ١٤ : ٨٠ ] .

بغية الشيطان من حظ الإنسان . لهذا حذر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمته من الغل فقال ( **ثلاث لايغل عليهن قلب مسلم أبداً : إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم** ) ‹١›

ومعنى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ( **لايغل عليهن قلب مؤمن** )

تروى هذه الكلمة بفتح الياء وكسر الغين ، وهو من الغل : الحقد والضغن ، يقول لايدخله شي من الحقد يزيله عن الحق ، ويروي بضم الياء وكسر الغين من الخيانة ، والاغلال : الخيانه في كل شيء . ‹٢›

وهذه الخصال تطهر القلب من الدغل والخيانة والشر . ‹٣›

فإذا غل قلبه على حقد لايخلص ولايناصح وفارق الجماعة فهذه الثلاث الواردة في الحديث أساس وحدة الأمة الإسلامية وبانهيارها تنهار وحدة الأمة .

ولابد لهذه الصفة من حالة أخرى تتبعها : وهي الغلظه وعدم الإشفاق وقلة الرحمة حتى تتمكن من القلب فتكون حالة من حالاته ثم تصبح صفة ملازمة له .

---

١ ـ مسند أحمد [ ٥ : ١٨٣ ] ، من حديث زيد بن ثابت واسناده صحيح ، جامع الأصول [ ١ : ٢٦٥ ] .

٢ ـ جامع الأصول [ ١ : ٢٦٧ ] .

٣ ـ النهاية في غريب الحديث [ ٣ : ٣٨١ ] .

# المبحث الخامس

## القلب الغليظ

والغلظة مرض أخر من أمراض القلوب ، ذكره الله في محكم بيانه منزهاً عنه رسوله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم " [ آل عمران : آية ١٥٩ ] .

والغلظة ضد الرقة في الخلق والطبع والفعل والمنطق والعيش ، فهي قسوة وشدة وإستطالة ، والغلظ من الأرض الصلب من غير حجارة . ‹١›

وكأن غلظة القلب درجة أقل من القسوة ، فهو كالأرض الجامدة ، ولم يصل بعد إلى مرتبة التحجر ، وإن كان في بداية المسار نحو التحجر . أو هي قسوة أقل من القسوة المتصف بها .

وقال المفسرون في قوله تعالى : " ولو كنت فظاً غليظ القلب " ( الفظ : سيء الكلام والغلظة قسوة القلب ) ‹٢› وبه قال الزمخشري . ‹٣›

( وقال الألوسي ( ولو كنت فظاً ) أي خشن الجانب شرس الأخلاق جافياً في المعاشرة قولاً وفعلاً ( غليظ القلب ) أي قاسيه .

ونقل عن الكلبي : ( فظاً ) في الأقوال ( غليظ القلب ) في الأفعال .

وذكر بعضهم أن ( الفظ ) سيء الخلق في الأمور الظاهرة من الأقوال والأفعال ( وغليظ القلب ) السيء الخلق في الأمور الباطنة ، والثاني سبب للأول وقدم المسبب لظهوره إذ هو الذي يطلع عليه ) ‹٤› .

وفرق الرازي بين الفظ وبين غليظ القلب فقال : ( الفظ الذي يكون سيء الخلق ، وغليظ القلب هو الذي لايتأثر قلبه عن شيء ، فقد لايكون الإنسان سيء الخلق ولايؤذي أحداً ولكنه لايرق لهم ولايرحمهم ) ‹٥› .

---

١ ـ لسان العرب [ ٧ : ٤٤٩ ] ، تاج العروس [ ٥ : ٢٥٥ ] .
٢ ـ تفسير ابن كثير [ ١ : ٤٢٠ ] .
٣ ـ الكشاف [ ١ : ٢٢٦ ] .
٤ ـ تفسير روح المعاني [ ٤ : ١٠٦ ] .
٥ ـ التفسير الكبير [ ٩ : ٦٤ ] .

والنتيجة : أن القلب إذا أتصف بالغلظة وأصبحت ملكة فيه لابد أن يتبعها كل صفة ذميمة ، سواء ظهرت حالاً أو مآلاً فلا تنزع الرحمة إلا من شقى .

أما إذا لم يصل القلب إلى مرحلة الوصف بل كانت حالة تعتريه ثم تزول ، أو كانت غلظة سلوك ونفرت طباع بسبب البيئة والنشأه ، كما ورد في الحديث الصحيح عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : ( **أشار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده نحو اليمن فقال : الإيمان يمان هاهنا ، ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الأبل ، حيث يطلع قرنا الشيطان ، في ربيعة ومضر** ) <١> .

فهذه إذا تداركها الإنسان زالت عنه فهي كما قال القرطبي ( عبارة عن تجهم الوجه وقلة الإنفعال في الرغائب ، وقلة الإشفاق والرحمة ) ومن ذلك قول الشاعر .

يبكي علينا ولانبكي على أحد * لنحن أغلظ أكباداً من الإبل <٢>

وإن لم يتداركها إنتقلت إلى صفة ملازمة كما قال ابن حجر نقلاً عن الخطابي ( إنما ذم هؤلاء لإشتغالهم بمعالجة ماهم فيه عن أمور دينهم وذلك يفضي إلى قساوة القلب ) <٣> .

فقلب تمكن منه الغل والغلظة بجميع معانيها من عداوة وبغض وحسد وحقد ونفرت طبع لابد أن يتمكن منه الغيظ إن لم تستدركه رحمة الله .

---

١ - صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق ، باب [ ١٥ ]فتح البارى حـ ٦ : ٣٥٠ . .

٢ - تفسير القرطبي [ ٤ : ٢٤٨ ] .

٣ - فتح الباري [ ٦ : ٣٥٢ ] .

## المبحث السادس

## غيـــــظ القلـــــوب

والغيظ حالة من حالات القلب المريض الذي توسط هاوية الهلاك ويدل على كرب يلحق الإنسان من غيره . <١>

والغيظ : الغضب ، وقيل غضب كامن للعاجز ، وقيل أشد الغضب . <٢>

وعرفه الراغب : بأنه أشد الغضب ناتج عن الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه <٣>.

وهناك فرق بين الغضب والغيظ ( فالإنسان يجوز أن يغتاظ من نفسه ولايجوز أن يغضب عليها ، وذلك أن الغضب إرادة الضرر للمغضوب عليه ، ولايجوز أن يريد الإنسان الضرر لنفسه . والغيظ يقرب من باب الغم ) <٤> .

وقد تولى الله اذهابه من قلوب الصفوة الطاهرة فقال تعالى : " ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم " [ التوبة : آية ١٤ ، ١٥ ] .

كما أن كظم الغيظ من صفات وافعال المتقين قال تعالى : " وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ " [ آل عمران : آية ١٣٣ ، ١٣٤]

والغيظ صفة من صفات المنافقين : قال تعالى : " واذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور " [ آل عمران : آية ١١٩ ] .

فهو دليل على شدة الغضب الذي يكنوه في صدورهم حتى تمكن الغيظ من قلوبهم ، وفيه أيضاً أن هذه المرحلة بدايتها الصدر ، بدلالة ذكره في الآية وأن الله عليم بالخواطر القائمة في الصدر أو مايحويه الذات .

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٤ : ٤٠٥ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ٧ : ٤٥٠ ] ، القاموس المحيط [ ٩٠٠ ] .

٣ ـ المفردات [ ٣٦٨ ] .

٤ ـ الفروق اللغويه [ ١٠٦ ] .

وأيضاً بدلالة الآية التي قبلها في قوله تعالى : " قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر .." [ آل عمران : آيه ١١٨ ] .

والمعنى ( ظهرت البغضاء في كلامهم لأنهم لما خامرهم من شدة البغض والحسد اظهرت السنتهم ما في صدورهم فتركوا التقيه وصرحوا بالتكذيب . وفلتات اللسان أقل مما تجنه الصدور ) ‹١› .

اما الغيظ الذى في قلوب أهل الايمان ليكون حمية لأجل الدين ، ورغبة في اعلاء دين الاسلام ، وراية لاإله إلا الله فهذا أمر مرغوب يدل على إيمان حقيقى أو كمال في الإيمان وليس هذا من باب الحسد والعدواة بل هو من باب أشداء على الكفار رحماء بينهم ، فالحال الواحدة قد تكون خيراً تارة وأخرى بضدها حسب نور الإيمان ، فكما أن الحسد مذموم إذا كان لتمنى زوال النعمة فهو مرغوب إذا أريد منه الخير كأن يكون له ما لذاك الفرد حتى ينفق في سبيل الله بدون تمنى زوالها عنه كما صرحت بذكره الاحاديث النبوية ويسمى غبطه .

وقد ينسب الغيظ الى غير الإنسان كما في قوله تعالى في صفة النار : إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا " [ الفرقان : آيه ١٢ ] (فهو تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ ) ‹٢› وان كان حمله على الحقيقة اولى فهو أمر غيبى .

والخلاصة : أن حالة الغيظ التى تكون في القلوب المريضة تدل على فساد الفطرة وإنحرافها وفساد القلب وضلاله ونفاق في السلوك . ‹٣›

فصاحب الغيظ قد لم يبلغ بعد مرتبة النفاق العقدى وهو حالة مراحل موت القلب إنما هى نوايا سيئة تجيش في الصدر ينخدع بها المسلم ، فاذا استمر العبد في هذا الظلام كره قبول الحق والإذعان لنداء الإيمان فيستمر معه الكره حتى يوصله الى الإباء .

---

١ ـ التفسير الكبير [ ٨ : ١٩٨ ] ، فتح القدير [ ١ : ٣٧٦ ] والنص له .

٢ ـ تفسير الألوسي [ ١٨ : ٢٤٣ ] .

٣ ـ سنفرد للنفاق باب في نفاق القلب . ص ١٤٠ .

# المبحث السابع
## إبـــــــاء القلــــــب

وإباء القلب عن الأذعان لما أمر الله مرض يؤدى الى الكفر أو الفسق ، نسبه الله الى القلب في قوله تعالى عن المشركين : " كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولاذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون" [ التوبه : آيه ٨ ] .

وأسلوب ذا الوجهين عادة المنافقين أيضاً والإباء كما نسب الى القلب نسب الى غيره .

فقد نسب الحق تبارك وتعالى الإباء الى ذاته فقال تعالى : " يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون " [التوبة : آيه ٣٢ ] .

كما نسب الأباء إلى مطلق الإنسان قال تعالى : " ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا " [ الاسراء : آيه ٨٩ ] .

ونسب إلى إبليس قال تعالى : " فسجدوا إلا إبليس أبى وإستكبر وكان من الكافرين " [ البقرة : آيه ٣٤ ] .

وقوله تعالى : " إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين " [ الحجر : آية ٣١ ] .

كما نسب إلى السموات والأرض والجبال في قوله تعالى : " إنا عرضنا الأمانه على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها " [ الاحزاب : آيه ٧٢ ]

قال ابن فارس الهمزة والباء والياء يدل على الإمتناع ، والاباء أن تعرض على الرجل الشىء فيأبى قبوله فتقول ما هذا الإباء . <١>

ويأباه إباء وإباءة : كرهه ، ورجل أبي : ذو إباء شديد إذا كان ممتنعاً .

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة [ ١ : ٤٥ ] .

والإباء : أشد الامتناع . ‹١›

والإباء عصيان وقد حذر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منه فقال ( **كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : يارسول الله ومن يأبى ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى** ) ‹٢› .

وقال : ابن حجر في معناه ( إن كان كافراً فهو لا يدخل الجنة اصلاً وان كان مسلماً فالمراد منعه من دخولها مع أول داخل إلا من شاء الله تعالى ) ‹٣› .

وقال المفسرون في قوله تعالى : " وتأبى قلوبهم " : ( أى تأبى عليهم قلوبهم أن يذعنوا لكم بتصديق ما يبدونه لكم بألسنتهم ) ‹٤› وهذا المعنى قريب مما ذكره جل المفسرين . ‹٥›

ويدل على أن الإباء مرض قوله تعالى في آخر الآيه : " وأكثرهم فاسقون " [ التوبه : آيه ٨ ] .

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ في معنى الآيه ( لا يبعد أن يكون بعض أولئك الكفار قد أسلم وتاب ) ‹٦› .

فهذا الجزء من الآيه أخرج من زالت الغشاوة عن قلبه وأسلم وتاب إلى الله ، والإباء والغيظ والغلظة والغل وما حوى من معان تنم في داخلها عن قلب يغل بالحقد ويأبى أن يقيم على العهد فباطنه باطن متكبر بدأ النفاق ينخر فيه .

---

١ ـ لسان العرب [ ١٤ : ٤ ] ، القاموس المحيط [ ١٦٢٣ ] .

٢ ـ صحيح البخارى كتاب الأعتصام من حديث أبي هريره . فتح الباري [١٣ : ٢٤٨ ].

٣ ـ فتح الباري [ ١٣ : ٢٥٤ ] .

٤ ـ جامع البيان [ ١٠ : ٨٤ ]

٥ ـ القرطبي [ ٨ : ٨٠ ] فتح القدير [ ٢ : ٣٤٠ ] روح المعاني [ ١٠ : ٥٦ ]

٦ ـ التفسير الكبير [ ١٥ : ٢٣١ ] .

# المبحث الثامن
## القلـــــب والكـــــبر

الكبر اوسع ابواب النفاق ، جامع لما مر من انواع الزيغ والضلال ومقره الصدر كما قال تعالى : " **إن في صدورهم إلا كبر ماهم ببالغيه** " [ غافر : آيه ٥٦ ] .

وبالتحديد في النفس التى في الصدر قوله تعالى : " **لقد استكبروا في أنفسهم وعتو عتواً كبيراً** " [ الفرقان : آيه ٢١ ] .

ونسبه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى القلب ففى حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : ( **لايدخل الجنه من كان في قلبه مثقال حبة من كبر فقال رجل : إن الرجل يحب ان يكون ثوبه حسناً ونعله حسنه قال : إن الله جميل يحب الجمال . الكبر : بطر الحق ، وغمط الناس** ) (١) .

ويمكن أن نقول أن هذه صفة للقلب كما ثبيت بالسنة أيضاً ثبتت بالكتاب ، كما في قوله تعالى : " **الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ، كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار** " [غافر : آيه ٣٥ ] .

( على قراءة أبى عمرو وابن محيصن وابن ذكوان عن اهل الشام ( قلب ) منون على أن ( متكبر نعت للقلب ) (٢) ( وهى أيضاً قراءة ابن عامر (٣) وقتيبه عن الكسائى ) .

---

١ ـ رواه مسلم [ ١ : ٩٣ ] كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر رقم ( ٩١ ) ، وأبو داود رقم ( ٤٠٩١ ) ، في الأدب باب ماجاء في الكبر ، الترمذي ( ١٩٩٩ ) كتاب البر والصلة .

٢ ـ تفسير القرطبي [ ١٥ : ٣١٤ ] التفسير الكبير [ ٢٧ : ٦٣ ] إعراب القرآن [ ٤ : ٣٣ ] .

٣ ـ ابن عامر : عبدالله بن عامر بن يزيد أبو عمران اليحصبي ، أحد القراء السبعة ، توفى ١١٨ هـ ، الاعلام ٤ / ٩٥ .

قال القرطبي <١> رحمه الله ( كما طبع الله على قلوب هؤلاء المجادلين فكذلك ( يطبع ) أي يختم « على كل قلب متكبر » باضافة قلب الى المكتبر ، وأختاره ابو حاتم وابو عبيد .

وفي الكلام حذف ، والمعنى « كذلك يطبع الله على كل قلب » على كل «متكبر جبار » فحذف « كل » الثانيه لتقدم ما يدل عليها . واذا لم يقدر حذف « كل » لم يستقم المعنى لانه يصير معناه أنه يطبع على جميع قلبه وليس المعنى عليه . وإنما المعنى أنه يطبع على قلوب المتكبرين الحبارين قلباً قلبا ، ومما يدل على حذف « كل » .

قول ابى دؤاد :

أكل امرىء تحسبين امرءاً * ونار توقد بالليل ناراً

يريد وكل نار . وفي قراءة ابن مسعود « على قلب كل متكبر » فهذه قراءة على التفسير والاضافه . وقرأ أبو عمرو وأبو محيصن <٢> وابن ذكوان <٣> عن أهل الشام « قلب » منون على أن « متكبر » نعت للقلب فكنى بالقلب عن الجمله ، لأن القلب هو الذى يتكبر وسائر الأعضاء تبع له ، ولهذا قال النبى - صلى الله عليه وسلم - أن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب .

ونسب التكبر إلى إبليس كما في قوله تعالى : " إلا إبليس أبى وأستكبر " [ البقره : آيه ٣٤ ] .

وأيضاً نسب الى فرعون وقومه قال تعالى : " واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق " [ القصص : آيه ٣٩ ] .

---

١ - القرطبي [ ١٥ : ٣١٤ ] .

٢ - أبو محيصن : محمد بن عبدالرحمن بن محيصن السهمي أحد القراء . ت١٢٣هـ ، الاعلام ٦/١٨٩

٣ - ابن ذكوان : عبدالله بن أحمد بن بشير بن ذكوان من كبار القراء . ت ٢٤٢ هـ ، الاعلام ٤ / ٦٥ .

كما نسب الى قوم صالح عليه السلام قال تعالى : " قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه " [ الاعراف : آيه ٧٥ ] .

ونسب أيضاً الى قوم شعيب عليه السلام كما في قوله تعالى : " قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا " [الاعراف : آيه ٨٨ ] .

وكذلك قوم عاد كما في قوله تعالى : " فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق " [ فصلت : آيه ١٥ ] .

وقوم نوح كما في قوله تعالى : " واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا إستكباراً " [ نوح : آيه ٧ ] .

ونسب التكبر الى أمم كثيرة أفسدت في الأرض بغير الحق .

تمكن هذا الداء منهم حتى أفضى بهم الى موت القلب الكلى فحرمهم الله نور الإيمان وفهم القرآن قال تعالى : " سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض " [ الاعراف : آيه ١٤٦ ] .

والكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصغر . يقال : هو كبير وكبار وكبار قال تعالى : " ومكروا مكراً كباراً " .

والكبر : معظم الأمر قوله عز وعلا ( والذى تولى كبره ـ ) أى معظم أمره <١> وقيل : الإثم وهو من الكبيرة كالخطء من الخطيئة . <٢>

والإستكبار : الإمتناع عن قبول الحق معاندة وتكبرا .

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٥ : ١٥٣ ] ، القاموس المحيط [ ٦٠٢ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ٥ : ١٢٩ ] ، النهاية في غريب الحديث [ ٤ : ١٤٢ ] .

وعرفه الراغب بقوله ( الكبر : الحالة التى يتخصص بها الانسان من إعجابه بنفسه وذلك أن يرى الانسان نفسه اكبر من غيره ، واعظم التكبر التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والاذعان له بالعباده .

**والإستكبار يقال على وجهين :**

( أحدهما : أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يصير كبيرا وذلك متى كان على ما يجب وفي المكان الذى يجب وفي الوقت الذى يجب فمحمود .

والثاني : أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له وهذا هو المذموم .

**وقال أيضاً : التكبر يقال على وجهين :**

أحدهما : أن تكون الافعال الحسنة كثيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره وعلى هذا وصف الله تعالى بالتكبر قال ( العزيز الجبار المتكبر ) .

والثاني : أن يكون متكلفا لذلك متشبعاً وذلك في وصف عامة الناس نحو قوله " فبئس مثوى المتكبرين " [ النحل : آيه ٢٩ ] وقوله " كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار " [غافر : آيه ٣٥ ] باضافه القلب الى المتكبر ، ومن قرأ بالتنوين جعل التكبر صفة للقلب ، والكبرياء الترفع عن الإنقياد ، وذلك لا يستحقه غير الله ) . <١>

ولما لهذا الداء من أهمية على القلب لابد أن ننظر له بأهمية أيضاً فقد وعد الله بالطبع على قلب المتكبر إذا صاحبه التجبر ، والطبع نهاية مراحل موت القلب ووصفه بالإجرام " فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين " [ الجاثيه : آيه ٣١ ] ووعده بالخلود في النار إذا أضاف التكذيب بآيات الله " والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " [ الاعراف : آيه ٣٦] وكثير من الآيات تنص على خلود المتكبرين في النار .

---

١ ـ المفردات [ ٤٢١ ـ ٤٢٢ ] .

ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - حرم المتكبر من الجنة ، كما في حديث ابن مسعود الذى ذكرناه آنفاً في صفحه (١٣٣) وتوعده الله بالعذاب كما في حديث ابى هريره وابى سعيد - رضى الله عنهما - قالا : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ( **العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعنى عذبته** ) <١> .

فما هو هذا الكبر الذى إن تمكن من القلب وصمه هذه الصفات كلها ؟

قال الامام النووى في حديث ابن مسعود ( أما قوله - صلى الله عليه وسلم - لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ) فقد اختلف في تأويله ، فذكر الخطابى<٢> فيه وجهين :

أحدهما : التكبر عن الإيمان فصاحبه لا يدخل الجنة اصلاً إذا مات عليه .

والثانى : أن لايكون في قلبه كبر حال دخوله الجنه كما قال تعالى : "ونزعنا ما في صدورهم من غل " . [ الأعراف : آيه ٤٣ ] .

ثم قال : وهذان التأويلان فيها بعد ، فان هذا الحديث ورد في سياق النهى عن الكبر المعروف وهو الإرتفاع على الناس وإحتقارهم ودفع الحق فلا ينبغى ان يحمل على هذين التأويلين المخرجين له عن المطلوب ، بل الظاهر ما اختاره القاضى عياض <٣> وغيره من المحققين أنه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه ، وقيل هذا جزاؤه لو جازاه وقد يتكرم بأن لا يجازيه ، بل لابد أن يدخل كل الموحدين الجنة أما أولاً وأما ثانيا بعد تعذيب اهل الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها ، وقيل لا يدخلها مع المتقين اول وهله . <٤>

---

١ - صحيح مسلم [ ٤ : ٢٠٢٣ ] كتاب البروالصلة حديث رقم ( ١٣٦ ) رقم التسلسل ( ٢٦٢٠ ) .

قال النووي رحمه الله ( هكذا هو في جميع النسخ فالضمير في إزاره وردائه يعود إلى الله تعالى للعلم به وفيه محذوف تقديره قال الله تعالى ومن يناز عني ذلك اعذبه ) [ ١٦ : ١٧٣ ] .

٢ - الخطابي أحمد بن محمد بن إبراهيم البستي ، فقيه محدث ، ت ٣٨٨ هـ ، الاعلام ٢ / ٢٧٣ .

٣ - القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي البستي ، عالم المغرب ، ت ٥٤٤ ، الاعلام ٥ / ٩٩ .

٤ - صحيح مسلم بشرح النووي [ ٢ : ٩١ ] .

وقد مال ابن الأثير إلى الوجه الأول من قول الخطابى وهو التكبر عن الايمان وهو كبر الكفر والشرك ‹١› وقريب منه قول ابن كثير ‹٢› وللتوفيق بين الأقوال أقول . التكبر نوعان :

الأول تكبر في السلوك وهو أن يتكبر الانسان على مخلوق مثله بالقول أو الفعل سواء كان بالنفس أو تعدى الى القلب وظهرت آثاره على الجوارح لأن الاعضاء تبع له فهذا النوع مرض يرجى برؤه فهو مجرد ترفع عن الناس أو إحتقار لهم إذا كان المتصف به مؤمن بالله تعالى فالإيمان يزيد وينقص فهذا في حكم المشيئه إن شاء عذبه أو غفر عنه أولا يدخل الجنة مع المتقين .

( وقد عرف ابن الجوزى هذا النوع بقوله ( هو تعظيم النفس وإحتقار الغير وذلك يكون بسبب الترفع على من هو دونه إما في النسب أو المال أو العلم أو العباده أو غير ذلك وعلامته الأنفه ممن يتكبر عليه ، والإختيال والفخر ومحبته تعظيم الناس له ـ ) ‹٣› .

الثاني : كبر عقدى وهو المنافى للإيمان ومنه الترفع عن لا إله كما قال تعالى : " إنا كذلك نفعل بالمجرمين . إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون " [ الصافات : آيه ٣٤ ـ ٣٦ ] .

فهذا الذى تمكن الكبر من قلبه فعماه وأماته فهو من المجرمين الذين قال الله فيهم : " انه من يأت ربه مجرماً فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى " [ طه : آيه ٧٤ ] * وقال أيضاً : " إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون " [ الزخرف : آيه ٧٤ ] .

---

١ ـ النهاية في غريب الحديث [ ٤ : ١٤٣ ] .

٢ ـ تفسير القرآن العظيم [ ٤ : ٧٩ ] .

٣ ـ الطب الروحاني [ ٣١ ] .

وهذا النوع مطبوع على قلبه إن كان من الجبارين كما قال تعالى : "كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار " [ غافر : آيه ٣٥ ] .

والجبار كما قال ابن كثير عن قتاده :

( آيه الجبابره القتل بغير حق ) <١> والتجبر أبلغ من التكبر لأن فخامة اللفظ تدل على فخامة المعنى ، ولابد لجبار الأرض من جبار السماء .

وقد سئل ابن تيميه رحمه الله عن معنى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ( لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ) هل هذا الحديث مخصوص بالمؤمنين أم الكفار ؟

فأجاب : ( الكبر المباين للإيمان لا يدخل صاحبه الجنة ومن هذا كبر إبليس وفرعون وغيرهما ممن كان كبره منافياً للإيمان ، والكبر كله مباين للإيمان الواجب . فمن في قلبه مثقال ذرة من كبر لا يفعل ما أوجب الله عليه ولا يترك ما حرم الله عليه بل كبره يوجب له جحد الحق واحتقار الخلق وهذا هو الكبر الذى فسره النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فمن كان مضيعاً للحق الواجب ظالماً للخلق لم يكن من أهل الجنه ولامستحقاً لها بل يكون من أهل الوعيد .

لكن إن تاب ، او كانت له حسنات ماحية لذنبه او إبتلاه الله بمصائب كفر بها خطاياه ونحو ذلك زال ثمرة هذا الكبر المانع له من الجنة فيدخلها ) <٢> .

ومثل تقسمينا الكبر الى نوعين :

نوع سلوك يرجى برؤه .

ونوع تكبر عن لا إله الا الله كفر بواح ، نستطيع ان نقسم النفاق .

---

١ ـ تفسير ابن كثير [ ٤ : ٧٩ ] .

٢ ـ مجموع الفتاوى [ ٧ : ٦٧٧ ـ ٦٧٨ ] بتصرف .

# المبحث التاسع

# نفـــــــاق القلـــــب

النفاق أعم أمراض القلب وأكثرها دائرة يزيد وينقص فإن زاد كان الموت لا محالة وإلا فهو المرض وقد سماه الله مرضاً كما في قوله تعالى : " في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا " [ البقرة : آيه ١٠ ] .

وقد وردت هذه المادة بأوجه مختلفة في القرآن الكريم منها ( النفاق ) تكرر بمشتقاته اكثر من ثلاثين مره .

أعتبره الله مرضاً من أمراض القلوب كما في قوله تعالى : " ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا " [ المدثر : آيه ٣١ ] .

وقال المفسرون في قوله تعالى : " في قلوبهم مرض " أى من المنافقين ‹١› * وكقوله تعالى : " فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم " [ المائده : آيه ٥٢ ] .

وفي آيات أخر فرق بين مرض القلب والنفاق كمثل قوله تعالى : " إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم " [ الانفال : آيه ٤٩ ] .

وكقوله تعالى : " وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا " [ الاحزاب : آيه ١٢ ] * وفيها " لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينه لنغرينك بهم " [ الأحزاب : آيه ٦٠ ] .

**فما هو النفاق ومتى يكون مرضاً من أمراض القلوب ؟**

قال علماء اللغه النون والفاء والقاف يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه ، والأخر على إخفاء شيء وإغماضه .

---

١ ـ تفسير ابن كثير [ ٤ : ٤٤٤ ] ، تفسير القرطبي [ ١٩ : ٨٢ ] .

فالأول : نفقت الدابه نفوقاً : ماتت ، ونفق الشيء : فنى ، وانفق الرجل : إفتقر ، أى ذهب ما عنده ومنه قوله تعالى : " قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى إذاً لأمسكتم خشيه الإنفاق " [ الاسراء : آيه ١٠٠ ] .

والأصل الأخر النفق : سرب في الأرض له مخلص إلى مكان قال تعالى : " فإن استطعت أن تبتغى نفقاً في الأرض " [ الأنعام : آيه ٣٥ ] .

ومنه إشتقاق النفاق ، لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر فكأن الإيمان يخرج منه أو يخرج هو من الإيمان في خفاء ، وعلى ذلك نبه بقوله تعالى : " إن المنافقين هم الفاسقون " [ التوبه : آيه ٦٧ ] أى الخارجون من الشرع . ‹١›

وهو إسم إسلامى لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو الذى يستر كفره ويظهر إيمانه .

وبالرجوع الى آيات الذكر الحكيم والسنه المطهرة وكلام السلف نجد انه يجتمع في قلب العبد ايمان ونفاق كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث تقسيم القلب ( **واما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ومثل الإيمان فيه كمثل البقله يمدها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم ، فأى المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه** ) ‹٢› .

فمن منطلق الحديث النبوى نقول أنه لامانع أن يجتمع في القلب إيمان ونفاق وقد قال بذلك علماء السلف .

قال ابن تيميه : ( إن الانسان قد يكون فيه شعبة من شعب الايمان وشعبة من شعب النفاق ، وقد يكون مسلماً وفيه كفر دون الكفر الذى ينقل عن الاسلام

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٥ : ٤٥٤ ] ، المفردات [ ٥٠٢ ] ، لسان العرب [ ١٠ : ٣٥٩ ] ، بصائر ذوي التميز [ ٥ : ١٠٥ ] .

٢ ـ جزء من حديث أبي سعيد الخدري ، رواه الإمام أحمد في مسنده [ ٣ : ١٧ ]

وقال عنه ابن كثير في تفسيره [ ١ : ٥٦ ] إسناد جيد حسن .

بالكلية ، كما قال الصحابه ابن عباس وغيره كفر دون كفر ، وهذا قول عامة السلف وهو الذى نص عليه احمد وغيره ) ‹١› .

**فعلى هذا النفاق قسمان :**

الأول : نفاق عملى وهو نفاق سلوك كما جاء في الحديث الصحيح عن عبدالله بن عمرو- رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - **(أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر )** ‹٢› .

الثانى : نفاق كفر وهو نفاق إعتقادى رسخ في القلب فهذا نفاق خالص ، صاحبه ميت القلب مطفأ النور تماماً ، كما قال تعالى : " يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا " [ الحديد : آيه ١٣ ] .

وسنتكلم عن النفاق في دائرة القلب فقط ، باعتبار القسم الأول مرض في قلب مسلم فيه شيء من الكذب في الحديث ، أو الخيانة في الأمانة ، أو خلف في الوعد ، أو غدر في المعاهدة ، أو فجور في الخصومه ، مفردة أو مجموعة وباعتبار إشتمالها على القول والفعل والنية ففساد القول بالكذب وفساد الفعل بالخيانه وفساد النيه بالخلف . وباعتبار القسم الأخر موت القلب .

وقد قال الإمام النووى في شرحه لحديث عبدالله بن عمرو- السابق - (هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلاً من حيث أن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذى ليس فيه شك ، وقد اجمع العلماء على أن من كان مصدقاً بقلبه ولسانه وفعل هذا الخصال لا يحكم عليه بكفر ، ولاهو منافق يخلد في النار فإن إخوة يوسف - صلى الله عليه وسلم - جمعوا هذه الخصال وكذا وجد لبعض

---

١ - مجموع الفتاوى [ ٧ : ٣٥٠ ] .

٢ - صحيح البخارى كتاب الإيمان( ٢٤ ) واللفظ له ، فتح الباري [ ١ : ٨٩ ] صحيح مسلم [ ١ : ٧٨ ] كتاب الإيمان ١٠٦

السلف والعلماء بعض هذا أو كله . وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله إشكال ولكن إختلف العلماء في معناه فالذى قاله المحققون والاكثرون وهو الصحيح المختار ، أن معناه ان هذا الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا انه منافق في الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبى صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار ـ ) ‹١›

وهذا المعنى ارتضاه الامام القرطبى واستدل له بقول عمر لحذيفه ـ رضى الله عنهما ـ : هل تعلم فيَّ شيئاً من النفاق ؟ فانه لم يرد بذلك نفاق الكفر وانما اراد نفاق العمل كما ارتضاه الامام ابن حجر العسقلانى . ‹٢›

ولو تتبعنا امراض القلب من النكتة السوداء وحتى الكبر لوجدناها تندرج تحت مرض النفاق أو هى دركات يهبط فيها العبد واحدة بعد أخرى حتى يصل الى وسط الهاوية والا تعمق الى النفاق العقدى فيصعب عليه رجوعه الى الإيمان .

فنفاق السلوك من اكبر الذنوب لأن قوله يخالف فعله وسره يخالف علانيته وكما يسمى نفاقاً يسمى تقيه يستعمل هذا الاسلوب لينجوا من مخاوف كاذبة يتوقعها أو ليشبع ما في باطنه من الكبر الذى اداه الى احتقار أخيه المسلم .

فهو يرى أنه في مكانه مادية او اجتماعية تسمح له بأن يفعل ما يريد أو لاتسمح له أن ينزل الى مستوى العبيد فالناس في نظره ليسوا سواسية فالشك رائده في صحة ما يسمع والكبر حجته في كل ما يفعل فاذا بقلبه يسرى فيه الصدأ والسواد فيبدأ في مرحلة التبلد لا يستطيع الموازنه بين الخير والشر ، وقد لايحاول ذلك لتبدل القيم في قلبه الذى بدأ في الإنتكاس من خير الى رجس فلا يثق الا بالمحسوس الذى يوافق هوى نفسه وينفعل لما تمليه عليه شهواته ورغباته .

---

١ ـ صحيح مسلم بشرح النووي [ ١ : ٤٦ ـ ٤٧ ] .

٢ ـ فتح الباري [ ١ : ٩١ ] .

وقد قال الحسن ـ رضى الله عنه ـ في تفسير قوله تعالى : " أفرأيت من اتخذ إلهه هواه " [ الجاثيه : آيه ٢٣ ] .

( المنافق لا يهوى شيئاً الا ركبه ) وبذلك قال قتاده <١> أورده أبو بكر الفريابي بسنده وقد قال الحسن البصرى رحمه الله ( لإن أعلم أنى برىء من النفاق أحب الى من طلاع الأرض ذهباً ) <٢>

وقد اورد الفريابى بسنده عن أبى أيوب الأنصارى قال « يأتى على الرجل احايين وما في جلده موضع إبره من النفاق وانه ليأتى عليه احايين وما في جلده موضع إبرة من الإيمان » <٣>

فعلى قدر مكانه الإيمان في القلب يبعد الإنسان عن النفاق وبقدر زيادة الاعمال السيئة يضعف الإيمان حتى لا يبقى الا اثره .

ففي حديث حذيقه ـ رضى الله عنه ـ المتفق عليه قال حدثنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ( **أن الأمانة نزلت في جَذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة ، وحدثنا عن رفعها قال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرُها مثل أثر الوَكْت ثم ينام النومة فتقبض فيبقى فيها أثرها مثل اثر المَجْل كجمر دحرجته على رجلك فَنَفِطَ فتراه مُنْتَبِراً وليس فيه شيء ، ويصبح الناس يتبايعون فلا يكاد احد يؤدى الأمانة فيقال إن في بنى فلان رجلاً أمينا ، ويقال للرجل : ماأعقله وما اظرفه وما اجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان** .. الحديث ) <٤> .

---

١ ـ صفة النفاق وذم المنافقين : ٤٦/جعفر بن محمد الفريابي ت ٣٠١ هـ ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٢ ـ صفة النفاق وذم المنافقين [ ٥٤ ] رقم : ٧٧ .

٣ ـ صفة النفاق وذم المنافقين [ ٥٧ ] رقم : ٨١ ، ٨٢ .

٤ ـ صحيح البخارى كتاب الرقاق ، باب ( ٣٥ ) ، فتح الباري [ ١١ : ٣٣٣ ] مسلم بشرح النووي [ ١ : ١٦٧ ] كتاب الإيمان [ وقال ابن حجر في معنى قوله « من إيمان » قد يفهم منه أن المراد بالأمانة في الحديث الإيمان وليس كذلك بل ذكر ذلك لكونها لازمة الإيمان ] .

ومن كلمات الحديث ( الوكت : ومعناه النقطة في الشيء ، المجل : أن يكون بين الجلد واللحم ماء ، والنفط القرحة ، والنبرة : الورم في الجسد ) . المعانى من القاموس .

فالحديث يوضح حال مسلمين تعلموا القرآن ثم تعلموا السنة وهم من أهل القرن الأول بدلالة قوله في آخر الحديث - ( ولقد أتى على زمان ولا أبالى أيكم بايعت ، لئن كان مسلماً رده على الإسلام وان كان نصرانيا رده على ساعيه ، وأما اليوم فما كنت أبايع الا فلاناً وفلاناً ) - ثم يتحدث عن حالات وقعت في عصره أو ستقع في القرون التى تليه إذ ترفع الامانة من القلوب والأمانة تشمل عموم التكاليف وعلى رأسها الإيمان سواء كانت قولية أو فعلية او اعتقادية .

فزيادة المعاصى تعنى تحللاً من التكاليف فينقص الإيمان الذى يعم القلب وبقدر خروج النور يحل الظلام فيكون ( مثل أثر الوكت ) سواد في اللون من أثر العمل - ثم تزيد في القلب حتى تصير نفطات فيه ( كجمر دحرجته على رجلك فنفط) منتفخاً لاشيء فيه فيسلب الأمانة شيئاً فشيئاً حتى يصير خائنا بعد أن كان أمينا .

ومن صفات المنافق الخيانه وما تقدم من الصفات فهو نفاق في السلوك ، والقلب لايزال حياً ولكن به مرض مشابه تماماً للنفاق الحقيقى أى ميت القلب الذى لا رجاء فيه كما قال تعالى : " إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم " [ الانفال : آيه ٤٩ ] .

فصاحب القلب المريض والمنافق جمع بينهما في موقف واحد ومقالة واحدة وسلوك واحد ، فدل على أنه نوعان كما سبق بيانه ولكن هذا القلب المريض الذى لازالت به حياة ، الأيام بعد ذلك تنهى من خلال الابتلاء والتكاليف الى ما يثبت انه آل الى النفاق الحقيقى بالموت او الى الشفاء من النفاق بالإيمان .

وقد حث الحق تبارك وتعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - ان يعامل هذه الفئة معاملة خاصة فقال جل من قائل : " وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا . فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا . أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا " [ النساء : آيه ٦١ - ٦٣ ] .

**فهنا ثلاث طرق قد تحى هذه القلوب المريضه :**

الأول : ( فأعرض عنهم ) أى لا تعنفهم على ما في قلوبهم .

الثانى : ( وعظهم ) أى افهمهم عما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر .

الثالث : ( وقل لهم في إنفسهم قولاً بليغاً ) أى وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع . <١>

ولو وصلوا الى النفاق الحقيقى المشرب في القلب فانه لا فائدة من هذه الطرق ولكن الحق أعلم بما في القلوب .

ويمثل ما قلنا في النفاق نقول في الكفر وبما مر فيه من استشهادات نستصحبها .

---

١ ـ تفسير المعاني مقتبس من : تفسير ابن كثير [ ١ : ٥١٩ ] .

# المبحث العاشر

# الكفـــــر والقلـــب

في الحديث الصحيح عن أبى هريرة ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قـال : ( **بادورا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافراً ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع دنيه بعرض الدنيا** )<١>.

فليس المراد بالكفر المخرج عن الملة إذ لامانع ان يجتمع في قلب العبد إيمان وكفر لا يخرجان عن الملة ( فلعظم الفتن يتقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الإنقلاب ) كما قال النووى في شرحه للحديث .

وفي الكفر قاعدة لغوية تفرق بين ما يخرج عن الملة وما لا يخرج منه فالمقيد والمنكر في سياق اثبات لا يخرج عن الملة والمطلق والمعرف يخرجان من الملة . <٢>

فالكفر مرتبط بانشراح الصدر له كما قال تعالى : " إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم " [ النحل : آيه ١٠٦ ] .

فمن شرح صدره للكفر واطمأن به فهذا المستحق لغضب الله الذى طبع الله على قلبه أو ختم عليه ، أما من كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرهاً وقلبه يأبى ذلك فهذا مستثنى من الكفر الحقيقى ، فالكفر الحقيقى أوضحه الله بقوله : "إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً " [ النساء : آيه ١٥١ ] <٣> .

---

١ ـ صحيح مسلم بشرح النووي [ ١ : ١٣٣ ] كتاب الإيمان باب الحث على المبادرة بالأعمال .

٢ ـ حد الإسلام وحقيقة الإيمان [ ٥٨٧ ] .

٣ ـ سيرد إيضاح الكفر الحقيق في موتى القلوب .

أما الكفر السلوكي فقد أوضحه الحق في قوله : " وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور " [الشورى : آيه ٤٨ ] .

( فهو يجحد ما تقدم من النعم ولايعرف إلا الساعه الراهنه فإن اصابته نعمه أشر وبطر وإن اصابته محنة يئس وقنط ) <١> وليس هذا بمخرج عن الملة مثله أيضاً في قوله تعالى : " وإن تعدوا نعمه الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار " [ ابراهيم : آيه ٣٤ ] فالمراد به كفر النعمة يجمع ويمنع .

وكقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح عن ابى هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ( **إثنتان في الناس هما بهم كفر ، الطعن في النسب والنياحة على الميت** ) <٢> .

والمراد انها من أعمال الكفار وأخلاق الجاهليه او أنها تؤدى الى الكفر أو أنه كفر النعمة والاحسان كما قال الامام النووى .

فالمقصود ان السلوك المريض سواء كان مرض نفاق أو مرض كفر قد يؤدى الى موت القلب إن لم يتدراك الله العبد برحمته ويتدراك العبد نفسه باتباع شرع الله والبعد عن المعاصى .

ولقد أثر على ابن تيميه وصيته الجامعة لتلميذه ابن القيم اذ قال له :

( لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح الا بها ولكن اجعله كالزجاجة المصمته تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته وإلا فاذا أشربت قلبك كل شبهه تمر عليك صار مقراً للشبهات ) <٣> .

---

١ ـ تفسير ابن كثير [ ٤ : ١٢١ ] .

٢ ـ صحيح مسلم،كتاب الإيمان ،باب إطلاق أسم الكفر على الطعن في النسب ، شرح النووي [ ٢ : ٥٧ ]

٣ ـ الداء والدواء [ ٨ ] .

# المبحث الحادى عشر
# أثر الذنوب على القلب

وذكر ابن القيم في كتابه الجواب الكافي أثر الذنوب على حياة الانسان وشخصيته أذكر منه ما يخص القلب .

وقد استشهد على قوله ببعض من نصوص الوحى.

فقال رحمه الله ( وللمعاصى من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والأخرة ما لا يعلمه إلا الله ) .

فمنها : حرمان العلم . فان العلم نور يقذفه الله في القلب .

والمعصية تطفىء ذلك النور .

ولما جلس الامام الشافعى بين يدى مالك ـ رحمهما الله ـ وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته وتوقد ذكائه وكمال فهمه فقال : إنى أرى الله قد القى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية ) <٢> .

والحق تبارك وتعالى وعد عباده المتقين البعيدين عن المعاصى بوفرة العلم فقال تعالى : " واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم " [ البقره : آيه ٢٨٢ ] .

فالمعاصى إذا تراكمت على القلب سلبته العلم والفقه فيطبع عليه والطبع لا يكون الا على قلب مسلوب الفقه والعلم كما قال تعالى : " كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون " [ لقمان : آيه ٢٥ ] <٢> .

---

١ ـ الداء والدواء [ ٧٤ ] وسيرد إيضاح لذلك في باب القلب والمعرفة . ص :

٢ ـ اذكر في باب الطبع على القلب أثر الطبع على سلوك الفرد . ص :

ومنها : ( وحشه يجدها العاصى في قلبه بينه وبين الله لا توازنها ولا تقارنها لذة أصلاً ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشه وليس على القلب أمر من وحشة الذنب على الذنب ) <١> .

وقد قال تعالى : " ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الرجس على الذين لا يؤمنون ".[ الانعام : آيه ١٢٥ ] .

فالمعاصى تنكت في القلب نكته بعد اخرى ، فيصاب القلب بالضيق والوحشه يظهر أثرها على الجوارح لاتجد من تمادى في غيه يرتاح لسماع الحق من أهل الورع والديانه إنما يرتاع منهم وينقبض قلبه .

ومنها : ( ظلمه يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا أدلهم فتصير ظلمه لقلبه كالظلمه الحسية لبصره فان الطاعة نور والمعصية ظلمة وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والأمور المهلكه وهو لا يشعر ) <٢> .

وقد أوضح الله في كتابه هذه الظلمة بقوله تعالى : " يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوافيه وأذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير " [ البقره : آيه ٢٠ ] .

وكقوله تعالى : " والذين كذبوا بأياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم " [ الأنعام : آيه ٣٩ ] .

أما من طمست بصيرته وعم السواد قلبه وانتكس ، أوضحه الحق بقوله : "أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض أذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور " [ النور : آيه ٤٠ ] .

---

١ ـ الداء والدواء [ ٧٥ ] .

٢ ـ الداء والدواء [ ٧٦ ] .

فمن أثر الظلمة تجده في حيرة ، فكلما اضيء في قلبه وبيص من نور الفطرة أو نور الاسلام هدأ وارتاح ، واذا غطى بالسيئات احتار وتاه ، فهو يتخبط خبط عشواء ، لازالت فيه نقطة خير فإما أن تظهر أو تخبو فيختم على القلب بعد أن يعمه الظلام ويطبق عليه فلا يعى من الحق شيئا .

ومنها : أن المعاصى تضعف القلب وتوهنه عن مقابلة الاعداء وما انتصر المسلمون في الفتوحات الإسلامية الابقوة القلوب التى أكتسبوها من قوة الإيمان ومـاأنهزم اعداءهم الا بضعف القلوب مع كثرة عددهم وعددهم بالمقارنه إلى عدد وعدد المسلمين وما تقوقع المسلمون في حاضرهم إلا بكثرة المعاصى التى وهنت القلوب .

وفي حديث ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ( **يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكله إلى قصعتها ، فقال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن . قالوا وما الوهن يارسول الله ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت** ) (1) .

فالمعاصى سبب الرعب والخوف والجبن والهلع ، فالطاعة حصن الله الأعظم بها يسمو الإنسان إلى مراتب الاطمئنان فالقلوب لا تهدأ الا في كنف الله وحمى شرعه ، ولا تعمى بصيرتها وينطمس نورها وتحجب عن العلم الحق والهداية الأبدية إلا في كنف الشيطان ومهاوى وساوسه وضلالاته وشتان بين قلب يتقرب الى الله حتى يكون معه في كل جارحه وبين قلب يستذله الشيطان بمعاصية وذنوبه .

---

١ - رواه أبو داود رقم ( ٤٢٩٧ ) في الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام ، وفي مسنده أبو عبدالسلام صالح بن رستم الهاشمي وهو مجهول ، ولكن رواه أحمد [ ٥ : ٢٧٨ ] ، من طريق أخر وسنده قوي ، جامع الأصول [ ٩ : ٢٨ ] برقم ( ٧٤٨١ ) .

# الباب الرابع

# مراحل موت القلب

الفصل الأول : معنى الموت ومترادفاته .

الفصل الثاني : خصائص القلوب الميته .

# الفصل الأول

# معنى الموت والألفاظ المقاربة له

المبحث الأول : اثر الذنوب في موت القلب .

المبحث الثاني : تعريف الموت .

# المبحث الأول

## أثر الذنوب في موت القلب

في حديث عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ( **إياكم و محقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه ، وإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضرب لهن مثلاً كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم ، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سواداً فأججوا ناراً وأنضجوا ما قذفوا فيها** ) <١> .

هذا الحديث يوضح لنا أن الذنوب والمعاصى تتراكم على العبد حتى تهلكه ، وأصل ذلك أن القلب يتأثر بالمعصية وتغطية حتى تصير راناً ، ثم يغلب عليه حتى يصير طبعاً وقفلاً ، فيصير القلب في غشاوة فيتولاه الشيطان ويسوقه حيث يريد . فالقلب إذا أتصف بحالة من امراضه فكل حالة إن أصبحت ملكة فيه لابد أن تصحب في باطنها صفات ذميمة فالصغو الذميم يؤدى الى الزيغ ، والزيغ تمرد وغواية يؤدى الى حرمان الهداية ، ومن ثم الى الفسق ، فالسواد على القلب يبدأ مرحلة بعد أخرى ، وكلها مراحل تبلد تجعل المتصف بها لا يستطيع الموازنه بين الخير والشر ، فبقدر خروج النور يحل الظلام حتى يعم ، وبقدر خروج النور يسلب الإيمان ، سواء كان إيمان فطرة أو أعلى من ذلك ، فتصير المعاصى هيئات راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة ، فلو ترك المجرم المعصية واقبل على الطاعات لضاقت على نفسه ، وضاق صدره ، وأعيت عليه مذاهبه حتى يعاودها ، ولايزال يألف المعصية ويحبها ويؤثرها ، حتى يرسل الله عليه الشياطين فتؤزه اليها أزاً ، فاذا بالأمراض تقربه من الهلاك ، وهلاك العبد موت قلبه ولكن الموت مراحل كما ان سواد القلب مراحل حتى يعود كا الكوز مجخيا ، كذلك مراحل الموت تبدأ باللهو وتتدرج الى الطبع . ونعتبر الموت الحقيقى للقلب هو الختم الذى تصاحبه الغفله ولا يكون ذلك الا بتفضيل الدنيا على الآخرة وانشراح الصدر للكفر العقدي ، وسنتحدث عن مراحل موت القلب بعد التعرف على معانى الموت وشمولها .

---

١ ـ مسند أحمد [ ١ : ٤٠٢ ، ٥ : ٣٣١ ] . واسناده صحيح على شرط الشيخين / الأحاديث الصحيحه للألبانى رقم ٣٨٩ .

# المبحث الثانى

## تعريـــف المـــوت

الميم والواو والتاء أصل صحيح يدل على ذهاب القوة من الشىء .

منه الموت : خلاف الحياة <١> أو هو حادث تزول معه الحياة <٢> ويطلق على عدة امور منها <٣> :

المـوت : السكون : يقال ماتت الريح أى سكنت وكل ما سكن فقد مات .

وأيضاً الموت : النوم : يقال مات الرجل وهمد وهوم إذا نام .

ويقال الموت : البلى : يقال مات الثوب ، إذا خلق وبلى .

ولكن الموت : خلق من خلق الله تعـالى : " الذى خلق الموت والحياة " [الملك: آيه ٢] .

والموت : نقض البنية الحيوانيه ، وهو عرض يضاد الحياة ولا يكون الا من فعل الله . <٤>

والموت : نفى الحياة مع سلامة البنيه ، والموت يتعدد إلى أنواع بحسب أنواع الحياة . <٥>

فالأول : ما هو بأزاء القوة النامية الموجودة في الإنسان والحيوان والنبات .

نحو قوله تعالى : " يحى الأرض بعد موتها " [ الروم : آيه ٥٠ ] .

وقوله تعالى : " وأحيينا به بلدة ميتا [ ق : آيه ١١ ] .

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٥ : ٢٨٣ ] .

٢ ـ نزهة الأعين النواظر [ ٥٦٩ ] .

٣ ـ لسان العرب [ ٢ : ٩٠ ] ، القاموس المحيط [ ٢٠٦ ] ، تاج العروس [ ١ : ٥٨٥ ] .

٤ ـ الفروق اللغوية [ ٨٣ ، ٨٤ ] .

٥ ـ المفردات [ ٤٧٦ ] ، بصائر ذوي التميز [ ٤ : ٥٣٦ ] ، تاج العروس [ ١ : ٥٨٦ ] .

الثانى : زوال القوة الحاسة ، كما في قوله تعالى : " ياليتني مت قبل هذا" [ مريم : آيه ٢٣ ] .

وقوله تعالى : " أئذا ما مت لسوف أخرج حيا " [ مريم : آيه ٦٦ ] .

الثالث : زوال القوة العاقلة : وهى الجهالة قال تعالى : " أو من كان ميتاً فأحييناه " [ الأنعام : آيه ١٢٢ ] * وإياه قصد بقوله : " إنك لا تسمع الموتى " [النحل : آيه ٨٠ ] .

الرابع : موت بالتشبيه وهو كل أمر جلل يكدر العيش وينغص الحياة ، كالحزن كما في قوله تعالى : " ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت " [ابراهيم : آيه ١٧] .

الخامس : المنام ، كما يقال النوم موت خفيف ، والموت نوم ثقيل ، وعلى هذا النحو سماهما الله توفيا ، قال تعالى : " الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها " [ الزمر : آيه ٤٢ ] * وقال تعالى : " وهو الذي يتوفاكم بالليل " [ الأنعام : آيه ٦٠ ] .

ويستعار الموت للأحوال الشاقه كالفقر ، والذل ، والسؤال ، والهرم والمعصية .

ويقال فلان مأموته : أى ما أموت قلبه ، لأن كل فعل لايتزيد لايتعجب منه ، فالموت لايتعجب منه لأن شرط التعجب أن يكون مما يقبل الزيادة والتفاضل وما لايقبل ذلك كالموت والفناء والقتل لا يجوز التعجب منه . (١)

كما يقال : رجل موتان الفؤاد : أى بليد غير ذكى ولافهم كأن حرارة فهمه بردت فماتت . (٢)

---

١ ـ تاج العروس [ ١ : ٥٨٧ ] .

٢ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٥ : ٢٨٣ ] ، تاج العروس [ ١ : ٥٨٧ ] .

وذكر أهل التفسير أن الموت في القرآن على أوجه : (١)

احدهما : الموت نفسه : ومنه قوله تعالى : " كل نفس ذائقة الموت " [آل عمران : آيه ١٨ ] .

وقوله تعالى : " إنك ميت وإنهم ميتون " [ الزمر : آيه ٣٠ ] .

الثانى : الضلال : ومنه قوله تعالى : " أو من كان ميتاً فأحييناه " [الانعام : آيه ١٢٢ ] .

وقوله تعالى : " فإنك لا تسمع الموتى " [ النحل : آيه ٨٠ ] .

وقوله تعالى : " وما يستوي الاحياء ولا الأموات " [ فاطر : آيه ٢٢ ] .

الثالث : الجدب وهو قله النبات : ومنه قوله تعالى : " سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء " [ الاعراف : آيه ٥٧ ] * وقوله تعالى : " فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها " [ فاطر : آية ٩ ] .

الرابع : الحرب ، ومنه قوله تعالى : " ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه " [ آل عمران : آيه ١٤٣ ] .

الخامس : الجماد : ومنه قوله تعالى عن الأوثان التى يعبدونها : " أموات غير أحياء " [ النحل : آيه ٢١ ] .

السادس : الكفر ومنه قوله تعالى : " وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي " [ آل عمران : آيه ٢٧ ] .

السابع : ذهاب الروح عقوبة من غير إستيفاء الأجل والرزق ، ومنه قوله تعالى لبنى اسرائيل : " ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون " [ البقره : آيه ٥٦ ] * وقوله : " وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم " [البقره : آيه ٢٤٣ ] .

---

١ ـ نزهة الأعين النواظر [ ٥٦٩ ] ، اصلاح الوجوه [ ٤٤٥ ] .

وهذه المادة ذكرت في القرآن الكريم اكثر من مائة وخمسين مرة بعموم تصاريفها . ونسب الموت للنفس في اكثر من موضع كما في قوله تعالى : " وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله " [ آل عمران : آيه ١٤٥ ] .

وفي مثل قوله تعالى : " كل نفس ذائقة الموت " [ آل عمران : آيه ١٨٥ ] * ومثله في { آيه ٣٥ الانبياء ، وآيه ٥٧ العنكبوت } .

وكما نسب إلى الإنسان كقوله تعالى : " وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون " [ الانبياء : آيه ٣٤ ] وكقوله تعالى : " فأماته الله مائة عام ثم بعثه " [ البقره : آيه ٢٥٩ ] .

كما نسب إلى الأرض كقوله تعالى : " والله أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها " [ النحل : آيه ٦٥ ] * وفي مثل قوله تعالى : " ويحي الأرض بعد موتها " [ الروم : آيه ١٩ ] .

اما القلب فلم ينسب له الموت صراحة في كتاب الله ، إنما وردت إشارات كثيرة تدل على ذلك ، فعندما استبطأ الله قلوب المؤمنين عاتبهم بقوله تعالى : " ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ، ولايكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون " [ الحديد : آيه ١٦ ] * أتبعها بقوله تعالى : " أعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون " [ الحديد : آيه ١٧ ] ( فيه اشارة الى ان الله يلين القلوب بعد قسوتها ويهدى الحيارى بعد ضلتها ، ويفرج الكروب بعد شدتها ، فكما يحى الأرض الميته المجدبه الهامدة بالغيث الهتان الوابل ، كذلك يهدى القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل ويولج اليها النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل اليها الواصل ) <١> .

---

١ ـ تفسير القرآن العظيم [ ٤ : ٣١١ ] .

وايضاً هناك اشارة في مثل قوله تعالى : " أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون " [ الأنعام : آيه ١٢٢ ] .

فهذا مثل ضربه الله تعالى للعبد الذى كان ميتاً أى في الضلالة هالكاً حائراً فأحياه الله أى أحيا قلبه بالايمان وهداه له ووفقه لاتباع رسله .

كما وهناك دلالة في قوله تعالى : " وما يستوي الأعمى والبصير ، ولاالظلمات ولاالنور ، ولاالظل ، ولاالحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات ، إن الله يسمع من يشاء وماأنت بمسمع من في القبور " [ فاطر : آيه ١٩ ـ ٢٢ ] .

فكما لا تستوى هذه الاشياء المتباينه المختلفه كذلك لا يستوى المؤمنون وهم الأحياء والكافرون وهم الأموات .

ومنها في قوله تعالى : " إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين ، وماأنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع الا من يؤمن بآياتنا " [ النحل : آيه ٨٠ ، ٨١ ] .

فالمراد موتى القلوب ، ومن على قلوبهم غشاوة وفي أذانهم وقر الكفر .

# الفصل الثاني

## خصائص القلوب الميته

المبحث الأول : متى يموت القلب
المبحث الثاني : لهو القلب
المبحث الثالث : القلب المغمور
المبحث الرابع : القلب المنكر
المبحث الخامس : اشمئزاز القلب
المبحث السادس : اكنان القلب
المبحث السابع : القلب المرتاب
المبحث الثامن : تقطيع القلب
المبحث التاسع : اغلفة القلب
المبحث العاشر : اشراب القلب
المبحث الحادي عشر : الإسلاك في القلب
المبحث الثاني عشر : صرف القلب
المبحث الثالث عشر : احالة الله بين العبد وقلبه
المبحث الرابع عشر : تقليب القلوب والأفئده
المبحث الخامس عشر : القلب الأعمى .
المبحث السادس عشر : الران على القلب
المبحث السابع عشر : القفل على القلب
المبحث الثامن عشر : الطبع على القلب
المبحث التاسع عشر : الختم على القلب
المبحث العشرون : القلب الغافل

## المبحث الأول
## متى يموت القلب

لفظ الموت لم ينسب صراحة للقلب في القرآن الكريم لحكمة أرادها الله منها : انه مهما بلغت بالقلب مراتب الضعف والمرض قد يشاء الله له بالهداية فيحيه بعد موته .

وأيضاً هناك موت دون موت كما في تعدد معانيه كالسكون والنوم والبلى ، أو تعدد أنواعه كالجهل ، أو زيادة الكدرات من الأثام ، أو موت مؤقت كالنوم ، أو تعدد اوجهه ، كالضلال والجدب ، أو ذهاب الحياة منه لفتره ثم عودتها اليه مرة أخرى .

وايضاً فكما أن هناك موت دون موت هناك كفر دون كفر <١> أى هناك كفر سلوك وكفر عقيدة ، وكفر العقيدة متفاوت أيضاً فمن بلغ به الكفر الحقيقى آخر مداه فهذا لا يؤمن ، وقد ختم على قلبه كما صرح بذلك الحق تبارك وتعالى : " إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم " [ البقره : آيه ٦ ـ ٧ ] .

وايضا في قوله تعالى : " إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آيه حتى يروا العذاب الأليم " [ يونس : آيه ٩٧ ] .

وكما قال جل من قائل : " ولئن آتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك " [ البقره : آيه ١٤٥ ] .

فمن بلغ من الكفر مداه ، وكتب عليه الشقاء فلا يؤمن بحال من الأحوال وهذا هو الكفر التام الحقيقى .

فالقلب الموجود فيه نور الفطرة وإن غطي بالشبهات والشهوات وأنحرف عن الجاده وعادى الإسلام بكل ماليه ، ولم ينطفىء من الفطرة نورها ، فسيعود إلى الإسلام اذا وجد من يهديه اليه ، وهذا نقوله على اكثر صحابة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما كانوا في غيابت الشرك والضلال ، فمنهم من حارب الإسلام والمسلمون ، فلما أزيحت الغشاوة عن قلبه ظهر نور الفطرة واستجاب

---

١ ـ سبق شرحه مفصلاً في أمراض القلوب ص ١٤١ .

للإيمان واصبح العون الأول له واليد الكبرى الذى بها يبطش ، فهولاء لم تحق عليهم كلمة العذاب ولم يبلغوا الكفر التام ، وهكذا كل من آمن من بعدهم الى قيام الساعة، لهذا نجد الفقهاء لا يجيزون لعن الكافر بعينه إنما اجازوا لعن الكفار مطلقاً فالكافر بعينه قد تكون فيه بقية من النور فيؤمن .

أما من إسود قلبه وانكفأ حتى عاد كالكوز مجخياً كأبى جهل وأمثاله ومن حذا حذوهم فهولاء موتى القلوب ، لايؤمنون مطلقاً .

وقد ورد في السنة النبوية تصريح بموت القلب . ففي سنن ابن ماجه حديثان .

الأول : ( عن أبى أمامه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : **من قام ليلتى العيدين محتسباً لله لم يمت قلبه يوم تموت القلوب** ) <١> .

اما الحديث الثانى فقد ورد بسندين مختلفين يجتمعان في ابى هريرة رضى الله عنه الأول : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ **لاتكثروا الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب** ) <٢> .

والثانى : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ( **يا أبا هريرة كن ورعاً تكن اعبد الناس ، وكن قنعاً تكن اشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً ، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً ، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب** ) <٣> .

وهذا الحديث نستدل به على كثرة الضحك المغرق الذى يكون دليلاً على لهو القلب عن جادة الحق وعن الإستماع لقول الحق ولهو القلب مرض شديد ومرحلة من مراحل الموت .

---

١ ـ سنن ابن ماجه ٥٦٧/١ ، حديث رقم ( ١٧٨٢ ) كتاب بالصيام ، باب ( ٦٨ ) والحديث إسناده ضعيف لأن في إسناده بقية ابن الوليد وهو متهم بالتدليس .

٢ ـ سنن ابن ماجه [ ٢ : ١٤٠٣ ] ، حديث رقم ( ٤١٩٣ ) كتاب الزهد باب ( ١٩ ) وإسناده صحيح ورجاله ثقات .

٣ ـ سنن ابن ماجه [ ٢ : ١٤١٠ ] حديث رقم ( ٤٢١٧ ) كتاب الزهد باب ( ٢٤ ) وإسناده حسن .

٤ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٥ : ٢١٣ ] .

# المبحث الثانى
## لهــــــو القلـــــــب

قال ابن فارس : اللهو ، وهو كل شىء شغلك عن شىء فقد الهاك . <١>

أو هو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه ، يقال لهوت بكذا ولهيت عن كذا ، ويعبر عن كل ما به استمتاع باللهو . <٢>

ويقال اللهو : هو الشىء الذى يتلذذ به الانسان فيلهيه ثم ينقضى . <٣>

أو هو : لعب لا يعقب نفعاً لأن اللعب قد يكون للتأديب ولا يقال له لهو . <٤>

واللهو : ذهول وغفلة عن الحق . <٥>

وذكرت المادة في القرآن الكريم ست عشرة مرة ، وارتبطت بالقلب في قوله تعالى : " اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون . ماياتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا ... " [ الانبياء : آيه ١ ـ ٣ ] .

وذكر بعض المفسرين ان اللهو في القرآن على ستة اوجه : <٦>

احدها : الاستهزاء والسخرية . ومنه قوله تعالى : " وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا " [ الانعام : آيه ٧٠ ] .

الثانى : الولد . ومنه قوله تعالى : " لو أردنا أن نتخذ لهواً لا تخذناه من لدنا " [ الانبياء : آيه ١٧ ] .

وقال الحسن وقتاده اراد به المرأه .

---

١ ـ المفردات [ ٤٥٥ ] .
٢ ـ التعريفات [ ١٩٤ ] .
٣ ـ الفروق اللغوية [ ٢١٠ ] .
٤ ـ التفسير الكبير : [ ٢٢ : ١٤١ ] .
٥ ـ نزهة الأعين النواظر [ ٥٣٥ ] ، إصلاح الوجوه والنظائر [ ٤٢٣ ] .

الثالث : ضرب الطبل : ومنه قوله تعالى : " وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها " [ الجمعة : آيه ١١ ] .

الرابع : السرور الفانى : ومنه قوله تعالى : " اعلموا أنما الحياة الدينا لعب ولهو " [ الحديد : آيه ٢٠ ] .

الخامس : الغناء : قوله تعالى : " ومن الناس من يشترى لهو الحديث " [لقمان : آيه ٦ ] .

وهو قول ابن مسعود وابن عمر

السادس : الشغل والمنع : ومنه قوله تعالى : " ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل " [ الحجر : آيه ٣ ] .

وقوله تعالى : " لاتهلكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله " [المنافقون : آيه ٩ ] .

واذ نظرنا الى الأوجه التى وردت بها معانى اللهو قد تكون مرضاً من أمراض القلوب ولكن إذا بلغت موضع التأمل والتدبر والتفكر وهو القلب ، ووجدته فارغاً لا يعرف الجد تمكنت منه ، فبدلاً من أن يكون حالة من حالاته مؤقتة ، إذا بها صفة لازمة له ، تجعله يلهو في أخطر المواقف ويهزل في مواطن الجد .

وقال المفسرون في قوله تعالى : " لاهية قلوبهم " ( أى ساهية قلوبهم معرضه عن ذكر الله متشاغلة عن التأمل والتفهم ) <١> ( غافلة معرضة بمطلبها الدنيويه وأبدانهم لاعبة ، قد اشتغلوا بتبادل الشهوات والعمل الباطل والأقوال الردية ) <٢> .

( لأن الانتفاع بما يسمع لا يكون إلا بما يرجع الى القلب من تدبر وتفكر وإذا كانوا عن استماعه لاعبين حصلوا على مجرد الاستماع الذى قد تشارك البهيمة فيه الانسان ) <٣> .

---

١ ـ تفسير القرطبي [ ١١ : ٢٦٨ ] .

٢ ـ تيسير الكريم الرحمن [ ٥ : ٢٠٨ ] .

٣ ـ التفسير الكبير [ ٢٢ : ١٤١ ] .

( فهم في غفلة تامة وجهالة عامة ، من توحيده تعالى والإيمان بكتبه ورسله عليهم السلام ، ووقوع الحساب ووجود الثواب والعقاب ، وسائر ما جاء به النبى الكريم عليه الصلاة والتسليم ، ومن غفل عن مجازات الله تعالى له المراد من الحساب ، صدر منه كل ضلاله وركب متن كل جهالة ) ‹١›

فاللهو لابد أن يسوق الإنسان الى كثير من المكاره ، فيغتر بظواهر الأمور وهذا فعل الجهال والصبيان ، وعواقبه غير محمودة فإن كثرته تدل على كثره الجهل والعمايه والحيرة ، وكل شيء كثر غمر صاحبه وغطاه وعلا عليه ، ويقال للشيء إذا كثر هذا كثير غمير ، فاستمرار الإصرار على المعاصى والإنهماك في اللهو والجهل لابد أن يكسب القلب حالة اعلا من اللهو ، لابد ان يغتمر القلب بها فتغطية ، ومن الغطاء ما طمس فينتقل من حالة قد تزول الى صفة ملازمة فيسمى القلب المغمور .

---

١ ـ روح المعاني [ ١٧ : ٦ ] .

# المبحث الثالث

# القلـــــــب المغمـــــــور

ومادة ( غمر ) تكررت في القرآن الكريم أربع مرات منها قوله تعالى : "قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون " [ الذاريات : آيه ١١ ] .

وقوله تعالى : " فذرهم في غمرتهم حتى حين " [المؤمنون : آيه ٥٤ ] .

وقوله تعالى : " ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت " [ الأنعام : آيه ٩٣ ] .

وارتبطت بالقلب : في قوله تعالى : " بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون " [ المؤمنون : آيه ٦٣ ] .

وأصل الغمر إزالة أثر الشيء : ومنه قيل للماء الكثير الذى يزيل أثر سيله غمر وغامر .

والغمرة : معظم الماء الساترة لمقرها .

والغمر : الحقد المكنون ، وجمعه غمور . <١>

كما يقال الغمرة : منهمك الباطل ، وغمرة الموت : شدة همومة .

ويقال اغتمر في الشيء : أى اغتمس . والاغتمار : الإغتماس .

والإنغمار : الإنغماس في الماء . <٢>

والغمرة : الماء الذى يغمر القامة فكأن ما هم فيه من الجهل والحيرة صار غامراً سانزاً لعقولهم . <٣>

---

١ ـ المفردات [ ٣٦٥ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ٥ : ٣٠ ] .

٣ ـ التفسير الكبير [ ٢٣ : ١٠٥ ] .

( والغمرة غطاء يغطى القلب عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج وبهذا قال الطبرى ومجاهد ) <١> .

وقال الشوكانى في تفسير قوله تعالى : " فذرهم في غمرتهم حتى حين " [ المؤمنون : آيه ٥٤ ] .

أى اتركهم في جهلهم فليسوا بأهل للهداية ، ولايضيق صدرك بتأخير العذاب عنهم ) <٢> .

وقال الزمخشري : في غمرتهم : أى في جهل يغمرهم ) <٣> .

فاللهو في الشهوات ناتج من ضعف البصيرة وقله العلم واتباع الهوي ، فيغمر القلب بالمعاصى ، وزين له الشيطان تلك الغوايات ، فيرى ما فيه هو الحق وما عداه ضلال فاذا العبد في درك أشد مما قبله فبجهله بمصالح نفسه وظلمه لها ، يسعى فيما يضرها ويؤلمها وهو يظن انه ينفعها ويكرمها والانسان ظلوم جهول ، وإذا بلغ هذا المبلغ ظهر على القلب نكران كل ما يرد عليه مما لايتصوره ، فليس للقلب تعقل صحيح يفرق بين الحسن والقبيح الا بما تمليه الاهواء والرغبات الناتجة عن جهل فاذا بالقلب يتسم بصفة النكران فيسمى القلب المنكر .

---

١ ـ تفسير الطبري [ ١٨ : ٣٥ ] .

٢ ـ فتح القدير [ ٣ : ٤٨٦ ] .

٣ ـ الكشاف [ ٤ : ٢٧ ] .

## المبحث الرابع
## القلـــــــب المنكـــــــر

وقد وصفه الحق تبارك وتعالى بقوله : " والذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون " [ النحل : آيه ٢٢ ] .

وقد نسب النكران لعموم الانسان كما في قوله تعالى : " يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون " [ النحل : آيه ٨٣ ] * وفي مـثل قـوله تعالى : " ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون " [ غافر : آيه ٨١ ] .

قال ابن فارس : النون والكاف والراء أصل صحيح يدل على خلاف المعرفه التى يسـكن اليـها القلـب ، ونكر الشـيء وانكره : لم يقبله قلبه ولـم يعترف به لسانه . ‹١›

وربما ينكر اللسان الشيء وصورته في القلب حاصلة ويكون في ذلك كاذباً كما قال تعالى : " يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها " [ النحل : آيه ٨٣ ] ‹٢› .

والنكر والنكراء : الدهاء والفطنة .

وايضاً الإنكار : الجحود ، والمنكر : خلاف المعروف . ‹٣›

فيتلخص لدينا من هذا التعريف أن الإنكار نوعان :

الأول : إنكار جهل ناتج عن قلة العلم بسبب الإنغماس في ملاهى الحياة وهو ما لم يقبله قلبه ، ولم يعترف به لسانه فهذا النوع مرض من الأمراض قد يزول إذ وجد النور طريقه الى نور الفطرة الكامن في القلب وهذا ينطبق على الجاهلية الأولى في اكثر الحالات ، إذ كانوا في شغل الملذات اكثر من إشتغالهم بمعرفه الحقائق التى أتى بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٥ : ٤٧٦ ] .

٢ ـ المفردات [ ٥٠٥ ] ، بصائر ذوي التميز [ ٥ : ١٢٠ ] .

٣ ـ لسان العرب [ ٥ : ٢٣٢ ] .

النوع الثانى : انكار كبر وجحود : وهذا ناتج عن كفر بعد معرفة تامة ، فالحسد الدفين في النفس ملأ الصدر وما حوى ، فاللسان مصر على الإنكار ، كما قال تعالى : " أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون . أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون " [ المؤمنون : آيه ٦٩ ـ ٧٠ ] .

وكقوله تعالى : " يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون " [ النحل : آيه ٨٣ ] .

وقال المفسرون في القلوب المنكره : انها التى لا تقبل الوعظ ولا ينجع فيها الذكر ‹١› فهم مستكبرون عن عبادة الله ، مع إنكار قلوبهم لتوحيده . ‹٢›

وقال الزمخشرى : قلوبهم منكرة للوحدانيه ، وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها . ‹٣›

وقال الرازى : ( ان الذين يؤمنون بالآخرة ويرغبون في الفوز بالثواب الدائم ويخافون الوقوع في العقاب الدائم ، إذا سمعوا الدلائل والترغيب والترهيب خافوا العقاب فتأملوا وتفكروا فيما يسمعونه ، فلا جرم ينتفعون بسماع الدلائل ويرجعون من الباطل الى الحق ، أما الذين لا يؤمنون بالآخرة وينكرونها فإنهم لا يرغبون في حصول الثواب ، ولايرهبون من الوقوع في العقاب ، فيبقون منكرين لكل كلام يخالف قولهم ، ويستكبرون عن الرجوع الى قول غيرهم ، فلا جرم يبقون مصرين على ما كانوا عليه من الجهل والضلال ) ‹٤› .

---

١ ـ تفسير القرطبي [ ١٠ : ٩٥ ] ، فتح القدير [ ٣ : ١٥٦ ] .

٢ ـ تفسير القرآن العظيم [ ٢ : ٥٦٦ ] ، زاد المسير [ ٤ : ٤٣٨ ] .

٣ ـ الكشاف [ ٢ : ٣٢٦ ] ، تيسير الكريم المنان [ ٤ : ١٩٣ ] ، روح المعاني [ ١٤ : ١٢١ ] .

٤ ـ التفسير الكبير [ ٢٠ : ١٧ ] .

والمقصود أن القلب يتصف بالإنكار الناتج عن الكبر والحسد لا لأجل شبهه أو إشكال ، بل هى النفرة عن الرجوع الى الحق ، لهذا قال الله في الآيه التى تليها: " إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين " [ النحل : آيه ٢٣] فمن بلغ هذا المبلغ تجده يسخر ممن يأتيه بالحق قال تعالى على لسانهم : "إن رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون " [ الشعراء : آيه ٢٧ ] فهذا نهاية في الكفر ، سواء كان كفران نعمة أو كفر عقيدة ، لأن من عرف الحق وجب عليه أن لا ينكره ، فان كان في أهون الشرين وتداركه الله بلطفه قد يسلم . كما قال تعالى : "يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون " [ النحل : آيه ٨٣ ] يفهم من الآيه أن كفر النعمة كثيراً مايؤدى إلى كفر الجحود والعناد أما أن كان جهلاً فربما طرق سمعه الحق فأستقيظ القلب وكشطت الغشاوة ، ولكن بشرط ان تكون في القلب قابلية المعرفة والتعقل أما اذا كان القلب يشمئز من ذكر الله فالخطر أشد والدرك أعمق .

# المبحث الخامس

## اشمـــــــئزاز القلــــب

وقد نسب الاشمئزاز الى القلب في كتاب الله ، قال تعالي : " وإذا ذكر الله وحده إشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخره وإذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون " [ الزمر : آيه ٤٥ ] .

ولم تتكرر هذه المادة في القرآن مطلقاً .

والشمز : التقبض ، إشمأز اشمئزاز : انقبض واجتمع بعضه الى بعض<١> وهو نفور النفس من الشيء تكرهه .

والمشمئز : النافر الكاره للشيء ، واشمأز الشيء : كرهه بغير حرف جر .

والمشمئز : المذعور . <٢>

وذكر الطبرى بسنده عن قتاده والسدى : إنها بمعنى نفرت قلوبهم واستكبرت وكفرت .

وعن مجاهد أنها : انقبضت <٣> وهو قول ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ

وقال المؤرج : أنكرت .

واصل الإشمئزاز : النفور والإزورار . <٤>

والنفر الإنزعاج عن الشيء والى الشيء يقال نفر عن الشيء . <٥>

---

١ ـ لسان العرب [ ٥ : ٣٦٢ ] ، النهاية في غريب الحديث [ ٢ : ٥٠٠ ] ، معترك الأقران [ ٢ : ٣٩ ] .

٢ ـ المرجع السابق نفسه .

٣ ـ تفسير الطبري [ ٢٤ : ١٠ ] ، تفسير ابن كثير [ ٤ : ٥٦ ] .

٤ ـ تفسير القرطبي [ ١٥ : ٢٦٤ ] .

٥ ـ المفردات [ ٥٠١ ] .

والزور الإنقباض يقال تزاور عنه ، وأزور عنه . <١>

وكلا المعانى متقاربه تمثل حالة القلب ، وإن كانت الآيه تمثل واقعه حال على عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا انها تتحدث عن فعل من افعال القلوب سواء القلوب الحية أو الميته .

وقد صور الزمخشرى حالة الاشمئزاز بقوله : ( أن يمتلىء غماً وغيظاً حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه ) <٢> .

وقال الرازى : ( أن يعظم غمه وغيظه فينقبض الروح الى داخل القلب ، فيبقى في أديم الوجه أثر الغبرة والظلمة الأرضية ) <٣> .

وهذا الوصف ينطبق على القلوب الميته التى تمسكت بهوى النفس ولا تميل الى الحق ، فمن الناس من تشمئز قلوبهم وتنقبض نفوسهم كلما دعو الى الله وحده الهاً وخالقاً والى شريعته نظاماً ، لايميلون الى الحق وترتاح نفوسهم لضده ، ضالون مضلون مسخت قلوبهم فلا فائدة ترجى منهم .

وآخرون تشمئز قلوبهم عندما يروا هؤلاء يسيرون في الضلال لايرتد عون ، فيحاولون ردهم الى طريق الهدي .

فالإشمئزاز حالة تمر على القلب فيمتلى غيظا وغماً يظهر أثره على الجوارح كما يشاهد في وجه العابس المحزون .

---

١ ـ المفردات [ ٢١٧ ] .

٢ ـ الكشاف [ ٣ : ٣٤٩ ] .

٣ ـ التفسير الكبير [ ٢٦ : ٢٨٦ ] .

فالاشمئزاز قد يكون من المؤمن منصباً على الباطل ، وقد يكون من الكافر لنفرت قلبه عن الإيمان والمؤمنين . أخرج الامام احمد في مسنده بسنده عن ابى سعيد الحذرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسـول الله ـ صلى الله عليـه وسلـم ـ **( تكون امـراء تلين لهم الجلود وتطمئن اليهم القلوب ، ويكون عليكم امراء تشمئز منهم القلوب وتقشعر منهم الجلود قالوا : افلا نقاتلهـم ؟ قال : لا . ماأقـاموا الصلاة )** ‹١› .

فـهنا اشـمـئزاز القلوب المؤمنه من أفـعـال المنحـرفين عن جـادة الطريق المستقيم، أما من سار في مراحل الموت فاذا سمع من يقول لا إله الا الله وحده لا شريك له ظهـرت آثار النفرة على وجـهه ، من أثر النفرة الكامنه في قلبه ، ويفـرح ويستبشر بما يخالف ذلك ، ويميل لرغباته من ذكر الشهوات المادية او المعنوية وهذا رأس الجهالة والحمق .

وربك يعلم ما تكن صـدورهم فـأعـقـبـهم أكنه على قلوبهم غطاء من الحق تبارك وتعالى تولاه الله وفعله حكم عدل ، جزاء لشركهم وكذبهم ونفرتهم من سماع القرآن واعراضـهم عنه ، وإتهـامـهم الرسل بما لا يليق . كمـا سنفـصله ونبـين مـا يترتب عليه .

---

١ ـ مسند أحمد [ ٣ : ٢٨ ، ٢٩ ] .

# المبحث السادس

## إكنـــــــان القلـــــب

وكنان القلوب أو سمها القلوب المكننه من قولك كننت العلم في النفس أى اخفيته نسب الى القلب في أربع مواضع من الذكر الحكيم ، كما في قوله تعالى : "وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا " [ الأنعام : آيه ٢٥ ] ومثلها في [ الاسراء : آيه ٤٦ ] * وايضا في قوله تعالى : " إنا جعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا " [ الكهف : آيه ٥٧ ] * وأخيرا في قوله تعالى : " وقالوا قلوبنا في أكنة مما يدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب " [ فصلت : آيه ٥ ] .

وايضاً نسب الى الصدر كما في قوله تعالى : " وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم ومايعلنون " [ النمل : آيه ٧٤ ] * وقوله تعالى : " وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون " [ القصص : آيه ٦٩ ] .

كما نسب الى النفس في قوله تعالى : " ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبته النساء أو أكننتم في أنفسكم " [ البقره : آيه ٢٣٥ ] .

وقال أهل اللغه : <١>

الكن والكنه ، والكنان : وقاء كل شيء وستره ، والكن : البيت أيضاً لانه يرد البرد والحر .

والكن : كل شيء وقى شيئاً فهو كنه وكنانه والجمع أكنان وأكنه .

---

١ ـ لسان العرب [ ١٣ : ٣٦٠ ] ، تاج العروس [ ٩ : ٣٢٣ ] ، المفردات [ ٤٤٢ ] .

وأكنته في نفسي : أي أسررته ، والاكنه : الأغطية ومنه قوله تعالى :
"وجعلنا على قلوبهم أكنه أن يفقهوه " [ الانعام : آيه ٢٥ ] .

وتقول كننت العلم في النفس : أي أخفيته .

ومنه اكتنت المرأة : إذا غطت وجهها وسترته حياء من الناس .

والكنانه : جعبة السهام .

فالمادة تدور حول الستر والغطاء .

وذكر أهل التفسير انها في القرآن على ثلاثه اوجه : <١>

الأول : بمعنى الغطاء ومنه قوله تعالى : " وجعلنا على قلوبهم أكنه "
[الأنعام : آية ٢٥ ] .

الثاني : الكهوف والأسراب ومنه قوله تعالى : " وجعل لكم من الجبال
أكناناً " [ النحل : آية ٨١ ] .

الثالث : بمعنى تضمر ومنه قوله تعالى : " وربك يعلم ما تكن صدورهم
وما يعلنون " [ القصص : آية ٦٩ ] .

( وللعرب في أكننت الشيء : أي سترته لغتان : كننته وأكننته ، في الكن
وفي النفس بمعنى ، ومنه قوله تعالى : " ما تكن صدورهم " [ القصص : آية ٦٩]
وقوله تعالى : " وكأنهن بيض مكنون " [ الصافات : آية ٤٩ ] .

وفرق قوم بينها فقالوا : كننت الشيء إذا صنته حتى لا تصبه آفه وإن لم
يكن مستوراً يقال : در مكنون ، وجارية مكنونه ، وبيض مكنون ، مضمون عن
التدحرج .

---

١ ـ اصلاح الوجوه والنظائر [ ٤٠٩ ] ، بصائر ذوي التميز [ ٢ : ١٦١ ] .

وأما أكننت فمعناه أضمرت ، ويستعمل ذلك في الشيء الذى يخفيه الإنسان ويستره عن غيره ، وهو ضد أعلنت وأظهرت . <١>

وقال المفسرون في قوله تعالى : " وجعلنا على قلوبهم أكنه " أى جعلنا على قلوبهم أغطيه وغشاوه مجازاه على كفرهم ، ومنعنا الإيمان من أن يدخل قلوبهم وأسماعهم . <٢>

فإنهم كانوا يسمعون من غير تدبر ، وهذا يعرب عن كمال جهلهم بما جاء به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو يدل على تكبرهم النابع من حسد أنفسهم، فإن كانت الأخرى فقد حرموا الهداية كما قال تعالى : " ومانرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وماأنذروا هزواً . ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنه أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا إذاً ابداً " [ الكهف : آيه ٥٦ ـ ٥٧ ] .

ولو تتبعنا أفعال أصحاب القلوب التى أستحقت أن جعل الله عليها الأكنه نرى انها تدور أولاً : على الجحود مع علمهم التام أن قلوبهم تنكر جحودهم ، فقد امتازوا بالكذب واصروا على عدم الإيمان أضافه الى الاستهزاء بالقرآن وبعدهم عنه وابعاد الناس عن الاستماع اليه ، وقد اوضح الحق ذلك في قوله تعالى : " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم . الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون . ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لايفلح الظالمون . ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون . ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين . انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون . ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنه أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آيه

---

١ ـ التفسير الكبير [ ٦ : ١٣١ ] .

٢ ـ تفسير القرطبي [٦ :٤٠٤، ١١ : ٧] تفسير القرآن العظيم [٣ : ٤٣ ، ٩١] روح المعاني [١٥ : ٣٠٣ ].

لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا الا أساطير الأولين . وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم " [الانعام : آيه ٢٠ ـ ٢٦ ] .

وكذلك في قوله تعالى : " وإذا قرأت القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم أكنه أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً . نحن أعلم بما يستمعون به . إذ يستمعون إليك وإذهم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون الا رجلا مسحوراً . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا . وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أءنا لمبعوثون خلقاً جديداً . قل كونوا حجارة أو حديدا . أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا " [ الاسراء : آيه ٤٥ ـ ٥١ ] .

ثانيا : الإصرار على عدم الإيمان رغم ما يشاهدوه من الدلائل الواضحه ، وما منعهم من اتباع ذلك الإ طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذى وعدوا به عياناً ، إضافه إلى المجادلة بالباطل ليطفؤا نور الله بأفواههم واستهزائهم بالحجج والبراهين وخوارق العادات التى أتت بها الرسل وما انذروهم به من العذاب ، ونسيانهم أعمالهم السيئه وأفعالهم القبيحة وهذا أوضحها الحق تبارك وتعالى .

في قوله تعالى : " ومامنع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تاتيهم سنة الأولين أو ياتيهم العذاب قبلا . وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليد حضوا به الحق واتخذوا آياتى وما أنذروا هزواً . ومن أظلم ممن ذكر بائيات ربه فاعرض عنها ونسى ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنه أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبدا " [ الكهف : آيه ٥٥ ـ ٥٧ ] .

ومع هذا نستشف من قول الله تعالى تلو آيات الكهف : " وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤآخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب " [ الكهف : آيه ٥٨ ] أن الأكنان لا يمنع من الإيمان فليس بموت تام إنما هو مرحلة من مراحل المرض الشديد المؤدى الى الموت لما مر ذلك في اول الباب ( فر بما هدى الله بعضهم من الغى الى الرشاد ) كما قال الحافظ ابن كثير ‹١› فرحمة الله تفيض على عباده جميعاً وتسعهم جميعاً وبها يقوم وجودهم وتقوم حياتهم وهى تتجلى في كل لحظة من لحظات الوجود ولا يملك الفرد تتبعها في حياة البشر على الإطلاق ، وان لحظة واحدة يفتح الله فيها ابواب رحمته لقلب العبد فترفعه من الدرك الى عليين ، اما من لازال الركام على فطرته لم يهتز بعد ، ومغاليق التفقه مقفله ، وابواب السمع موصدة وغلاف الإدراك لاينفذ اليه شىء ( وإن يروا كل آيه لا يؤمنوا بها ) فهو مرتاب غمر الشك قلبه وعمت الحسرة بصيرته ، ولايزال من ريب الى آخر يهوى به الى درك أدنى حتى تكون صفة ملازمة للقلب ـ والعياذ بالله ـ فيطلق عليه القلب المرتاب فهو نفاق مستفحل او كفر دفين .

# المبحث السابع
# القلـــب المرتـــــاب

وقد نسب الريب الى القلب في مثل قوله تعـــالى : " إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون" [ التوبه : آيه ٤٥ ] .

وفي قـوله تعـالى : " لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم " [ التوبه : آيه ١١٠ ] .

والريب مرحلة متقدمه نحو الموت ، فهو أعلى من حالة المرض . قال تعالى: " وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون . وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين . أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون " [ النور : آيه ٤٨ ـ ٥٠ ] .

( فلا يخرج حال هؤلاء المنافقين عن أن يكون في القلوب مرض لازم لها أو عرض لها شك في الدين ، أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم وأياماً كان فهو كفر محض ) ‹٢› .

ولا يبلغ مرتبه الصدق من كان فيه ريب . قال تعالى :" إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون " [ الحجرات : آيه ١٥ ] .

فالمؤمن من نفى عن نفسه الريب وقد يكون سلوكاً فيمن هو دونه ولكن في غير التشريع ، فقد يرتاب في سلوك فرد ويشك فيه وليست هذه من تلك في شيء .

والراء والياء والباء : أصل صحيح يدل على شك ، أو شك وخوف ، فالريب الشك ، قال جل ثناؤه " آلم . ذلك الكتاب لا ريب فيه " أى لا شك .

والريب : ما رابك من أمر . تقول : رابنى هذا الأمر ، اذا أدخل عليك شكاً وخوفاً . ‹٣›

---

١ ـ تفسير القرآن العظيم [ ٣ : ٩١ ] .

١ ـ تفسير ابن كثير [ ٣ : ٢٩٨ ] .

٢ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٢ : ٤٦٣ ] ، لسان العرب [ ١ : ٤٤٢ ] .

وقال ابن الأثير ، الريب : هو الشك مع التهمه . <1>

والريبة : اسم من الريب . قال تعالى : " لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبه في قلوبهم " [ التوبه : آيه ١١٠ ] أى يدل على دغل وقله يقين منهم . <٢>

والريب في القرآن على ثلاثه اوجه :

فوجه منه الريب : الشك . ومنه قوله تعالى : " آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه " أى لا شك فيه .

والثانى : حوادث الدهر ، ومنه قوله تعالى : " أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون " [ الطور : آيه ٣٠ ] .

والثالث : الريبه - الحسرة ، ومنه قوله تعالى : " لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبه في قلوبهم " [ التوبه : آيه ١١٠ ] يعنى حسرة في قلوبهم . <٣>

والريبه : هى الخصلة من المكروه تظن بالإنسان فيشك معها في صلاحه ، فالريبه ظن فقط وليست من الحقيقه في شىء بخلاف التهمة قد تكون ظن وقد تكون حقيقة .

أما الشك فهو استواء طرفى التجويز ، فالشاك يجوز كون ما شك فيه على احدى الصفتين لأنه لا دليل هناك ولا أماره فالشك إجتماع شيئين في الضمير بلا مرجح . <٤>

فريب القلب وجود شيء واحد فقط وهو جانب الكره تمكن من القلب واستولى عليه لهذا نفاه الله عن المؤمنين قال تعالى : " إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون " [ الحجرات : آيه ١٥ ] .

---

١ - النهاية في غريب الحديث [ ٢ : ٢٨٦ ] معترك الأقرآن في إعجاز القرآن [ ٢ : ٩٨ ، ١٨٥ ] جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، م : ٩١١ هـ ، تصحيح أحمد شمس الدين ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢ - بصائر ذو التميز [ ٣ : ١١٤ ] ، المفردات في غريب القرآن [ ٢٠٥ ] .

٣ - اصلاح الوجوه والنظائر [ ٢١٤ ] ، نزهة الأعين النواظر [ ٣١٢ - ٣١٣ ] .

٤ - الفروق اللغوية [ ٧٩ ، ٨٠ ] .

( أى آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا إتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق معه ) ‹١›

فكان جزاء المرتاب ان يضله الله خاصة إذا تمكنت هذه الصفة من القلب لأنه لا فائدة ترجى منه قال تعالى : " ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا، كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب " [ غافر : آيه ٣٤ ] .

أى مثل هذا الضلال يضل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه فهي حقيقة ثابته بينها الله جل وعلا في حق هذا المبدأ الذى طمست فيه أنوار المعرفة به سبحانه وتعالى .

وتدور أسباب ريب القلب في دائرة النفاق ودائرة الحسد الذى ملأ حشاشة النفس والصدر ، فأساسه عدم الإيمان بالله واليوم الآخر ، والشك فيما جاء به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقول باللسان مخالفاً الإعتقاد ، والإعراض والإستكبار عن الاتباع ، أضافه الى المشى بالنميمة والبغضاء والفتنه كل هذه الأسس موضحه في تسلسل الآيات التى وسمتهم بهذه الصفة .

من ذلك قوله تعالى : " والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا الا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون . لاتقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين . أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين . لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبه في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم " [ التوبه : آيه ١٠٧ ـ ١١٠ ] .

والريبة تأكل القلب كما تأكل النار الحطب ، وتميته تقطيعا أو لا تزايله حتى تميته وهذه المرحلة من المراحل السريعة الانحدار فتهوى بصاحبها ، إلا من رحم ربك .

---

٣ ـ تفسير روح البيان [ ٩ : ٩٥ ] الشيخ إسماعيل حقي البرسوي م : ١١٣٧ هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

# المبحث الثامن

# تقطيـــــع القلـــــب

قال تعالى : " لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبه في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم " [ التوبه : آيه ١١٠ ] .

والقطع إبانه بعض أجزاء الجرم من بعض فصلاً ، وتقطع : شدد للكثرة ، ومنه قوله تعالى : " فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا " [ المؤمنون : آيه ٥٣ ] أى تقسموا وتفرقوا في أمرهم . <١>

وقال الراغب : القطع قد يكون مدركا بالبصر كقطع اللحم ونحوه ، وقد يكون مدركا بالبصيرة كالاشياء المعقوله ، كقطع السبيل فيراد به السير والسلوك أو يراد به الغصب من المارة والسالكين . <٢>

ومن المجاز قطع النهر : عبره أو شقه ، وقطع خصمه بالحجة : غلبه وبكته، وقطع لسانه : أسكته باحسانه اليه . <٣>

وذكر بعض المفسرين أن القطع في القرآن على أحد عشر وجها وأوصلها الفيروز ابادى الى إثنى عشر وجهاً منها : زوال الرجاء والأمل ، كما في قوله تعالى: " إلا أن تقطع قلوبهم " أى يئسوا مما رجوا . <٤>

وأختلف القراء في قراءة قوله تعالى : " إلا أن تقطع قلوبهم " <٥> فقرأ بعض قرآء الحجاز والمدينه والبصره والكوفة بضم التاء وتشديد الطاء على ما لم يسم فاعله وبمعنى : إلا أن يقطع الله قلوبهم .

---

١ ـ لسان العرب [ ٨ : ٢٧٦ ] .

٢ ـ المفردات [ ٤٠٨ ] .

٣ ـ تاج العروس [ ٥ : ٤٧١ ] .

٤ ـ نزهة الأعين [ ٥٠٢ ] بصائر ذوي التميز [ ٤ : ٢٨٤ ] إصلاح الوجوه [ ٣٨٥ ] .

٥ ـ تفسير الطبري [ ١١ : ٣٤ ] ، تفسير ابن كثير [ ٢ : ٣٩١] ، التفسير الكبير [ ١٦ : ١٩٨ ] ، تفسير القرطبي [ ٨ : ٢٦٦ ] .

وقرأ بعض قرآء المدينه والكوفه بفتح التاء والطاء مشدده من تقطع على أن الفعل للقلوب . بمعنى إلا أن تتقطع قلوبهم .

وعن ابن كثير : بفتح الطاء وتسكين القاف . ( قلوبهم ) بالنصب أى : تفعل أنت بقلوبهم .

وكان أصحاب عبدالله بن مسعود يقرءونها (ريبة في قلوبهم ولو تقطعت قلوبهم ) فنخرج من هذه القرآت أن تقطيع القلوب على حالتين :

الأول : ان يكون ذلك فعل الله في القلوب وهذه نأخذها من قرآءة ابن كثير واهل الحجاز بضم التاء وتشديد الطاء ، فيكون فعل الله بهم أن يجعل قلوبهم قطعاً وتفرق أجزاء ، إما بالسيف وإما بالحزن والبكاء ، وهذه باقية أبداً ويموتون على هذا النفاق .

الثانى : ان يكون ذلك فعل من افعال القلوب الميته : وهذا من قرآءة من قرأ بفتح التاء والطاء المشددة وهى القراءة المعروفة المشهورة في المصاحف التى بين ايدينا فيكون معناها : حتى تنشق قلوبهم غماً وحسرة ، أو أن يتوبوا توبه تنقطع بها قلوبهم ندماً واسفاً على تفرطيهم ويؤيد ذلك ختام الأية لقوله تعالى : " والله عليم حكيم " أى عليم بأحوالهم حكيم في الأحكام التى يحكم بها في مجازاتهم عن أعمالهم من خير وشر ، وقد يفتح الله على العبد باباً من ابواب رحمته فينقله الى نعيم الدارين ويهديه لخير طريق النجدين .

ولكن التقطيع ذو مراحل فهو موت اجزاء من القلب ، فبحسب تفاوت المعصية يتفاوت الغطاء الذى يغشى القلب حتى لايعى شيئاً ويسمى غلافاً ويوصم به القلب فيقال قلب أغلف .

# المبحث التاسع

# أغلفـــــة القلـــــب

الغلاف لابد وان يكون سميكاً ، لأنا لا نقول رجل مغلف : الا لمن عليه غلاف من أدم أى من جلد ونحوه ، فهو إمعان في الغشاوة وقد وردت هذه المادة مرتين في القرآن الكريم :

الأولى : في قوله تعالى عن بنى اسرائيل : " وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون " [ البقره : آيه ٨٨ ] .

الثانيه : في قوله تعالى : " فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا " [ النساء : آيه ١٥٥ ] .

وقد ورد في حديث أبى سعيد الخدرى - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - **( القلوب أربعة ، قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب اغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مصفح ، فأما القلب الأجرد : فقلب المؤمن سراجه فيه نوره ، وأما القلب الأغلف : فقلب الكافر ، وأما القلب المنكوس : فقلب المنافق عرف ثم انكر ، وأما القلب المصفح : فقلب فيه إيمان ونفاق ، فمثل الإيمان فيه كمثل البقله يمدها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحه يمدها القيح والدم ، فأى المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه )** (١) .

وفي الحديث الصحيح عن عبدالله بن عمرو بن العاصي - رضى الله عنهما - في صفه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في التوارة وفيه **( ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله الا الله ويفتح بها أعين عمى وآذان صم وقلوب غلف )** (٢) .

---

١ - مسند أحمد [ ٣ : ١٧ ] وذكره الحافظ ابن كثير عند تفسير قول الله تعالى " أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعده وبرق " [ ١٩ : البقرة ] وقال إسناده جيد حسن [ ١ : ٥٦ ] .

٢ - صحيح البخارى كتاب البيوع باب ( ٥٠ ) حديث ( ٢١٢٥) ، فتح الباري [ ٤ : ٣٤٣ ] [ ٨ : ٥٨٥ ] ، كتاب التفسير تفسيرسورة الفتح باب ( ٣ ) حديث رقم ( ٤٨٣٨ ) .

الغلاف : الصوان وما اشتمل على الشيء : كقميص القلب وكمام الزهر ، والجمع غلف ، وغلف القارورة وغيرها : ادخلها في الغلاف ، أو جعل لها غلافاً ، وقلب أغلف بين الغلفه كانه غشى بغلاف فلا يعى شيئاً .

ويقال : غلام أغلف إذا لم تقطع غرلته ، ورجل مغلف : عليه غلاف من الأدم ونحوها ، وغلف لجبته بالطيب والحناء وغلفها : لطخها . ‹١›

( وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ في معنى قوله تعالى : " وقالوا قلوبنا غلف " أى في أكنه ، وفي رواية أى لاتفقه وفي أخرى أى المطبوع عليها .

وقال مجاهد : عليها غشاوه .

وقال عكرمة : عليها طابع .

وقال السدى عليها غطاء . ‹٢›

( وقرأ الجمهور قوله تعالى : " وقالوا قلوبنا غلف " بإسكان اللام ، وقرأ آخرون بضمها . فمن قرأ ( غلف ) بتسكين اللام فمعناه : ذوات غلف فكانهم قالوا : قلوبنا في أوعيه .

ومن قرأ ( غلف ) بضم اللام فهو جمع غلاف فكأنهم قالوا : قلوبنا أوعية للعلم

فعلى الأول يقصدون إعراضه عنهم ، كأنهم يقولون : ما تفهم شيئاً .

وعلى الثانى يقولون : لو كان قولك حقاً لقبلته قلوبنا ) ‹٣› .

ونستخلص أن الغلف فيه ثلاث إحتمالات :

أحدها : أنه جمع غلاف : أى قلوبنا مغطاه بأغطيه لا تسمع دعوة رسول الله موسى عليه السلام .

---

١ ـ لسان العرب [ ٩ : ٢٧١ ] ، المفردات [ ٣٦٤ ] .

٢ ـ تفسير ابن كثير [ ١ : ١٢٣ ] ، البحر المحيط [ ١ : ٣٠١ ] .

٣ ـ زاد المسير [ ١ : ١١٣ ] .

الثانى : أنها مملؤه بالعلم والحكمة لاحاجة لها الى شرع رسول جديد .

والثالث : انها هى غلاف فارغ ، لاشىء فيه من العلوم التى بها يستدل على صحة رسالتك .

وعلى ذلك فيكون غلف القلب إما غطاء يغطيه من أثر الذنوب لايصل اليه شىء جديد من نور الايمان ، وهذه الذنوب غطت القلب بما حوى ، سواء كان فيه شىء من نور الفطره فهو بصيص لا يظهر ، ونشبهه بالشعلة المغلفة بزجاجة عتمت من الوساخة فطمست النور ولم يظهر ، وهذا يتمشى مع اقوال المفسرين رحمهم الله .

وإما أن تكون قلوبهم فارغه من أى شىء واصبحت كالغلاف الخالى الذى ليس بداخله ما يملؤه كجراب السيف ويكون المعنى قلوب لم يصلها نور بعد إفراغها من نور الفطرة .

وكلا المعنين يتمشى مع الحديث الصحيح في صفه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في التواره الذى فيه : ( **ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله الا الله ويفتح بها اعين عمى و آذان صم وقلوب غلف** ) .

فسواء كان القلب مغطى بركام الذنوب فإن لا إله الا الله تكشط هذا الغطاء ، أو كان خالياً كالجراب فإن لا إله الا الله تملأه بنور الايمان .

## الفرق بين الإكنان والغلاف :

قلنا في الاكنان انه يدور حول الستر والغطاء ، والغلاف مثله لغة . الا أن الغلاف توعد المتصف به باللعنه وبالطبع نتيجة الكفر ، والإكنان بسبب عدم التفقه وسلب الهداية ، فيستخلص أنه وإن كان كلاهما غطاء الا أنه هنا أشد من سابقه ، هذا إذا أردنا التوفيق بين اللفظين .

أما إذا حملنا الغلاف على أنه كالجراب الخالى ، أى ليس فيه نور الهداية ، فيكون بينهما فارق واضح ، فيصبح كل منها مغاير للآخر .

ومن ناحية ثانيه : نجد أن بنى إسرائيل وصموا انفسهم بهذه الصفه فهم الذين قالوا قلوبنا غلف ومن عادة الإنسان أنه لا يذم نفسه بقصد الذم انما يجرى على لسانه ما تكن سريرته فيفضح نفسه ، فهم أرادوا أن قلوبهم مملؤة علماً . فهى جراب مملؤة مقفلة على ما حوت ، فكذبهم الله واخبر أنه طبع عليها بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلاً .

والملاحظ أن أية سورة البقرة ختمت بقوله تعالى : " فقليلا ما يؤمنون " ، وأية سورة النساء ختمت بقوله تعالى : " فلا يؤمنون الا قليلا " ( أى فقليل منهم من يؤمن ) وهو قول ابن عباس وقتاده وأبو مسلم ومال اليه أبو حيان <١> ونأخذ من هذا أن القلب الأغلف من الممكن أن تعود اليه الحياة ، فقد يكون فيه شيء من النور ، سواء نور الفطرة أو نور رسالة سابقه ، فرحمة الله لا تحد وهو قريب من عبادة ويفرح بتوتة عبده ، أما إذا أستمر العبد على التكبر والتجبر والحسد والكفر بما أنزل الله ، وسار على عناده ولم يحاول أن يفتح قلبه حتى أصبح ذلك عادة عنده فان القلب يشرب حب المعصية ، بعد أن تكون دخلت فيه وقبلها وسكن اليها .

---

١ ـ البحر المحيط [ ١ : ٣٠٢ ] ، زاد المسير [ ١ : ١١٣ ] والتفسير الكبير [ ٣ : ١٧٨ ] تفسير ابن كثير [ ١ : ١٢٤ ] في ظلال القرآن [ ١ : ٩٠ ]

وابوحيان هو : محمد بن يوسف بن علي ابن حيان الغرناطي من كبار علماء اللغة والتفسير توفى في عام ٧٤٥ هـ الأعلام ٧ / ١٥٢ .

# المبحث العاشر
# إشــــــراب القلـــــب

وقـد وصف القلب بالإشـراب في قـوله تعـالى : " وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ماأتيناكم بقوة واسمعوا . قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين " [ البقره : آيه ٩٣ ] .

وأوضحت السنة ذلك من حديث حذيقه بن اليمان - رضى الله عنه - قال : سـمـعت رسـول الله - صلى الله عليـه وسلم - يقـول : ( **تعـرض الفتن على القلـــوب كالحصير عوداً عـوداً فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ..** الحديث ) <١> .

والإشراب مخالطة المائع الجامد ، ثم توسع فيه فصار في اللونين <٢> يقال أشـرب الأبيض حمرة : أى عـلاه ذلك ، وكذلك إن خـالطة ذلك ، كأن أحـد اللونين سقى اللون الآخر ، فيقال بياض مشرب حمرة .

ومما يقال أشرب فلان حب فلانة : أى خالط قلبه .

وأشرب قلبه محبة هذا : أى حل محل الشراب . <٣>

وفي حديث الإفك قالت عائشة لأبويها - رضى الله عنهم - ( - والله يشـهد إنى لصادقه - ماذاك بنافعى عندكم ، لقد تكلمتم به وأشربته قلوبكم .. ) <٤> .

قال ابن حجر : أى حل فيـها محل الشـرب وقبلوه . يقال ثوب شـرب : أى مصبوغ <٥>

---

١ - صحيح مسلم [ ١ : ١٢٨ ] كتاب الإيمان باب ( ٦٥ ) حديث ( ١٤٤ ) .

٢ - البحر المحيط [ ١ : ٣٠٨ ] ، روح المعاني [ ١ : ٣٢٦ ] .

٣ - لسان العرب [ ١ : ٤٨٩ ] ، المفردات [ ٢٥٧ ] ، القاموس المحيط [ ١٢٨ ] .

٤ - صحيح البخارى كتاب التفسير ، باب ( ١١ ) حديث رقم ( ٤٧٥٧ ) . فتح الباري [ ٨ : ٤٨٨ ]

٥ - هدى الساري [ ١٣٧ ] مقدمة فتح الباري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تخريج وتصحيح محب الدين الخطيب ، دار المعارف للطباعة ، بيروت .

( وعبر بالشرب دون الأكل : لأن الشرب يتغلغل في الأعضاء حتى يصل الى باطنها ولهذا قال بعضهم :

جرى حبها مجرى دمى في مفاصلى * فأصبح لى عن كل شغل بها شغل ) <١> .

وأيضاً كما أن الشرب مادة الحياة ما تخرجه الأرض ، فكذلك تلك المحبة كانت مادة للقبائح الصادرة عنهم .

وشرب من المتضادات يقال : شرب الرجل اذا روى ، وشرب إذا عطش . <٢>

وفي قوله تعالى : " وأشربوا " دلالة على فاعل فعل بهم ذلك ، ومعلوم أنه لا يقدر عليه سوى الله ، فالحق تولى إشراب هذه المعاصى في قلوب العصاة جزاء إرتكابهم المساوىء .

وذكر المفسرون في معنى الاشراب اقوال أربعة :

الأول : انه داخلهم حب العجل ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما داخل الصبغ الثوب . ورجحه الطبرى وبه قال الدامغانى ، وقال بعضهم :

إذا ما القلب أشرب حب شىء * فلا تأمل له عنه إنصرافا

الثانى : من أشربت البعير : إذا شددت في عنقه حبلاً ، كأن العجل شد في قلوبهم لشغفهم به .

الثالث : من الشراب : ومن عادتهم أنهم إذا عبروا عن مخامرة حب او بغض إستعاروا له إسم الشراب إذ هو أبلغ منساغ في البدن .

ولذا قال الاطباء : الماء مطية الأغذية والأدوية ، ومركبها الذى تسافر به إلى اقطار البدن ، ورجحه ابو السعود . <٣>

---

١ - البحر المحيط [ ١ : ٣٠٩ ] .

٢ - الاضداد للصاغاني [ ٢٣٣ ] .

٣ - جامع البيان [ ١ : ٤٢٢ ] ، تفسير الألوسي [ ١ : ٣٢٦ ] ، التفسير الكبير [ ٣ : ١٨٦ ] ، تفسير أبو السعود [ ١ : ٢١٦ ] ، أصلاح الوجوه [ ٢٦٢ ] .

وذكر ابن حيان : ان الذين تبين لهم حب العجل أصابهم من ذلك الماء الجبن ، وقال القرطبى عن القشيرى : (١) ما شربه أحد الإجن .

والخلاصة : أن المعاصى يتعودها الإنسان ويميل اليها ، فلا يزال يتفكر ويشتهيها حتى تصبح همه الشاغل وفعله ليل نهار ، ويعتادها فتتمكن من القلب فيعشقها ، ولات حين مناص عنها ، وذلك دليل قلة التوفيق وفساد الرأى والقلب ، مما يسبب وحشة بين العبد وربه فيستحق بموجبها اللعن أو العذاب أو حرمان الثواب ، لأنه اشتغل عن الله بنفسه وغلبت شهوته تعقله .

والملاحظ أن إشراب القلب للمعاصى أتصف به بنو إسرائيل فهم عرفوا الحق وجحدوه حسداً وبغيا ، فهم قالوا بأفواههم سمعنا وقالوا بأعمالهم عصينا فخالف واقعهم العملى قولهم الشفوى ، فلا قيمة لقول بلا عمل ولم ينفعهم التخويف بأكبر المخوفات . وهو رفع الجبل فوقهم . بل قالوا سمعنا وعصينا وعادوا الى كفرهم في أسرع وقت من عبادة العجل حتى أشربته قلوبهم .

هذا السياق بهذه الصفات ينساق على من أحب المعاصى ، وقال اسلمت ولم يرتدع مما انزل الحق على لسان رسوله ، لابد أن يتشربب قلبه حب المعاصى ، مادام الكبر حليفه والحسد رائده .

---

١ ـ القشيري : عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك النيسابوري القشيري ، شيخ خراسان في عصره توفى ٤٦٥ هـ ، الاعلام ، ٤ / ٥٧ .

## تنوع اشراب القلب :

والإشراب صفة من صفات القلب وليس معنى هذا من خصوصيات القلب الميت فقط وإنما هى صفه لازمه لمن أحب شيئاً حتى تمكن من حشاشة قلبه ، فقد يشرب القلب قولاً من الأقوال وهو في أعلى مراتب الإيمان كقول عائشة لأبويها ـ رضى الله عنهم ـ ، كما نستطيع أن نصفهم ونصف الصفوة الصالحة بأن قلوبهم أشربت بحب الله وحب رسوله ، فدافع الفرد منهم عن دينه ومعتقده ، فلا نقول بأن إشراب القلب يعنى موته إنما موته في إشراب قلبه للمعاصى والكفر والحسد وما شاكلهم ، فاذا أحب شيئاً وهام فيه وعشقه شرب قلبه تلك الفكره وناصر ذلك المبدأ فلا ينصرف عنه مهما كلفه الثمن .

ومادام الإشراب مخامرة ، فأيضاً من الممكن أن نقول ان المؤمن التقى أشرب قلبه حب الإيمان ، أو أشرب قلبه كره المعاصى . وتقول عن العصاه أشرب قلبهم حب المعصية ، أو أشرب قلبهم كراهية الطاعة ، وهذا كله من باب توسع استعمال الكلمة في اللغة وإن أقتصرت في التنزيل على حب المعاصى فالله الذى اشرب قلوبهم ذلك وهو الذى ادخلها جزاء كفرهم وعنادهم واصرارهم على الضلال ، وكل شىء بقضاء الله وقدرته ، فهو هاد عباده المؤمنين الى جنته ومسير الكافرين الى جحيمه ، من اطاعه هداه ومن عصاه سلك التكذيب والضلال في قلبه جزاء عناده وقفله على نفسه طوق الهداية .

## المبحث الحادى عشر

## الإســـلاك فـــي القلـــوب

قال تعالى : " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون . ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين . وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون . كذلك نسلكه في قلوب المجرمين . لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين " [ الحجر : آيه ٩ - ١٣ ] .

السلك : مصدر سلكت الشىء في الشىء فأنسلك أى أدخلته فيه فدخل ، يقال سلكت الخيط في المخيط أى أدخلته فيه ، وسلك يده في الجيب والسقاء ونحوهما يسلكها وأسلكها : أدخلها فيهما والسلك : إدخال شىء تسلكه فيه ، كما تطعن الطاعن فتسلك الرمح فيه تلقاء وجهه على سجيته . <١>

والسلك : السلوك النفاذ في الطريق ، يقال سلكت الطريق وسلكت كذا في طريقه ، قال تعالى : " لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً " [ نوح : آيه ٢٠ ] ، وقال تعالى : " ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً " [ النحل ٦٩ ] .

ومن الثانى قوله تعالى : " ما سلككم في سقر " [ المدثر : آيه ٤٢ ] ، وقوله تعالى : " كذلك نسلكه في قلوب المجرمين " [ الشعراء : آيه ٢٠٠] <٢> .

وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم اثنا عشرة مرة ، ارتبطت بالقلب في موضعين الأول في سورة الحجر ، والثانى في وصف القرآن قال تعالى : " ولو نزلناه على بعض الأعجمين . فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين . كذلك سلكناه في قلوب المجرمين . لايؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم " [ الشعراء : آيه ١٩٨ - ٢٠١ ] .

وذكر بعض المفسرين ان السلوك في القرآن على أربعه أوجه : <٣>

أحدها : الدخول ،منه قوله تعالى :"ماسلككم في سقر " [المدثر:آيه ٤٢] .

---

١ - لسان العرب [ ١٠ : ٤٤٢ ] ، تاج العروس [ ٩ : ١٤٤ ] .

٢ - المفردات في غريب القرآن [ ٢٣٩ ] .

٣ - نزهة الأعين النواظر [ ٣٥٢ ] ، إصلاح الوجوه والنظائر [ ٢٤٤ ] .

والثانى : الجعل . ومنه قوله تعالى :" فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا " [ الجن : آيه ٢٧ ] .

والثالث : التكليف . ومنه قوله تعالى : " يسلكه عذاباً صعدا " [ الجن : آيه ١٧ ] .

الرابع : الترك . ومنه قوله تعالى : " كذلك نسلكه في قلوب المجرمين " [ الحجر : آيه ١٢ ] .

والأصل في الاسلاك الدخول والنفاذ ، والحق تولى دخول شىء في قلوب المجرمين روى عن أنس والحسن البصرى في قوله ( كذلك نسلكه ) قالا : الشرك نسلكه في قلوبهم .

وروى عن قتاده أنه قال : اذا كذبوا سلك الله في قلوبهم أن لا يؤمنوا به .

وروى عن ابى زيد أنه قال : هم كما قال الله : هو أضلهم ومنعهم الإيمان . <١>

وقال ابن كثير : أنه تعالى سلك التكذيب في قلوب المجرمين الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى <٢> وبه قال ابن قتيبه . <٣>

وسواء كان الشرك أو التكذيب أو الضلال فهى سنة الله مع من تمادى في الغى ، وأتصف بصفة الاجرام : التى هى اكتساب كل محرم حتى اصبح قلبه لا يحسن أن يتلقى كلام الحق على بصيره بل على عناد ومكابرة سلك الله في قلبه التكذيب به فيؤدى ذاك الى الشرك ، والشرك هو الضلال المبين .

وقال الامام الرازى : ( ان الكافر يجد من نفسه نفرة شديدة عن قبول قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونبوة عظيمه عنه ، حتى أنه كلما رآه تغير لونه وأصفر وجهه وربما ارتعدت اعضاؤه ، ولايقدر على الإلتفات اليه والاصغاء لقوله ، فحصول هذه الاحوال في قلبه أمر اضطرارى لا يمكنه دفعها عن نفسه ، ولاإزالة هذه الدواعى عن القلب ، لأن الفاعل لها هو الله تعالى ) <٤> فهو مقلب القلوب .

---

١ ـ الدر المنثور [ ٥ : ٦٧ ـ ٦٨ ] .

٢ ـ تفسير ابن كثير [ ٢ : ٥٤٧ ] .

٣ ـ تفسير غريب القرآن [ ٣٢١ ] ابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، المتوفي عام ٢٧٦هـ ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ .

٤ ـ التفسير الكبير [ ١٩ : ١٦٥ ] .

# المبحث الثانى عشر
## صـــــرف القلـــــب

مادام العبد لايرعى حقوق الله ولايرتدع عن غيه سيصرف الله قلبه عن الإيمان وعن طريق الهداية جزاء سلوكه ، فما منعه من الخضوع إلا التكبر الكامن في الصدر. فلايؤمن بالآيات وإنما يميل مع شهواته ورغباته وغفل عما ينفعه في الدنيا والآخره ، وهذا الصنف أوضحه الحق في محكم بيانه فقال تعالى : "سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها . وإن يرو سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وإن يرو سبيل الغي يتخذوه سبيلا . ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين " [الاعراف :آيه ١٤٦] .

وقال تعالى عن صرف القلوب : " وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ، ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون " [ التوبة : آيه ١٢٧ ] .

والصرف : رد الشيء عن وجهه ، وصارف نفسه عن الشيء . صرفها عنه . <١>

والصرف : رد الشيء من حالة الى حالة أو إبداله بغيره . <٢>

فقلوب الخلق بيد الله تعالى ، فهو صارف القلوب ومصرفها وكان أكثر ما يدعو به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ( **يا مصرف القلوب** ) . <٣>

قال ابن عباس : صرف الله قلوبهم عن كل رشد وخير وهدى .

وقال الحسن : طبع عليهم بكفرهم . <٤>

---

١ ـ لسان العرب [ ٩ : ١٨٩ ] ، القاموس المحيط [ ١٠٦٨ ] .

٢ ـ المفردات [ ٢٧٩ ] ، بصائر ذوي التميز [ ٣ : ٤٠٩ ، ٤١٠ ] .

٣ ـ مسند أحمد [ ٢ : ١٧٣ ] من حديث عمر بن العاص .

٤ ـ البحر المحيط [ ٥ : ١١٧ ] .

وقال سفيان بن عيينه : ( سأمنعهم عن فهم كتابى ) وقاله قتاده . <١>

وقال الطبرى : ( صرف الله عن الخير والتوفيق والايمان بالله ورسوله قلوب هـؤلاء المنافقين ، من أجل أنـهم قـوم لا يفقـهون عـن الله مواعظـه إستكباراً ونفاقاً ) <٢> وهذا المعنى متقارب في عموم التفاسير . <٣>

ذهب الزمخشرى : إلى انها دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عن قلوب أهل الايمان من الإنشراح . <٤>

والآية كما تحتمل الدعاء تحتمل الإخبار بأن الله منع قلوبهم من تلقى الحق ، ونحن مع الجمهور في أن صارف القلوب ومقلبها هو الله تعالى .

والخـلاصـة : أن من ظهـرت له الحـجـة والبـرهان ولكن أصـر على تكبـره وعناده واستهزائه بآيات الله الدالّة على عظمته ، سلك الحق في قلبه النفاق أو الكفر وصـرفه عن الحق فمنعه من الإيمان لأنه ليس أهلا للتشريف ، فقد أضمحل نور الفطرة من قلبه فلم يعد يفهم عن الله خطابه ، ولا يتصدى لفهمه ، ولايريده ، بل هو في شغل ونفور فصار الى ماصار اليه في درك الموت جزاء تكبره على الناس بغير الحق ، وتكبـره عن الطاعـة لله تبـارك وتعـالى فـلابد لهـذه القلوب أن تذل بالجـهل والصرف والزيغ والتقليب وإن كـانت متـقاربه ولكنهـا متـفـاوته المعنى في مدلولها وصفاتها على القلوب .

---

١ ـ تفسير القرطبي [ ٧ : ٢٨٣ ] .

٢ ـ تفسير الطبري [ ١١ : ٧٥ ] .

٣ ـ تفسير ابن كثير [ ٢ : ٤٠٣ ] ، تفسير القرطبي [ ٨ : ٣٠٠ ] التفسير الكبير [ ١٦ : ٢٣٤ ] .

٤ ـ الكشاف [ ٢ : ١٧٩ ] .

# المبحث الثالث عشر
## إحالة الله بين العبد وقلبه

ومن ذلك الإحالة : فالله هو المتصرف في جميع الاشياء ، والقادر على الحيولة بين الانسان وبين قلبه ، قال تعالى : " يأأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم . وأعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه . وأنه اليه تحشرون " [ الأنفال : آيه ٢٤ ] .

قال ابن فارس : الحاء والواو واللام أصل واحد . وهو تحرك في دور ، فالحول العام وذلك انه يحول ، أى يدور . <١>

وقال الراغب : أصل الحول : تغير الشىء وإنفصاله عن غيره ، وباعتبار التغير قيل : حال الشىء يحول حوْلا واستحال : تهيأ لأن يحول ، وباعتبار الإنفصال قيل : حال بينى وبينك كذا .

وقوله تعالى : " واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه " إشارة الى ما قيل في وصفه يقلب القلوب : وهو أن يلقى في قلب الإنسان ما يصرفه عن مراده لحكمة تقتضى ذلك <٢> وبمثله قال الزبيدى في تاج العروس <٣> وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ابن مزاحم ، ومجاهد وغيرهم في معنى الآية : أن الله يحول بين الكافر والإيمان وبين المؤمن والكفر . <٤>

وروى عن مجاهد أيضاً : انه يحول بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يعقل شيئاً ، فيحول بين قلب الكافر وعمل الخير .

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٢ : ١٢١ ] .

٢ ـ المفردات في غريب القرآن [ ١٣٧ ] .

٣ ـ تاج العروس [ ٧ : ٢٩٥ ] .

٤ ـ تفسير الطبري [ ٩ : ٢١٥ ] ، تفسير ابن كثير [ ٢ : ٢٩٨ ] ، البحر المحيط [ ٤ : ٤٨١ ] ، التفسير الكبير [ ١٥ : ١٤٧ ] .

وقال السدى : يحول بين الانسان وقلبه ، فلا يستطيع أن يؤمن ولايكفر الابإذنه . <١>

فالسعيد من أسعده الله ، والشقى من أضله الله ، والقلوب بيد الله يقلبها كيف شاء ، فالكافر جزاء ما اقترف من معاصى وعدم إمتثال ، وتفان في الكبر والحسد ، منعه الله من الإيمان فالله أملك لقلوب عباده ويحول بينهم وبينها إذا شاء ، حتى لايقدر العبد أن يملك شيئاً من إيمان أو كفر ، ولايعى بقلبه شيئاً ولا يفهم الاباذن الله ومشيئته .

فاذا حجز الله بين العبد وقلبه عن شىء فمحال أن يدركه ، فلا يستطيع العبد أن يدرك ما منع الله قلبه إدراكه .

وجميع الاقوال السابقة داخله في هذا المعنى فاذا أحال بين العبد وقلبه فلا يمكن ان يفهم بقلبه او يعقل شيئاً . واللفظ للعموم فكما يحيل بين الكافر والايمان كذلك يحيل بين المؤمن والكفر ، فللمحسن ثبات الايمان وللمسىء ثبات الكفر جزاء ما اقترفت يداه .

وبما أننا نتكلم عن موت القلب فهنا الإحالة بين الكافر بالله تعالى . أو إن لم يكن كذلك فهى الاحالة بين المتمادى في مهاوى مرض القلب ودركات موته الى هذا الحد فلم يعى من الحق شيئاً ، وبين التعقل بما ينجيه وليس على الله بعزيز أن يهديه بسبب من الاسباب فهو مقلب القلوب والافئدة .

---

١ ـ تفسير الطبري [ ٩ : ٢١٦ ، ٢١٧ ] .

## المبحث الرابع عشر
## تقليب القلوب والأفئده

ونسب التقليب للأفئدة في قوله تعالى : " ونقلب افئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة . ونذرهم في طغيانهم يعمهون " [ الانعام : آيه ١١٠ ] ، كما نسب التقليب للقلب في قوله تعالى : " يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار " [ النور : آيه ٣٧ ] .

وفي حديث أم سلمه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يكثر في دعائه أن يقول : ( **اللهم مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك . قالت : قلت يارسول الله أو إن القلوب لتتقلب ؟ قال : نعم . ما من خلق الله من بنى آدم من بشر الا إن قلبه بين إصبعين من أصابع الله فان شاء الله عز وجل أقامه وإن شاء أزاغه** ... الحديث ) <١> .

وايضاً في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( **إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ، ثم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك** ) <٢> .

فالحق تبارك وتعالى متصرف في قلوب العباد كيف شاء ، فجميع الأمور بيده ، والكل ملك لله تعالى يفعل ما يشاء لاعله لأفعالة وإن كانت لاتخرج عن حكمة علمنا بها أم لم نعلم ، فهى سر من اسرار الله تعالى التى ضربت من دونها الأستار .

---

١ ـ مسند أحمد [ ٦ : ٣٠٢ ، ٣١٥ ] ، تفسير الطبري [ ٣ : ١٨٧ ] عند تفسير قوله تعالى " ربنا لاتزغ قلوبنا بعد أذ هديتنا " [ ٨ : آل عمران ] ووأورد عدة أحاديث في هذا المعنى .

وأخرجه الترمذي برقم ( ٣٥١٧ ) في الدعوات باب رقم ( ٩٥ ) وقال حديث حسن وأيضاً له طرق أخرى عن أنس بن مالك ، جامع الأصول [ ٤ : ٣٤٢ ، ٧ : ٥٣ ] .

٢ ـ صحيح مسلم [ ٤ : ٢٠٤٥ ] حديث رقم ( ٢٦٥٤ ) كتاب القدر باب ( ٣ ) .

والتقليب في اللغه : تحويل الشيء عن وجهه ، وقلبه : حوله ظهراً لبطن ، وتقلب الشيء ظهر لبطن : كالحية تتقلب على الرمضاء . <١>

والإنقلاب : الانصراف ، وتقليب الشيء تغيره من حال الى حال .

وتقليب الأمور : تدبيرها والنظر فيها .

وتقليب الله القلوب والبصائر : صرفها من رأى الى رأى . <٢>

( وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى : " ونقلب أفئدتهم وأبصارهم " لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء ، وردت عن كل أمر ) .

وقال مجاهد : ( نحول بينهم وبين الإيمان ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون ) <٣> .

وقال الرازى : ( إن الكفر والإيمان بقضاء الله وقدره ، والتقلب ، والقلب واحد : وهو تحويل الشيء عن وجهه ، ومعنى تقليب الافئده والابصار : هو أنه اذا جاءتهم الآيات القاهرة التى اقترحوها . وعرفوا كيفية دلالتها على صدق الرسول - صلى الله عليه وسل - إلا انه تعالى إذا قلب قلوبهم وأبصارهم عن ذلك الوجه الصحيح ، بقوا على الكفر ولم ينتفعوا بتلك الآيات ) <٤> .

وسواء قلبها عن الهدى أو قلبها في مهاوى الردى من سيء الى أسوأ فالمقصود أن من تمادى في دركات الموت وكان حليفه الكبر والحسد ، ورائده الشهوات أو الشبهات لابد أن يصاب القلب بالعمى فالشر يؤدى الى مثله فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها .

---

١ - لسان العرب [ ١ : ٦٨٥ ] .

٢ - المفردات [ ٤١٠ ] .

٣ - تفسير الطبري [ ٧ : ٣١٤ ] .

٤ - التفسير الكبير [ ١٣ : ١٤٦ ] .

# المبحث الخامس عشر
# القلـــــب الاعمـــــى

وكما يفقد البصر قوته الباصره ، يفقد القلب قدرة البصيره ، وشتان بين الاثنين ، فالذنوب إذا توالت على العبد طمست من القلب تعقله وحجبت عنه نور الإمان الذى هو حياة القلوب .

قال تعالى في المكذبين بالرسل : " أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو أذان يسمعون بها . فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور " [ الحج : آيه ٤٦ ] .

العين والميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ستر وتغطيه .

من ذلك العمى : ذهاب البصر من العينين كلتيهما . <١>

والعرب إذا قالوا فلان أعمى من فلان :.ارادوا به عمى القلب ، لأنه لا يقال للأعميين هذا اعمى من ذا ، ولا لميتين هذا أموت من ذا . <٢>

والعمى : ذهاب نظر القلب وكلما ذكر الله عز وجل العمى في كتابه فذمه يريد عمى القلب . <٣>

والعمى : افتقاد البصر والبصيرة ، ويقال للأول أعمى وفي الثانى أعمى وعمٍ . <٤>

والبصر : اسم للإدراك التام الحاصل بالعين التى في الرأس .

والبصيرة : اسم للادراك التام الحاصل في القلب . <٥>

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٤ : ١٣٣ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ١٥ : ٩٦ ] تاج العروس [ ١٠ : ٢٥٥ ] .

٣ ـ المرجع السابق نفسه .

٤ ـ المفردات في غريب القرآن [ ٣٤٨ ] .

٥ ـ التفسير الكبير [ ١٣ : ١٣٣ ] .

والعماية والعمية : الغواية واللجاج في الباطل .

والعمية بالكسر والضم مشددتى الميم والياء : الكبر والضلال .

والاعماء : الجهال : جمع أعمى . ‹١›

( والعرب اذا قالوا هو افعل منك : قالوه في كل فاعل وفعيل وما لا يزاد في فعله شيء على ثلاثة احرف ، وإنما جاز في العمى : لانه لم يرد به عمى العينين إما اريد عمى القلب فيقال فلان أعمى في القلب ، ولايقال هـــو أعمى منه في العين ) ‹٢› ومن ذلك قوله تعالى : " فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو أذان يسمعون بها فانها لا تعمى الإبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور " نلاحظ : [ الحج : آيه ٤٦] .

اولاً : ان القلب مكان التعقل والتدبر فقد نسب الحق التعقل الى القلب كقوله تعالى : " إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب " [ ق : آيه ٣٧ ] .

فهو مقر المعرفة وآلة التعقل وليس الدماغ وإن كان بينهما ترابط وثيق .

ثانيا : الرؤيا بالبصر لها حظ عظيم في الإعتبار ، وكذلك استماع الأخبار ولكن لايكتمل هذان الا بتدبر القلب ، لأن مجرد المشاهدة والاستماع وحدهما لا ينتفع بها العبد .

ثالثا : مكان القلب المعنوى هو الصدر : فالآية حددت ذلك والحسى لا يصاب بالعمى المتعارف .

رابعاً : ( عمى العين مع إبصار القلب لا يضر بخلاف العكس ، فإن أعمى العين يتذكر فتنفعه الذكرى ببصيرة قلبه قال تعالى: " عبس وتولى أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعله يزكى ، او يذكر فتنفعه الذكرى " [عبس : آيه ١ ـ ٤] ‹٣›.

---

١ ـ قاموس المحيط [ ١٦٩٥ ] ، تاج العروس [ ١٠ : ٢٥٥ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ١٥ : ٩٥ ] .

٣ ـ أضواء البيان [ ٣ : ٥٦٢ ] وسنطرق بتوسع لهذا في باب القلب والمعرفة . ص ٢٣٥ .

وعمى القلب موت ناتج عن مرض مسبق كإفساد في الأرض واستهزاء ومخادعة للمؤمنين ، أدى بهم الى النفاق التام فزادهم الله مرضاً لرغبتهم في الضلال فآل بهم الى العمى ، وأعمى القلب لايعقل لأن العقل نور القلب ، وقد سلبهم الله ذلك النور فأصبحوا كافرين قال تعالى : " ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداءً صم بكم عمي فهم لا يعقلون " [ البقره : آيه ١٧١ ] .

فاذا بلغ العبد هذا الدرك لا يتدبر آيات الله الكونيه ليستدرك بها على وحدانيه الله ، فهو إن فكر فإنه يفكر ماتمليه غريزته الحيوانيه . مكذباً بكل ما وراء العقل " بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه " [ يونس : آيه ٣٩ ] فأستحق بذلك لعنه الله قال تعالى : " اولئك الذين لعنهم فأصمهم وأعمى أبصارهم " [ محمد : آيه ٢٣ ] .

وقال البغوى : العمى الضار هو عمى القلب ، فأما عمى البصر فليس بضار في أمر الدين .

قال قتاده : ( البصر الظاهر بلغة ومتعه ، وبصر القلب هو البصر النافع ) ‹١› .

وقال ابن القيم : من عقوبه المعاصى ( أنها تعمى بصيرة القلب وتطمس نوره وتسد طرق العلم وتحجب مواد الهداية ) .

وقد قال مالك للشافعى لما اجتمع به ورأى تلك المخايل : إنى أرى الله تعالى قد القى عليك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية .

ولايزال هذا النور يضعف ويضمحل ، وظلام المعصية يقوى حتى يصير القلب في مثل الليل البهيم ، فكم من مهلك يسقط فيه ولا يبصره كأعمى خرج بالليل

---

١ ـ معالم التنزيل في التفسير والتأويل [ ٤ / ١٢٣ ] الحسين بن مسعود الفراء البغوي م ٥١٠ هـ ، دار الفكر بيروت ، ط ١٤٠٥ هـ .

في طريق ذات مهالك ومعاطب ، فياعزة السلامة ، ويا سرعة العطب ، ثم تقوى تلك الظلمات وتفيض من القلب الى الجوارح فيغشى الوجه منها سواد بحسب قوتها وتزايدها ) ‹١› .

والخلاصة أن العمى كما يكون طمس للإدراك التام الحاصل في القلب ، فهو أيضاً بمعنى الغواية واللجاج في الباطل ، وايضاً بمعنى الكبر والضلال والجهل، فعلى مقدار الجهل والغواية وكثرة المعاصى يزداد ظلام القلب وطمس الادراك ، فاذا بلغ الحد الى التكذيب بيوم الدين والاستهزاء بماأنزل على المرسلين ، فهو المعتد الأثيم من الذين قال الله فيهم : " ويل يومئذ للمكذبين ، الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين . كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " [ المطففين : آيه ١٠ ـ ١٥ ] .

---

١ ـ الداء والدواء [ ١٠٧ ] .

# المبحث السادس عشر

## الـــــــرآن علـــــــى القلـــــــب

فالذنب على الذنب مع الإصرار وسوء الأدب لابد أن يكسب الإنسان حالة اكبر من ان تتجلى عن قلبه ، بعكس الحسنة على مثلها تكسبه حالة الطمأنينه التى تغمر قلبه ، وكلا الحالتين غمر وغطاء ولكن شتان بين الحسنة والمعصية . ففي حديث ابى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ **( إن العبد اذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكته ، فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه ، وان عاد زيد فيها ، حتى تعلو قلبه وهو الران الذى ذكره الله )** ‹١› .

والنكت ، الأثر في الشيء . ‹٢›

فالرين كسبى ، من أثر الذنوب على القلب يحيط به ، فهو كالصدأ يطبق على القلب حتى يقفل ثم يختم فان كان بعد إسلام انتكس العبد حتى تلحقه رحمة الله أو تغلب عليه شقوته ، وإن كان مع كفر وجحود فهى ظلمات بعضها فوق البعض قال تعالى : " بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئة فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " [ البقره : آيه ٨١ ] . فقبل أن يكون الران ، هى مجرد ذنوب تتراكم على القلب حتى تميته .

وقد ذكر الحق تبارك وتعالى ( الرين ) في كتابه مرة واحدة في سورة المطففين حالة من حالات مراحل القلب الميت الذى استهزأ بآى الذكر الحكيم وكذب بيوم الدين ففجر عن الحق واعتدى على الخلق .

قال تعالى :﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾.[المطففين:١٤].

والرين : الطبع والدنس ، والرين : الصدأ الذى يعلو السيف والمرآه .

وكل ما غطى شيئاً فقدر آن عليه .

---

١ ـ أخرجه الترمذي رقم ( ٣٣٣١ ) في التفسير باب ومن سورة ويل للمطففين ، وأخرجه ابن ماجة رقم (٤٢٤٤ ) في الزهد باب ذكر الذنوب ، وأخرجه أحمد في المسند ٢٩٧/٢ ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

٢ ـ جامع الأصول ، ٤٢٥/٢ .

ورانت عليه الخمر:غلبته وغشيته،كذلك النعاس والهم،وكل غلبة:رين . <١>

وفي حديث أسيفع جهينه قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ( فإن الأسيفع رضى من دينه وأمانته بأن يقال سبق الحاج ، ألا وإنه قد دان معرضا فأصبح قدرين به فمن كان له عليه دين فليأتنا بالغداة ... الحديث ) <٢> .

فيقال : رين به : إذا وقع الرجل فيما لا يستطيع الخروج منه ولاقبل له به . <٣>

وقوله قددان معرضاً : أى إستدان معرضاً عن الاداء ، أو استدان معترضاً لكل من يقرضه . <٤>

وذكر أهل التفسير للرين معان لا تخرج عن المدلول اللغوى من الغلبة والتغطية .

قال الحسن البصرى رحمه الله في تفسير الرين : هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب .

وعنه : هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت .

وعن مجاهد قال في تفسير الآية : العبد يعمل بالذنوب فتحيط بالقلب ثم ترتفع حتى تغشى القلب .

وقال : كانوا يرون القلب في مثل هذا يعنى الكف ، فاذا أذنب العبد ذنباً ضم منه .

وقال باصبعه الخنصر هكذا فاذا أذنب ضم اصبعاً اخرى فاذا أذنب ضم اصبعاً اخرى حتى ضم اصابعه كلها ثم يطبع عليه بطابع .

قال مجاهد وكانوا يرون ذلك الرين .

---

١ - لسان العرب [ ١٣ : ١٩٢ ] ، تاج العروس [ ٩ : ٢٢٣ ] .

٢ - الموطأ [ ٢ : ٧٧٠ ] كتاب الوصية ، باب ( ٨ ) جامع القضاء وكراهيته ، مالك بن أنس بن مالك الأصبحي ، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، دار أحياء التراث العربي .
ومعنى ( قد ران معرضاً : أى اشترى بدين ولم يهتم بقضائه ) .

٣ - النهاية في غريب الحديث [ ٢ : ٢٩١ ] .

٤ - لسان العرب [ ١٣ : ١٩٣ ] .

وعنه قال : إنبثت على قلبه الخطايا حتى غمرته .

وقال قتاده : اعمال السوء ، أي والله ذنب على ذنب ، وذنب على ذنب حتى مات قلبه وأسود . <١>

وقال القاسمى في معنى قوله ( كلا بل ران على قلوبهم ) أى غطى على مداركهم ما اكتسبوه من الآثام حتى كدر جوهرها وصار صدأ عليها بالرسوخ فيها . <٢>

والمهم ان الذنوب كالوسخ والصدأ على القلوب فهى ترسخ في نفس الإنسان بكثرة التكرار وعلى حسب درجاتها حتى تكون ملكة راسخه ، لاتقبل الزوال ، ثم تصبح صفة من صفات القلب فيرسخ حبها فيه ولا يزول ، كالصدأ لايزول بسهوله ولكن مهما علا الصدأ اذا صادف ايد خبيره زال عن الشىء ، وكذلك الذنوب مهما تراكمت على القلب وغطته فانما تغطى الفطرة على أدنى مراتب الخير ، وقد تقوى الفطرة على هذا الركام اذا شاء الله لها فيزول الغطاء والأمر مشاهد في كثير من الناس ولكن اذا أصر الانسان في غيه وتمادى في ضلاله فلابد لهذا الرين ان يحيط بالقلب ويقفله فتتعطل قوة الادراك عند اشخاص تهالكو في درك الموت ، وزاد بهم المرض حتى أدى بهم الى العطب .

قطعوا مأمر الله به أن يوصل فأصمهم فلم يعد لهذه الحاسة وظيفة سماع الحق وأعمى أبصارهم لانهم لم يعتبروا بمن مضى من أمم ذكرت في محكم البيان، ولم يتدبروا القرآن ليزيل غشاوتهم ويفتح قلوبهم ، ويسكب فيها من نوره بل استمروا على غى وضلال فأقفل الله قلوبهم .

---

١ ـ جامع البيان [ ٣٠ : ٩٧ ، ٩٨ ] تفسير القرطبي [ ١٩ : ٢٥٩ ] تفسير بن كثير [ ٤ : ٤٨٥ ] .

٢ ـ تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل [ ١٧ : ٩٢ ] محمد جمال الدين القاسمي م : ١٣٣٢هـ ، دارالفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ .

## المبحث السابع عشر
## القفـــــل علــــى القلــب

قال تعالى في وصف هذه الفئة من الناس : " فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت . فأولى لهم . طاعة وقول معروف فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم . فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم . اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها " [ محمد : آيه ٢٠ ـ ٢٤ ] .

و ( أم ) في قوله ( أم على قلوب أقفالها ) منقطعه ، بمعنى ( بل ) <١> والقفل على القلب ورد في القرآن مرة واحدة .

والقاف والفاء واللام : أصل صحيح يدل على صلابة وشدة في شيء ، فالقفيل هو الخشب اليابس ، ومنه القفل : لأن فيه شداً وشدة . <٢>

وقال المفسرون في معنى القفل : أي على قلوب أقفال أقفلها الله عز وجل عليهم ، فهم لا يعقلون لأنهم لم يتفهموا القرآن فيعلمون ما اعد الله للذين لم يتولوا عن الاسلام . <٣>

اخرج ابن جرير بسنده عن هشام بن عروه <٤> عن أبية قال ( تلا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوماً ( **افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ) فقال شاب من أهل اليمن : بل عليها اقفالها حتى يكون الله عز وجل يفتحها أو يفرجها <٥> .

---

١ ـ البحر المحيط [ ٨ : ٨٣ ] معالم التنزيل [ ٥ : ١٦٠ ] ، تفسير القرطبي [ ١٦ : ٢٤٦ ] .

٢ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٥ : ١٢ ] .

٣ ـ أضواء البيان [ ٧ : ٤٢٨ ] القرطبي [ ١٦ : ٢٤٦ ] روح المعاني [ ٢٦ : ٧٤ ] ابن كثير [ ٤ : ١٨٠ ] الكشاف [ ٣ : ٤٥٨ ] .

٤ ـ هشام بن عروة بن الزبير بن العوام ـ تابعي محدث ، توفى ١٤٦ هـ / الأعلام [ ٨ : ٨٧ ] .

٥ ـ جامع البيان [ ٢٦ : ٥٨ ] ، معالم التنزيل [ ٥ : ١٦٠ ] .

وتدبر القرآن واتباع منهجه والتمسك بالسنة من أسباب فتح أقفال القلوب ، وفي اضواء البيان عند تفسير هذه الآية قال : إن أسباب انحطاط المسلمين في بعض العصور وتأثير الغزو الفكرى في عقائدهم ودينهم راجع الى عدم تدبر القرآن، فتنغلق القلوب ويخلو منها الإيمان ، وان كانت الآية في المنافقين إلا أن سنة الله قائمة ، فمن أفسد في الأرض بالمعاصى وقطع الإرحام وسفك الدماء الحرام عاجله أو آجله بعقاب من عنده ، وإن أطاع فتح الله قفل قلبه للإيمان . <١>

اخرج الامام احمد في مسنده بسنده عن عبدالرحمن بن جبير بن نفير <٢> عن ابيه قال : جلسنا الى المقداد بن الأسود يوماً فمر به رجل فقال : طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ... **وفيه فجاء بفرقان فرق فيه بين الحق والباطل ، وفرق بين الوالد وولده حتى كان الرجل ليرى والده وولده أو اخاه كافراً وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان يعلم أنه إن هلك دخل النار فلا تقر عينه وهو يعلم ان حبيبه في النار** ... الحديث . <٣>

وقفل القلب حقيقة . فالله اضاف الاقفال الى القلوب ( أم على قلوب اقفالها) للدلالة على انها أقفال مخصوصة بها ، مناسبة لها ، غير مجانسة لسائر الأقفال المعهودة . <٤>

والخلاصة : ان السبب الأول في قفل القلوب البعد عن كتاب الله وعدم التذكر بمواعظة يؤدى بالإنسان الى إرتكاب كثير من الآثام واهمها : الافساد في الأرض وقطيعة الرحم ، فيستحق اللعنه التى وعد الله بها ، والابتلاء بالصمم عن سماع الموعظة وعمى البصيرة عن طريق الهداية ، ولاهداية بغير نور القرآن الذى أنزله الله ليستضاء به ، فيعلم في ضوئه الحق من الباطل ، والحسن من القبيح ، والنافع من الضار والرشد من الغى ، ولاشك ان من عميت بصيرته عن النور تخبط في الظلام ، فمن غطت الذنوب جميع قلبه ولم يستقيظ حتى اتاه القفل فما بعد القفل الا الطبع .

---

١ - أضواء لبيان [ ٧ : ٤٢٨ ] .

٢ - عبدالرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي ، ثقة ، توفى ١١٨ هـ ، بتهذيب التهذيب ، ١٥٤/٦ .

٣ - مسند الإمام أحمد [ ٦ : ٣ ] .

٤ - روح المعاني [ ٢٦ : ٧٤ ] التفسير الكبير [ ٢٨ : ٦٦ ] محاسن التأويل [ ١٥ : ٥٥ ] .

## المبحث الثامن عشر
## الطبـع علـى القلـوب

قال تعالى : " الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ، كبر متقتاً عند الله وعند الذين آمنوا ، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار " [غافر : آيه ٣٥ ] .

وهذه الآية ذكرها الحق سبحانه وتعالى ، ضمن آيات أخر قبلها جرت على لسان رجل من آل فرعون وقع الحق في قلبه ، وكتم إيمانه ، دافع عن موسى عليه السلام أمام طاغية .

قال تعالى : " وقال رجل من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب . ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا . قال فرعون ماأريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد . وقال الذي آمن ياقوم إني اخاف عليكم مثل يوم الأحزاب . مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد . وياقوم إني أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد . ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب . الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطاناتاهم كبر مقتاً عند لله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار " [ المؤمن : آيه : ٢٨ ـ ٣٥ ]

اوضح لهم ان ما جاء به موسى قد يكون حقاً ، ورفض الحق يعرض المرء للإنتقام .

اوضح لهم أن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب وإن الله لا يريد ظلم العباد .

واوضح لهم أن من يضلل الله فما له من هاد ، وكذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب في عقيدته .

وأخيراً يخبرهم بمقت الله ومقت المؤمنين لمن يجادل في آيات الله بغير حجة ولا برهان ، إنما هو التجبر والتكبر فعاقبته الطبع على قلبه ، الطبع على موضع الهدى ومنفذ الادراك ، والطبع أينما بحثت عنه في كتاب الله تجده ارتبط بالقلب .

فما هو الطبع ولمن يكون .

ذكرت هذه المادة في كتاب الله إحدى عشرة مرة حالة من حالات القلب ترتبط به في وقت معين تسلبه خصائص يتميز بها .

فمن طبع على قلبه قد يحرم من الإيمان حسب درجته من الاصرار والعناد والبعد عن منهج الصواب قال تعالى عن بنى اسرائيل : " فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ، وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً " [ النساء : آيه ١٥٥ ـ ١٥٦ ] .

ويطبع على قلوب الكافرين الذين كذبوا رسل الحق قال تعالى : " تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين " [ الأعراف : آية ١٠١ ] .

والطبع على القلب : يقفل باب العلم وباب الفقه فلا يسمع ولا يبصر عن الحق شيئاً .

قال تعالى : " أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون " [ الاعراف : آيه ١٠٠] .

وقال تعالى : " إنما السبيل على الذين يستئذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع االله على قلوبهم فهم لا يعلمون " [ التوبه : آيه ٩٣]

وكما في قوله تعالى : " رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون " [ التوبه : آيه ٨٧ ] . وغيرها آيات أخر

فالمطبوع على قلبه لا يعى ما جاء عن الحق مجملاً ولا يفقهه مفصلاً ، لأن تأمله محصور في شهواته وغيه .

وقد يطبع على قلب المسلم العاصى تارك الجمعه ، فقد أخرج ابو دواود والنسائى وغيرهم من حديث ابى الجعد الضمرى ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( **من ترك ثلاث جمع تها ونأ بها طبع الله على قلبه** ) ‹١› وقال الترمذى حديث حسن .

والطاء والباء والعين : أصل صحيح ، وهو مثل على نهاية ينتهى اليها الشىء حتى يختم عندها يقال طبعت على الشىء طابعاً ، ثم يقال على هذا طبع الانسان وسجيته . ‹٢›

وطبعه الله على الأمر ، يطبعه طبعاً : فطره . ‹٣›

والطبع : إبتداء صنعة الشىء ، تقول : طبعت اللبن طبعاً ، وطبع الدرهم والسيف وغيرهما يطبعه طبعاً : صاغه .

وأصل الطبع : الصدأ يكثر على السيف وغيره . ‹٤›

وقيل الطبع : ان يصور الشىء بصورة ما ، كطبع السكة وطبع الدراهم وهو اعم من الختم وأخص من النقش . ‹٥›

والفرق بين الختم والطبع : أن الطبع أثر يثبت في المطبوع ويلزمه ، فهو يفيد معنى الثبات واللزوم مالا يفيده الختم ، ولهذا قيل طبع الدرهم طبعاً ، وهو الأثر الذى يؤثره فيه فلا يزول عنه ، كذلك قيل طبع الإنسان لانه ثابت غير زائل ، وقيل طبع فلان على هذا الخلق : إذا كان لا يزول عنه .

---

١ ـ سنن ابي داود كتاب الصلاة[ ٢٠٤ ] ، عون المعبود [ ٣ : ٣٧٧ ] ، سنن الترمذي كتاب الجمعه : ٧ .
٢ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٣ : ٤٣٨ ] .
٣ ـ لسان العرب [ ٨ : ٢٣٣ ] ، تاج العروس [ ٥ : ٤٣٨ ] .
٤ ـ لسان العرب [ ٨ : ٢٣٣ ] .
٥ ـ بصائر ذوي التميز [ ٣ : ٤٩٤ ] .

وقال بعضهم الطبع علامة تدل على كنه الشيء . <١>

كما وأن الطبع يكون على القلب والسمع والبصرقال تعالى : " أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم " [ النحل : آيه ١٠٨ ] بخلاف الختم فانه على القلب والسمع فقط .

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ في تفسير قول الحق تبارك وتعالى : " ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين " [ يونس : آيه ٧٤ ] .

(فهولاء الرسل جاءوا قومهم بالبينات . والنص يقول : إنهم ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ، وهذا يحتمل أنهم بعد مجيء الآيات ظلوا يكذبون كما كانوا قبلها يكذبون فلم تحولهم الآيات عن عنادهم . كما يحتمل أن المكذبين جماعة واحدة على إختلاف أجيالهم لأنهم ذو طبيعة واحدة فهولاء ما كان يمكن ان يؤمنوا بما كذب به أسلاف لهم أو بما كذبوا هم به في أشخاص هولاء الأسلاف فهم منهم طبيعتهم واحدة وموقفهم تجاه البينات واحد لا يفتحون لها قلوبهم ، ولا يتدبرونها بعقولهم ، وهم معتدون متجاوزون حد الاعتدال والاستقامة على طريق الهدى ، ذلك أنهم يعطلون مداركهم التى اعطاها الله لهم ، ليتدبروا بها ويتبينوا ، وبمثل هذا التعطيل تغلق قلوبهم وتوصد منافذها قال تعالى : " كذلك نطبع على قلوب المعتدين " .

وحسب سنة الله القديمة في أن القلب الذى يغلقه صاحبه ينطبع علي هذا ويجمد ويتحجر فلا يعود صالحاً للتلقى والاستقبال لا أن الله يغلق هذه القلوب ليمنعها ابتداء من الإهتداء فإنما هى السنة تتحقق مقتضياتها في جميع الأحوال).<٢>

والطبع منه مخرج وان كان قليلاً ، إلا إذا أنتقل الى النهاية ، ونهاية مراحل الموت الختم على القلب .

---

١ ـ الفروق اللغوية [ ٥٦ ] .
٢ ـ في ظلال القرآن [ ٣ : ١٨١٢ ] .

# المبحث التاسع عشر

# الخـــتم علـــى القلـــوب

قال تعالى : " إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة . ولهم عذاب عظيم " [ البقره : آيه ٦ ، ٧ ] .

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده قال : حدثنى الحسن بن على الحلوانى ، حدثنا ابو توبه ، حدثنا معاوية ، وهو ابن سلام عن زيد يعنى أخاه ، أنه سمع أباسلام قال حدثنى الحكم بن مينا ، أن عبدالله بن عمر وأبا هريره حدثاه أنهما سمعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول - على اعواد منبره - **(لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين )**(١) .

فالذنوب والمعاصى لابد أن يؤثر ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر فالمعاصى بريد الكفر فلا يأمن عاقبه المعاصى الا مغرور فلا تزال به حتى ينسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة فيكون الطبع أو الختم فالغفلة .

وذكر الختم في كتاب الله تعالى مرتبطا بالقلب في أربعة مواضع :

الأول : في قوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم " [ البقره : آيه ٧ ] .

الثانى : في قوله تعالى : " قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به . انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون " [ الانعام : آيه ٤٦ ] .

الثالث : في قوله تعالى : " أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشاء الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور " [ الشورى : آيه ٢٤ ] .

---

١ ـ صحيح مسلم [ ٢ : ٥٩١ ] حديث رقم ( ٨٦٥ ) كتاب الجمعه باب ( ١٢ ) .

الرابع : في قوله تعالى : " أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوه فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون " [ الجاثية : آيه ٢٣ ] .

الخاء والفاء والميم اصل واحد ، وهو بلوغ آخر الشيء ، يقال ختمت العمل . وختم القارىء السورة ، فأما الختم ، وهو الطبع على الشيء فذلك من الباب ايضاً . لأن الطبع على الشيء لا يكون الا بعد بلوغ آخره في الأحراز . ‹١›

وختمه يختمه بمعنى طبعه فهو مختوم ، والختم المنع . ‹٢›

والختم : إخفاء خبر الشيء بجمع أطرافه عليه على وجه يحتفظ به .

قال الزجاج : معنى ختم وطبع واحد في اللغه ، وهو : التغطية على الشيء والإستيثاق من أن لا يدخله شيء . ‹٣›

والختم ينبىء عن إتمام الشيء وقطع فعله وعمله . تقول ختمت القرآن أى أممت حفظه وقرأته ، وختمت الكنز لأنه آخر ما يفعل به لحفظه . ‹٤›

والختم : الطبع بالخاتم ، والمراد منه إحراز ما وراءه لئلا يخرج منه شيء ، أو يصل اليه شيء من الخارج . ‹٥›

والختم في القرآن على أربعة أوجه :

احدها : الطبع . ومنه قوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة " [ البقره : آيه ٧ ] * وقوله تعالى : " وختم على سمعه وقلبه " [ الجاثيه : آيه ٢٣ ] .

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٢ : ٢٤٥ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ١٢ : ١٦٣ ] .

٣ ـ تاج العروس [ ٨ : ٢٦٦ ] .

٤ ـ الفروق اللغوية [ ٥٦ ] .

٥ ـ نزهة الأعين النواظر [ ٢٧٢ ] .

والثاني : الحفظ والربط ومنه قوله تعالى : " فإن يشأ الله يختم على قلبك " [ الشورى : آيه ٢٤ ] أي يحفظه ويربطه .

والثالث : المنع . ومنه قوله تعالى : " اليوم نختم على افواههم " [ يس : آيه ٦٥ ] أي نمنعها الكلام .

والرابع : الآخر ومنه قوله تعالى : " ولكن رسول الله وخاتم النبين " [ الاحزاب : آيه ٤٠ ] * وقوله تعالى : " يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك " [المطففين : آيه ٢٦ ] <١> .

والحق تبارك وتعالى وصف القلب الميت بأوصاف عدة ، كالإشمئزاز والطبع والإسلاك والختم والرين والريب والغفله والغلفه والقفل وغيرها من الصفات ، وكل صفة لابد ان تكون لمرتبة معينه يصل اليها العبد حسب استعداد نفسه لقبول المعاصى والتدرج في إنكار المعرفة ، ولا يمكن أن تكون هذه الاوصاف مجرد اسماء فالختم لابد ان يكون غير الطبع وغير الإقفال . وكلها معان حقيقيه .

فاذا عدم الوعى عن مفهوم مخاطبة الحق سبحانه والتفكر في آياته ختم على القلب واذا السمع انصرف عن سماع الحق كما قال الله تعالى على لسان نوح عليه السلام : " وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبار " [ نوح : آيه ٧ ] ختم عليه ، والفاعل لذلك هو الحق تبارك وتعالى مجازاة لكفرهم وفعله عدل .قال تعالى : " قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان " [ الحجرات : آيه ١٧] فهو المالك المطلق .

وقال القرطبى ـ رحمه الله ـ في الختم والطبع هو : معنى يخلقه الله في القلب يمنع من الايمان به دليله قوله تعالى : " كذلك نسلكه في قلوب المجرمين . لايؤمنون به " [ الشعراء : آيه ٢٠٠ ] <٢> .

---

١ ـ نزهة الأعين النواظر [ ٢٧٣ ] ، اصلاح الوجوه والنظائر [ ١٥٣ ] .

٢ ـ تفسير القرطبي [ ١ : ١٨٧ ] .

( فالختم هو الشد على القلب حتى لا يشعر ولا يفهم فهو مانع يمنع العلم والتقصد ) ‹١› .

فاذا منع العلم بعد الختم وبلد التفكر امتنع التعقل ، لأن القلب محل الفهم والادراك فهو العضو الذى يفقه في الإنسان لذلك يتنزل القرآن على قلب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال تعالى : " قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك " [ البقره : آيه ٩٧ ] .

فاذا ختم على القلب وليس قبله إيمان كان منعاً من قبول وارد إيمانى آخر فتكون حالة الفرد كما وصفها الحق تبارك وتعالى : " ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاءً ونداءً صم بكم عمي فهم لا يعقلون " [ البقره : آيه ١٧١ ] .

## صفة الختم :

طالما الأمر معنوى تولى الله ذلك ولم يأت الينا من الشارع ما يدل على الكيفية ، والعقل قاصر عن الإدراك المادى فلو تبحر فيما وراء الماده لكان عجزه أشد وأدهى ولكن العلماء رحمهم الله تكلموا في ذلك حسب ما ورد من نصوص يستشف منها العالم تقارب المعنى ولكن لم يفرقوا بين الختم والطبع والران مثلاً ، الا ان البعض اعلا من الآخر ، والمرجع تراكم الذنوب على القلب . كما في الحديث الذى رواه ابو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول اللى ـ صلى الله عليه وسلم ـ **( إذا اذنب العبد نكت في قلبه نكته سوداء فإن تاب صقل منها فإن عاد زادت حتى تعظم في قلبه فذلك الران الذى ذكره الله عز وجل كلا بل ران على قلوبهم )** ‹٢›.

اخرج الطبرى بسنده عن مجاهد قال : نبئت أن الذنوب على القلب تحف به من نواحيه حتى تلتقى عليه فالتقاؤها عليه الطبع ، والطبع الختم .

---

١ ـ التبيان في أقسام القرآن [ ١٩٠ ] .

٢ ـ المستدرك : كتاب الإيمان [ ١ : ٥ ] وقال حديث صحيح ، وأخرجه ابن جربر الطبري ، بسنده في تفسير قوله تعالى " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم .. " الآية جزء ١ : ١١٢ .

وقال الطبرى : إن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها وإذا اغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع فلا يكون للإيمان اليها مسلك ولا للكفر منها مخلص فذلك هو الطبع والختم الذى ذكره الله تعالى في قوله : " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم " نظير الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التى لايوصل الى ما فيها الا بفض ذلك عنها ثم حلها ، فكذلك لا يصل الإيمان الى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم الا بعد فضه خاتمه وحله رباطه عنه " <١>

## الختم على قلوب المؤمنين :

ورد الختم على القلب في حق المصطفى - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى : " أم يقولون افترى على الله كذبا فإن يشاء الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور " [ الشورى : آيه ٢٤ ] .

وهنا ذكر العلماء اقوالاً في معنى هذه الآيه :

١ - قال قتاده : يطبع على قلبك فينسيك القرآن ، فأخبرهم الله انه لو افترى عليه لفعل بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ماأخبرهم به في هذه الآية <٢> ومثله قال ابن كثير .

٢ - قال مجاهد ومقاتل : ان يشأ الله بربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يدخل قلبك مشقه من قولهم . <٣>

٣ - أى حتى لا يشق عليك قولهم إنه مفتر كذاب .

---

١ - جامع البيان [ ١ : ١١٢ - ١١٣ ] .

٢ - تفسير القرطبي [ ١٦ : ٢٥ ] تفسير ابن كثير [ ٤ : ١١٤ ] ، تفسير الطبري [ ٢٥ : ٢٧ ] التفسير الكبير [ ٢٧ : ١٦٧ ] .

٣ - المرجع السابق نفسه .

وبالتتبع نجد ان الختم وغيره على القلوب لا يكون الا بعد تماد في الكفر او العصيان فيكون ذلك عقاب من الله لهم على مبادرتهم للكفر وتكذيب الرسل باختيارهم ومشيئتهم كما بينه تعالى بقوله : " بل طبع الله عليها بكفرهم " [النساء : آية ١٥٥ ] * وقوله تعالى : " ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم " [ المنافقون : آية ٣ ] * وقوله تعالى : " فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم " [الصف : آية ٥ ] .

ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعرف الناس بربه فلا تصدر منه المعاصى ثم ان الختم اغلاق على القلب بما حوى فلايخرج منه ولا يدخل اليه شيء وقلب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - مليء إيماناً فالختم على قلبه الشريف يكون بعدم المبالاة بتكذيبهم إياه والاطمئنان أن لا فائدة ترجى منهم ، وأن الله يفعل ما يريد ولا يكون بنزع الايمان منه صلى الله عليه وسلم .

# المبحث العشرون

## القلـــــب الغافـــــل

فالقلب إذا ختم عليه بعد ان غطته الذنوب وعمه الصمم ، وعمى البصيرة ، لابد أن يكون من الغافلين فهو قلب غافل وقد حذر الحق تبارك وتعالى رسوله من اتباع اصحاب القلوب الغافله فقال تعالى : " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا . ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وأتبع هواه وكان أمره فرطا " [الكهف : آيه ٢٨ ] .

فمن أغفل قلبه وأتجه الى ملذاته الدنيويه ولم يعد في قلبه متسع للهداية ، وجعل الدنيا غايته غفل عن ذكر الله فأستحق أن يغفل الله قلبه .

والغين والفاء واللام أصل صحيح يدل على ترك الشيء سهواً وربما كان عن عمد من ذلك غفلت عن الشيء غفلة : اذا تركته ساهياً ، وأغفلته اذا تركته على ذكر منك له . <١>

والغفل : سهو يعترى الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ ، يقال غفل فهو غافل من ذلك قوله تعالى : " لقد كنت في غفله من هذا " [ ق : آيه ٢٢ ] .

وقال تعالى : " ودخل المدينه على حين غفلة من أهلها " [ القصص : آيه ١٥ ] <٢> .

وقوله تعالى : " ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا " أى تركناه غير مكتوب فيه الايمان ، وقيل : من جعلناه غافلاً عن الحقائق . <٣>

ولكن هناك فروق بين النسيان والسهو والغفلة يجب التنبيه إليها .

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٤ : ٣٨٦ ] ، لسان العرب [ ١١ : ٢٩٨ ] .

٢ ـ المفردات في غريب القرآن [ ٣٦٢ ] .

٣ ـ بصائر ذوي التميز [ ٤ : ١٤٠ ] ، المفردات مادة " غفل " [ ٣٦٢ ] .

فالنسيان إنما يكون عما كان ، والسهو يكون عما لم يكن تقول نسيت ما عرفته ولايقال سهوت عما عرفته ، وإنما تقول سهوت عن السجود في الصلاة فتجعل السهو بدلاً عن السجود الذى لم يكن ، والسهو والمسهو عنه يتعاقبان .

وفرق آخر أن الإنسان إنما ينسى ما كان ذاكراً له والسهو يكون عن ذكر وعن غير ذكر لانه خفاء المعنى بما يمتنع به ادراكه .

وفرق آخر وهو أن الشيء الواحد محال أن يسهى عنه في وقت ولا يسهي عنه في وقت آخر وإنما يسهي في وقت آخر عن مثله ويجوز أن ينسى الشيء الواحد في وقت ويذكره في وقت آخر .

اما الغفلة فإنما تكون عما يكون ، والسهو يكون عما لايكون ، تقول غفلت عن هذا الشيء حتى كان ولا تقول سهوت عنه حتى كان ، لأنك اذا سهوت عنه لم يكن ويجوز ان تغفل عنه ويكون ، وفرق آخر أن الغفله تكون عن فعل الغير : تقول كنت غافلاً عما كان من فلان ، ولا يجوز ان يسهى عن فعل الغير . ‹١›

فاذا عرضت الآيات الداله على وحدانيه الله على قلب غافل ، معرض عن الهدى قابلها باللهو والإستهتار بلا وقار ولا تقد يس فتصبح الحياة عاطلة هينه رخيصه .

فأعمال العبد مرتبطة بالنية ، والنيه دليل اليقظة ففى حديث ابى هريره - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : ( **ادعوا الله وانتم موقنون بالإجابه وأعلموا أن الله لايقبل دعاء من قلب غافل لاه** ) ‹٢› .

واليقظة تتجلى في مواظبة العبد على فضائل الأعمال ، ففى حديث ابى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : ( **من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين** ) ‹٣› .

---

١ - الفروق اللغوية [ ٧٨ ] .

٢ - المستدرك [ ١ : ٤٩٣ ] كتاب الدعاء ، وقال الذهبي في إسناده صالح المروي وهو متروك الحديث . وأخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ٥ : ٥١٧ وقال حديث غريب وأخرجه أحمد في مسنده ٢ : ١٧٧ .

٣ - المستدرك [ ١ : ٥٥٥ ] كتاب فضائل القرآن ، صحيح على شرط مسلم وايده الذهبي .

وبين الختم والغفل ترابط ، فاذا ختم على القلب غفل العبد عن اسباب الخير ففى حديث عبدالله بن عمر وأبى هريرة أنهما سمعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول على اعواد منبره ( **لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين** ) ‹١› والودع : الترك .

فاذا تمادى العبد في المعاصى فهو سائر في طريق الغفله يطبع على قلبه أو يختم على قلبه وسمعه وبصره ، فأصبح من الغافلين ، يفضل الدنيا على الآخرة ، يرتاح صدره وينشرح للكفر فأستحق بذلك غضب الله قال تعالى : " ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخره وان الله لا يهدى القوم الكافرين ، اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون " [النحل: آيه ١٠٧ ـ ١٠٨ ] .

والحق تبارك وتعالى شبه الغافلين بالأنعام بل أضل منها لأن باب المعرفه أغلق فالقلب لا يفقه والعين لا تبصر والأذن لاتسمع ، فلا يؤمن إلا بالمادة التى يحسبها ويلمسها أما كلمة الحق فلا .

قال تعالى : " ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لايسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون " [ الأعراف : آيه ١٧٩ ] .

فالغفلة ليست سهواً ولا نسياناً إنما هى تماد في البطلان والتكبر والتجبر. قال تعالى : " إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون " [يونس : آيه ٧ ـ ٨ ] .

---

١ ـ صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الجمعه [ ٣ : ١٥٢ ] ، مسند أحمد [ ٢ : ٨٤ ] عن ابن عمر وابن عباس ـ رضي الله عنهما .

# الباب الخامس

# القلب والمشاعر والإرادة

الفصل الأول : المشاعر الداخلية في الإنسان .

الفصل الثانى : الكسب وأثره فى القلب .

# الفصل الأول

# المشاعر الداخلية في الإنسان

المبحث الأول : رعب القلب .

المبحث الثاني : القسوه .

المبحث الثالث : القلب الواجف .

المبحث الرابع : القلب مقر الحمية .

المبحث الخامس : القلوب وتشتيتها .

المبحث السادس : قذف الوهن في القلب .

## المبحث الأول
## رعـــــب القلـــــب

أن للقلوب أحوالاً وأعراضاً تصاحبها ، قد تكون احوال مدح أو ذم ، ولايعني بالضرورة أن يمتاز بها قلب بعينه أو تجتمع في قلب واحد أو حالة واحدة ، وكما أنها للقلب المعنوي فهي أيضاً تصاحب القلب الحسى ، وتظهر اعراضاً يشعر بها الإنسان ويشعر بها ذوى الاختصاص في مجال الطب كالرعب والفزع ، وقد يمتاز بها المعنوى كالقسوة والحمية والتشتيت والوهن .

فالرعب حالة من حالات القلب أيا كان نوعه وحاله ، والرعب والفزع من درجات الخوف .

والخوف : إنفعال في النفس يحدث لتوقع ما يرد من المكروه أو يفوت من المحبوب <١> وعرفه الراغب بقوله ( توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة ، وهو ضد الأمن ) <٢> ويستعمل في الأمور الدنيوية والأخروية .

ففي الأمور الدنيوية كقوله تعالى : " وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم ذلك أدنى الا تعولوا " [ النساء : آيه ٣ ] .

وكقوله تعالى " وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها " [ النساء : آيه ٣٥ ] .

وفي الأمور الأخروية كقوله تعالى : " ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد" [ ابراهيم : آيه ١٤ ] .

وكقوله تعالى : " تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا " [ السجدة : آيه ١٦ ] .

---

١ ـ دائرة معارف البستاني [ ٧ : ٥٠١ ] بطرس البستاني ، دار المعرفة ، بيروت .

٢ ـ المفردات [ ١٦١ ] .

( والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب ، كاستشعار الخوف من الأسد ، بل إنما يراد به الكف عن المعاصى واختيار الطاعات ، ولذلك قيل : لايعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً ) ‹١› .

أما الرعب فهو حالة من حالات القلب :

قال تعالى : " ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ، بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ، سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين " [آل عمران : آيه ١٤٩ ـ ١٥١ ] .

ففي الآية وعد من الله تبارك وتعالى بنهاية معركة الكفر والإيمان الحقيقي ، لابد أن ينصر الإيمان وأهله بالقاء الرعب في قلوب الكافرين ( سنلقى ) ( بنون العظمة على طريقة الإلتفات جرياً على سنن الكبرياء لتقوية المهابة ) ‹٢› والقاء الرعب في قلوب الذين كفروا كفيل بحسم نتيجة المعركة .

والراء والعين والباء أصول ثلاثة : أحدها الخوف . والثانى : الملء ، والآخر القطع . ‹٣›

فالأول : الرعب : بسكون العين وضمها : الخوف والفزع ‹٤› وفي الصحيح عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **(أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى : : نصرت بالرعب مسيرة شهر )** .. الحديث . ‹٥›

---

١ ـ المفردات [ ١٦٢ ] .

٢ ـ تفسير أبو السعود [ ١ : ٥٧٦ ] .

٣ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٢ : ٤٠٩ ] .

٤ ـ لسان العرب [ ١ : ٤٢٠ ] ، تاج العروس [ ١ : ٢٧١ ] ، النهاية في غريب الحديث [ ٢ : ٢٣٣ ] .

٥ ـ صحيح البخارى كتاب التيمم ، انظر فتح الباري [ ١ : ٤٣٦ ] .

والثانى : الرعَب : بفتح العين الإمتلاء ، يقال :رعب السيل الوادى إذا ملأه.

والثالث الرعب : بفتح الراء وتشديد العين : القطع يقال : سنام مرعب أى مقطع . <١>

والرعب : الانقطاع من امتلاء الخوف . <٢>

وقيل : هو الخوف الذى يملأ الصدر والقلب .

وقيل : الرعب أشد الخوف . <٣>

والخوف هو : توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة ، وهو عكس الأمن . <٤>

او هو : توقع حلول مكروه أو فوات محبوب . <٥>

وقال ابن حجر : الرعب : الفزع . <٦>

وقال الراغب : الفزع إنقباض ونفار يعترى الإنسان من الشىء المخيف ، وهو من جنس الجزع <٧> والجزع أبلغ من الحزن فهو حزن يصرف الانسان عما هو بصدده .

ولكن الخوف ارتبط بالنفس قال تعالى : " فأوجس في نفسه خيفه موسى" [ طه : آيه ٦٧ ] ثم هو طبيعة في الانسان فطر عليها ، وهو ضد الأمن ، فالمؤمن يخاف الله ، ولايقال يرتعب من الله ولم يرد الخوف حالة من حالات القلب.

---

١ ـ لسان العرب [ ١ : ٤٢١ ] .

٢ ـ المفردات [ ١٩٧ ] .

٣ ـ تاج العروس [ ١ : ٢٧١ ] .

٤ ـ المفردات [ ١٦١ ] .

٥ ـ التعريفات [ ١٠١ ] .

٦ ـ فتح الباري [ ١ : ٢٨ ] .

٧ ـ المفردات [ ٣٧٩ ] .

فالرعب : شيء مغاير للخوف ، أو هو شدته ، وضعه الله في القلوب أى كان نوعها ، ولكنه جلت قدرته ينصر بهذا الرعب عباده المؤمنين فيلقيه أو يقذفه في القلوب المريضة أو الميتة لتضعف أمام القلوب الطاهرة .

وهذا النوع من الرعب ذكره الله في كتابه في أربع مواضع مرتان بكلمة (القى ) ومرتان بكلمة ( قذف ) .

١ ـ قال تعالى : ( سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله .. ... آيه ) [آل عمران : آيه ١٥١ ] .

٢ ـ وقاله تعالى : ( سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق.. الآيه ) [ الأنفال : آيه ١٢ ] .

والإلقاء : الطرح ، يقال : ألقى الشى : طرحه . وفي الحديث ( **إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً** ) أى ما يحضر قلبه لما يقوله منها . <١>

٣ ـ قوله تعالى : " وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً " [الاحزاب : آيه ٢٦ ] .

٤ ـ قوله تعالى : " فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب " [ الحشر : آيه ٢ ] .

والقذف : الرمي بقوه . <٢>

وذكر الرعب مرة خامسة في القرآن الكريم ولكن لم يصرح فيه بذكر القلب ، قال تعالي عن أصحاب الكهف : " وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعية بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعبا " [ الكهف : آيه ١٨ ] .

---

١ ـ لسان العرب [ ١٥ : ٢٥٦ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ٩ : ٢٧٧ ] .

فالرعب دائر في حالات القلب لاينفك عنه ، وفي كلمة ( ملئت ) دليل على أن القلب كالوعاء يملأ ، والرعب هنا ليس الخوف وإما مكانة أعلى من الفزع لأن الفزع : إنقباض ونفار يعترى الإنسان من الشيء المخيف ‹١› فاذا نظر اليهم الانسان من مكان قريب بدلالة قوله تعالى : " لو اطلعت " فهو في أول توقع حلول مكروه وهذا هو الخوف ، فاذا شاهد الشيء المخيف اعتراه الفزع خاصة اذا كان اكبر مما يتوقع ، فإن كان مهولاً كان الرعب وهو أمر فطرى في الانسان ( لأن الله عز وجل البسهم من الهيبة والهيئه وقد قال المفسرون : كانت أعينهم مفتوحة كالمستيقظ الذى يريد أن يتكلم ) ‹٢› .

ومنه ما ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يحدث عن فترة الوحى فقال في حديثه ( **بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى ، فإذا الملك الذى جاءنى جالس على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت زملونى .. الحديث** ) ‹٣› .

والخلاصة : يمكن لنا أن نقسم الرعب الى نوعين :

الاول : نوع فطرى جبل الإنسان عليه يعتريه من الشيء المخيف أو المهول وهو ما يسمى لغة : الخوف أو الفزع ومنه قوله تعالى : " لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعباً " [ الكهف : آيه ١٨ ] .

والثانى : أمر حادث يقذفة الله في قلوب أعدائه فتضعف قدرتهم أمام المسلمين ومنه قوله تعالى : " سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان " [ الأنفال : آيه ١٢ ] .

---

١ ـ المفردات [ ٣٧٩ ] .

٢ ـ تفسير أبو السعود [ ٣ : ٥٠٨ ] .

٣ ـ فتح الباري [ ١ : ٢٧ ] كتاب الوحي باب ( ٣ ) حديث ( ٤ ) .

## المبحث الثانى

## القســـــــــــوه

وايضاً من اعراض القلوب القسوه :

اخرج الامام مسلم بسنده قال : **بعث أبو موسى الأشعرى الى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائه رجل قد قرأوا القرآن . فقال : أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم . فاتلوه . ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم** ... الحديث . (١)

فهذا تحذير أهل المعرفة ، مدرسة النبوة من عاقبة التباطؤ والتقاعس وبيان لما يغشى القلوب من الصدأ وما تؤول اليه من القسوة بعد اللين حين تغفل عن ذكر الله فتحرم الخشوع ، وبيان الداء والدواء حتى يعيش العبد قريباً من الله .

والخشوع : من مراتب عليا في حياة القلوب كما ان القسوة درك أسفل .

القاف والسين والحرف المعتل : يدل على شدة وصلابة ، من ذلك الحجر القاسى .

والقسوة غلظ القلب . وهى من قسوة الحجر (٢) فتأويل القسوة في القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه . (٣)

والقسوة وإن دلت على شدة وصلابه إلا أنها تعبير أقوى في المعنى ، (فالقسوة تستعمل فيما لا يقبل العلاج ، ولهذا يوصف بها القلب وإن لم يكن صلبا ) (٤) .

---

١ ـ صحيح مسلم [ ١٠٥٠ ] في الزكاة ( ١١٩ ) باب لو كان لابن آدم وأديان [ ٢ : ٧٢٦ ] .

٢ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٥ : ٨٧ ] ، المفردات في غريب القرآن [ ٤٠٤ ] .

٣ ـ لسان العرب [ ١٥ : ١٨٠ ] ، تاج العروس [ ١٠ : ٢٩٣ ] .

٤ ـ الفروق اللغوية [ ٨٨ ] .

وقد كررت هذه المادة في التنزيل سبع مرات مرتبطة بالقلب .

مرتان في قوله تعالى : " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة " [ البقرة : آيه ٧٤ ] .

وقد وردت ذماً لقوم موسى عندما اختبروا في مدى الطاعة والاستجابة والتسليم أمام إختبار أتى من عند الله فما ازدادوا الا لجاجة ، فقست قلوبهم .

ثالثاً : في قوله تعالى : " فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسيه " [ المائدة : آيه ١٣ ] .

وهذه القسوة خلقها الله أو صيرها في قلوب بنى اسرائيل بعد أن نقضوا ميثاق الله وتهاونوا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالرسل ونصرتهم .

وهذه القسوة التى يخلقها الله غير القسوة اللغوية ، فهي معنى فوق أن يوصف . عقاباً لانهم حرفوا كلام الله ونسوا أوامر دينهم ولازالت الخيانة طابعهم ودأبهم فعلاً وقولاً .

رابعاً : في قوله تعالى : " ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون . فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون " [ الانعام : آيه ٤٢ ـ ٤٣ ] .

فالقلب الذى لا ترده الشدة الى الله قلب تحجر ومات فلا تثير فيه الشدة إحساساً ، كقوم فرعون وقوم موسى فالشدة ابتلاء تجدد للقلب الحى حياته ، وتحجر القلب القاسى .

خامساً : في قوله تعالى : " ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد " [ الحج : آيه ٥٣ ] .

وهذه فرقت بين مرض القلب وقسوته ، فالقسوة موت لا شك من ابتلى بها يحب الجدل والشقاق لإتمام الفرقة ونقض عرى الاسلام .

سادساً : في قوله تعالى : " أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين " [ الزمر : آيه ٢٢ ] .

هناك فرق كبير بين قلب استضاء بنور الإسلام وبين قاسى القلب وشتان بين هؤلاء وهولاء .

سابعاً : قوله تعالى : " ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون " [ الحديد : آيه ١٦ ] .

وختام الآيات أوضح الدواء ، وشرحه أبو موسى الأشعرى في حديثه مع القراء ، وقد روى ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال :(**لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسى** ) ‹١› .

فمن مال إلى الدنيا وزخرفها واعرض عن مواعظ الله ، واكثر الكلام فيما لا طائل تحته قرب من الغفلة . ولايزال حاله حتى تزول صفات الحياة من قلبه فيتدرج في المرض ثم في مراتب الموت حتى يصل الى القسوة .

والقلب القاسى تعود له الحياة بدلالة قوله تعالى : " وكثير منهم فاسقون" [ الحديد : آية ١٦ ] . فدلالة المفهوم أن منهم من قسى قلبه ولم يصل الى الفسق ، والفسق نفاق أو كفر . قال تعالى في المنافقين : " نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون " [ التوبة : آيه ٦٧ ] .

وقال عن الكفار : " ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون " [ النور : آيه ٥٥ ] .

---

١ ـ أخرجه الترمذي [ ٤ : ٦٠٨ ] برقم ( ٢٤١١ ) في الزهد باب رقم ( ٦١ ) وإسناده حسن غريب ، جامع الأصول ٣٧/١١ ، وأخرجه مالك في الموطأ مرسلاً [ ٢ : ٩٨٦ ] كتاب الكلام باب ( ٣ ) .

وقال عن قوم نوح وقوم فرعون إنهم كانوا قوماً فاسقين . <١>

فمنهم من أنقذه الله من النفاق أو الكفر وعاد الى قدسية الإيمان وشع فيه نور القرآن ، فإن من تلك القلوب القاسية ما يقبل الايمان يوماً ما ، فينتقل من القسوة الى اللين من خشية الله ، فقد تلين القلوب القاسية بلطف الله تعالى ويخشى العاصى . وقد أخبر الله أن من أهل الكتاب من يؤمن بالله قال تعالى : " وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وماأنزل اليكم وماأنزل اليهم خاشعين لله " [ آل عمران : آيه ١٩٩ ] وكما أخبر أن من الأعراب من يؤمن بالله من بعد أن أخبر أن الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر الا يعلموا حدود ماأنزل الله على رسوله .

قال تعالى : " ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر " [التوبة : آيه ٩٩]

وقال تعالى : " الأعراب أشد كفراً ونفاقاً " [ التوبة : آيه ٩٧ ] .

---

١ ـ الأيات : النمل : آيه ١٢ ، القصص : آيه ٣٢ ، الذاريات : آيه ٤٦ .

# المبحث الثالث

## القلـــب الواجـــف

وأيضاً من خصائص القلوب : الوجوف وهو شدة الإضطراب ويشمل جميع أحوال القلب الحسى والمعنوي ، وقد وردت مرتبطة بالقلب في قوله تعالى : " يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة . قلوب يومئذ واجفة " [ النازعات : آيه ٦ ـ ٨ ] .

وفي السنة : في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ **في وصف جبريل وفيه (فرفعت رأسى فإذا هو على العرش في الهواء فأخذتنى وجفة شديدة ..** الحديث ) <١> .

يقال وجف الشيء إذا أضطرب ، وايضاً ، الوجف والوجيف : ضرب من سير الخيل والإبل ومنه قوله تعالى : " فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب " [الحشر : آيه ٦ ] أى ما أعملتم .

وقال الأزهرى <٢> : استوجف الحب فوآده : اذا ذهب به . <٣>

ووجف الشيء : إذا اضطرب ووجف وجيفاً : خفق .

وقلب واجف ـ قال الزجاج ـ : شديد الإضطراب . <٤>

وقال البغوى في قوله تعالى : " قلوب يومئذ واجفه " خائفة قلقة مضطربة .

وقال مجاهد : أى وجلة ، وقال السدى : زائلة عن أماكنها . <٥>

ويمثل قول البغوى قال اكثر المفسرون .

---

١ ـ مسند الإمام أحمد [ ٣ : ٣٠٦ ] .

٢ ـ محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي ، إمام في اللغة والأدب ، ت : ٣٧٠ هـ الأعلام ٥ / ٣١١ .

٣ ـ بصائر ذوي التميز [ ٥ : ١٦٨ ] .

٤ ـ لسان العرب [ ٩ : ٣٥٢ ] .

٥ ـ معالم التنزيل [ ٥ : ٥١٧ ] تفسير القاسمي [ ١٧ : ٤٢ ] ، البحر المحيط [ ٨ : ٤٢٠ ] .

# المبحث الرابع
# القلب مقر الحمية

ومن خصائص القلوب الحمية :

والحمية : هى القوة الغضبية إذا ثارت وكثرت . ‹١›

ونسبت الى القلب في قوله تعالى : " إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين " [ الفتح : آيه ٢٦ ] .

ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت تأخذه الحمية ففي حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - في قصة تطليق ابي ركانه زوجتة وفيه ( **فجاءت - أى أم ركانه - النبى - صلى الله عليه وسلم - فقالت - ما يغنى عنى إلا كما تغنى هذه الشعرة ، ففرق بينى و بينه فأخذت النبى - صلى الله عليه وسلم - حمية فدعا بركانه وإخوته** .. الحديث ) ‹٢› .

والحمية هنا المراد منها : الأنفة والغيرة . ‹٣›

فتكون الحمية نوعان : محمود ومذموم .

فالمحمود ما كان أنفة وغيرة أن تنتهك محارم الله .

والمذموم ما أضيف الى الجهل ، كحمية الجاهلية التى لايراعي فيها حقوق الله .

فالقلوب لها أحوال بحسب متعلقها بالخير أو ضده ، فالقلوب السليمة وإن اكتسبت صفة اشتركت مع غيرها فنجد في اللغة ان هذه الصفة اكتسبتها مدحاً لاذماً .

---

١ - المفردات [ ١٣٢ ] .

٢ - سنن أبي داود [ ٢ : ٢٥٩ ] كتاب الطلاق حديث رقم ( ٢١٩٦ ) .

٣ - النهايه فى غريب الحديث [ ١ : ٤٤٧ ] ، لسان العرب [ ١٤ : ١٩٩ ] .

# المبحث الخامس

## القلـــــوب وتشتيتهـــــا

ومن خصائص القلوب المريضة أو الميته التشتيت والتفرقة ، بعكس القلوب السليمة التى اكتسبت بفعل الله الألفة والمودة ، وقد نسب التشتيت للقلب في قوله تعالى : " تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى " [ الحشر : آيه ١٤ ] .

والتشتيت : تفريق الشعب ، يقال جاءوا أشتاتاً أى متفرقي النظام . <١>

قال البغوى في تفسير الآية ( قلوبهم متفرقة مختلفة ، قال قتادة : أهل الباطل مختلفة أهواؤهم ، مختلفة شهادتهم ، مختلفة اعمالهم ، وهم مجتمعون في عدواة أهل الحق ، وقال مجاهد : أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود ـ) <٢> .

وقال ابن كثير ( تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الإختلاف ) <٣> .

وقال الزمخشرى وغيره : ( قلوبهم متفرقة لاإلفة بينها ، يعنى أن بينهم إحناً وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ، ولايرمون عن قوس واحدة ، وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم ) <٤> .

ولكن بشرط حب الآخرة والتفاني في اعلاء كلمة الله ، والتهيؤ بالشجاعة والقدرة وإلا قذف الله في قلوبهم الوهن .

---

١ ـ المفردات [ ٢٥٥ ] .

٢ ـ معالم التنزيل [ ٥ : ٣٥٠ ] .

٣ ـ تفسير ابن كثير [ ٤ : ٣٤٠ ] .

٤ ـ الكشاف [ ٤ : ٨٣ ] ، التفسير الكبير [ ٢٩ : ٢٩٠ ] ، البحر المحيط [ ٨ : ٢٤٩ ] .

# المبحث السادس
# قذف الوَهَنْ في القلب

أخرج أبو داود في سننه من حديث ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ(**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكله الى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن . فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت** ) ‹١› .

والوهن : الضعف . ‹٢›

( وحب الدنيا وكراهية الموت متلازمان فكأنهما شيء واحد يدعوهم إلى إعطاء الدنية في الدين من العدو المبين ) ‹٣› .

---

١ ـ سنن أبي داود [ ٤ : ١١١ ] كتاب الملاحم ، حديث رقم ( ٤٢٩٧ ) ، وأخرجه أحمد بسنده في مسنده من حديث أبي هريره [ ٢ : ٣٥٩ ] .

٢ ـ النهاية في غريب الحديث [ ٥ : ٢٣٤ ] .

٣ ـ عون المعبود [ ١١ : ٤٠٥ ] .

# الفصل الثاني

# الكسب وأثره في القلب

المبحث الأول : أنواع الكسب .

المبحث الثاني : ضرب القلوب .

المبحث الثالث : تشابه القلوب .

# المبحث الأول

# أنـــــواع الكســـــب

أسباب نعيم الدنيا والآخره أو العكس ، عائد الى ما أكتسبه الإنسان من خير أو شر فإن اكتسب خيراً اكتسب القلب مثله ، وتدرج في مدارج القلب ، وإن اكتسب العبد شراً اكتسب القلب حب المعصية وأشربها .

ونسب الكسب للقلب في قوله تعالى : " لايؤ آخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور رحيم " [ البقره : آيه ٢٢٥ ] .

ونسب الكسب للنفس كما في قوله تعالى : " ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون " [ آل عمران : آيه ٢٥ ] .

ونسب أيضاً للجارحة كقوله تعالى : " ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس " [ الروم : آيه ٤١ ] .

كما نسب إلى مطلق الأمة في قوله تعالى : " تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم " [ البقرة : آيه ١٣٤ ] .

( وأصل الكسب طلب الرزق . قال سيبويه : كسب : أصاب ، واكتسب : تصرف واجتهد ) .

قال ابن جنى <١> في قوله تعالى : " لها ما كسبت وعليها مأكتسبت " عبر عن الحسنة بكسبت ، وعن السيئة باكتسبت ، لأن معنى كسب دون معنى إكتسب لما فيه من الزيادة ، وذلك أن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير ومستصغر ، وذلك كقوله تعالى : " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها " [ الأنعام : آية ١٦٠ ] أفلا ترى أن الحسنة تصغر باضافتها الى جزائها ضعف الواحد الى العشرة ؟ ولما كان جزاء السيئة إنما هو بمثلها لم تحتقر إلى الجزاء عنها فعلم بذلك قوة فعل السيئة على فعل الحسنة ، فاذا كان فعل السيئة ذاهباً بصاحبه الى هذه الغاية البعيدة المترامية عظم

---

١ ـ ابن جني : عثمان بن جني الموصلي أبو الفتح ، إمام في الأدب والنحو ، ت ٣٩٢ هـ الأعلام ٢٠٤/٤ .

قدرها وفخم لفظ العبارة عنها فقيل لها ما كسبت وعليها ماأكتسبت ، فزيد في فعل السيئة وانتقص من لفظ فعل الحسنة ) <١> .

والكسب وإن كان في الأصل ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ ، ككسب المال فإنه قد يستعمل فيما يظن الإنسان أنه يجلب منفعه ثم يستجلب به مضره ، فالكسب يقال فيما أخذه لنفسه ولغيره ، والإكتساب لايقال الا فيما استفاده لنفسه ، وكل اكتساب كسب ، وليس كل كسب اكتساب .

وقد ورد في القرآن في فعل الصالحات والسيئات .

ففي الصالحات كقوله تعالى : " أو كسبت في إيمانها خيراً " [ الانعام : آيه ١٥٨ ]

وفي السيئات كقوله تعالى : " أن تبسل نفس بما كسبت " [الانعام : آيه ٧٠ ] والاكتساب ورد فيهما ايضاً .

ففي الصالحات قال تعالى : " للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن " [ النساء : آيه ٣٢ ] وقوله : " لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت " [ البقره : آيه ٢٨٦ ] .

قيل : خص الكسب ها هنا بالصالح والإكتساب بالسيىء .

وقيل عنى بالكسب ما يتحراه من المكاسب الأخروية ، والاكتساب ما يتحراه من المكاسب الدنيوية ) <٢> .

والخلاصة : أن الله اثبت للقلوب والنفوس قصداً وعزماً على علم ومعرفة منها بما تقصده وتريده فما خرج منها من غير قصد لاتحاسب عليه كلغو اليمين والذنوب التى لا تكون عن إصرار القلب سيغفرها الله والله غفور رحيم .

---

١ ـ لسان العرب [ ١ : ٧١٦ ] ، تاج العروس [ ١ : ٤٥٥ ] .

٢ ـ بصائر ذوي التميز [ ٤ : ٣٥٠ ] .

وقد أوضح ذلك في قوله تعالى : " وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم " [ الحزاب : أيه ٥ ] .

والعمد : ضد الخطأ وسائر الجنايات ، يقال : تعمده وتعمدله : أى قصده بجد ويقين ‹١› فالعمد : قصد الشيء والإستناد إليه ، والعمد والتعمد في التعارف خلاف السهو وهو المقصود بالنية . ‹٢›

---

١ ـ لسان العرب [ ٣ : ٣٠٢ ] ، بصائر ذوي التميز [ ٤ : ٩٨ ] .

٢ ـ المفردات [ ٣٤٦ ] .

## المبحث الثاني

## ضـــــرب القلـــــوب

عندما نعود إلى مراجعة تتالي الذنوب على القلوب وكثرة الإفساد نجد أنه لايقتصر ضرره على العاصى فقط ، بل يعم غيره ، فالكل معرض الامن عصم الله، ولايظن اصحاب القلوب السليمة أنهم في مأمن من مهالك دركات المرض والموت القلبى ، لانهم إن لم يأخذوا بيد ذوى القلوب السقيمة خلط الله قلوبهم بقلوب غيرهم، وقست قلوبهم ، فقد حذر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ذلك فقال ( **إن أول مادخل النقص على بنى اسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول : ياهذا إتق الله ودع ماتصنع فإنه لايحل لك ، ثم يلقاه من الغد فلايمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض** ) <١> ومعنى ضرب الله قلوب بعضهم ببعض : أي خلطها ، وقيل أى سود الله قلب من لم يعص بشؤم من عصى ، فصارت قلوب جميعهم قاسية بعيدة عن قبول الحق والخير والرحمة بسبب المعاصى ومخالطة بعضهم بعضاً . <٢>

---

١ ـ عون المعبود [ ١١ : ٤٨٧ ] كتاب الملاحم باب ( ١٧ ) ، وأخرجه الترمذي في تفسير سورة ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، وقال حسن غريب ، وأخرجه ابن ماجه في الفتن رقم ( ٢٠ ) .

٢ ـ عون المعبود [ ١١ : ٤٨٧ ] ، القاموس المحيط [ ١٣٨ ] معنى ضربا لشيء بالشيء أي خلطه وتكملة الحديث في سنن أبي داود ( ثم قال : لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ـ إلى قوله ـ فاسقون ) ثم قال : كلا والله لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن علي يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقعرنه على الحق قصر ـ زاد ابن مسعود في روايه ـ أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعننكم كما لعنهم ، أنهي [ ٤ : ١٢١ ] .

## المبحث الثالث

## تشابـــــه القلـــــوب

الحب في الله من علامات طهارة القلب وصلاحه فيقتضي أن يبعد هذا القلب عن تلك القلوب لأن جليس السوء له تأثير ، والقلوب إذا خلطت ببعضها تشابهت . والتشابة كما يكون في الخير يكون في ضده وقد ورد تشابه قلوب اهل المعاصى في قوله تعالى : " قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون " [ البقرة : آيه ١١٨ ] .

( وهي وردت في تشابه قلوب اليهود والنصارى في إرتكاب المعاصى وقلة معرفتهم بعظمة الله وجرأتهم على أنبيائه ورسله ، كما اشتبهت أقوالهم التى قالوها ـ ذكر ذلك الامام الطبرى ) ‹١› وبمثله قال اكثر أهل التفسير .

والشبه : المثل ، وأشبه الشىء بالشىء : ماثله ، وفي المثل : من أشبه أباه فما ظلم . ‹٢›

والمهم أن اهل الضلال تتشابه اقوالهم وافعالهم بما تكنه قلوبهم من التعنت واقتراح الاباطيل واللجاج والعناد وطلب الباطل ، ولامانع أن تتشابه قلوب أهل الهدى أيضاً في محبة الله وتقواه وعبادته والتراحم فيما بينهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والله أعلم بقلوب عباده .

---

١ ـ جامع لبيان [ ١ : ٥١٤ ] ، التفسير الكبير [ ٤ : ٢٩ ] محاسن التأويل [ ٢ : ٢٤٠ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ١٣ : ٥٠٣ ] .

# الباب السادس

# القلب والمعرفه

الفصل الأول : مكانة القلب من الاعضاء وارتباط التعقل به .

الفصل الثاني : المعارف المباشرة للقلب .

# الفصل الأول

## مكانه القلب من الأعضاء وارتباط التعقل به

المبحث الأول : تمهيد عن مقر العقل .

المبحث الثاني : اهمية القلب .

المبحث الثالث : التعقل عمل من أعمال القلب .

المبحث الرابع : تعريف الفهم .

المبحث الخامس : النظر الصحيح أول مراتب المعرفه .

المبحث السادس : تدرج رقى المعرفه .

المبحث السابع : رعاية احوال القلب أهم من رعاية غيره .

المبحث الثامن : مكانة الخشيه .

المبحث التاسع : مكانة السمع وتعريفه .

المبحث العاشر : النظر وأقسامه .

# المبحث الأول
## تمهيد عن مقر العقل

أين مقر العقل ؟ وما الفرق بينه وبين الفكر والنظر ؟

سؤال لابد ان يطرقه من أراد ان يتحدث عن المعرفة ، وقد أجاب شيخ الاسلام ابن تيمية عن هذا السؤال فقال :

( العقل قائم بنفس الانسان التى تعقل ، وأما من البدن فهو متعلق بقلبه كما قال تعالى : " أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها " [الحج : آيه ٤٦] .

وقيل لابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : بماذا نلت العلم ؟ قال : ( بلسان سؤول وقلب عقول ) .

لكن لفظ القلب قد يراد به المضغة الصنوبرية الشكل التى في الجانب الأيسر من البدن التى جوفها علقة سوداء كما في الصحيحين عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ( **ان في الجسد مضغه اذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد** ) <١> .

وقد يراد بالقلب باطن الإنسان مطلقاً ، فان قلب الشىء باطنه ، كقلب الحنطة واللوزه والجوزه ونحو ذلك ، وقد سمى القليب قليباً لأنه أخرج قلبه ، وهو باطنه .

وعلى هذا فإذا أريد بالقلب هذا فالعقل متعلق بدماغه أيضاً .

ولهذا قيل : إن العقل في الدماغ كما يقوله كثير من الأطباء ونقل ذلك عن الامام احمد ، ويقول طائفه من اصحابه : إن اصل العقل في القلب فاذا كمل انتهي الى الدماغ .

---

١ ـ صحيح البخاري بشرحه فتح الباري [ ١ : ١٢٦ ] كتاب الإيمان باب ( ٣٩ ) « من حديث النعمان بن بشير يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لايعلمها كثير من الناس فمن إتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه . الأوان لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه ، الأوان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب » .

لكن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ ومبدأ الارادة في القلب ، والعقل يراد به العلم ويراد به العمل ، فالعلم والعمل الإختياري اصله الإرادة وأصل الارادة في القلب ، والمريد لا يكون مريداً الا بعد تصور المراد فلابد ان يكون القلب متصوراً فيكون منه هذا وهذا ) : ‹١›

فسيد الاعضاء ورأسها هو القلب كما صرح به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحديث ( **إن في الجسد مضغة** ) فهو أمير البدن وبصلاح الأمير تصلح الرعية وبفساده تفسد .

وقال ابن حجر : ( يستدل من الحديث على أن العقل في القلب ) ‹٢› .

والحق تبارك وتعالى نسب التعقل للقلب فقال : " **أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها** " [ الحج : آيه ٤٦ ] .

وقال تعالى : " **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** " [ ق : آيه ٣٧ ] .

والحق تبارك وتعالى أنزل القرآن على أشرف الاعضاء وهو القلب قال تعالى: " **قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك** " [ البقرة : ايه ٩٧ ] .

وقال تعالى : " **نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين** " [الشعراء : آيه ١٩٣ ـ ١٩٤ ] .

ولا يعقل الا القلب الحى فهو الذى يعى من الحق ما أمر به ، فالقلب آلة التعقل والتدبر ومحل الإرادة والاعتبار ومحل العلم والى هذا ذهب كثير من المفسرين ‹٣› وقيل الدماغ محل العلم .

ولا يبعد أن يكون بين الدماغ والقلب رابطة معنوية ومعرفة حقيقة تلك الرابطة لا يعلمها الا الله .

---

١ ـ مجموع الفتاوى [ ٩ : ٣٠٣ ]

٢ ـ فتح الباري [ ١ : ١٢٩ ] .

٣ ـ تفسير الطبري [ ١ : ٤٣٦ ] ، [ ١٩ : ١١٢ ] ، [ ٢٦ : ١٧٧ ] ، تفسير ابن كثير [ ٣ : ٢٢٧ ] ، التفسير الكبير [ ٢٣ : ٤٥ ] ، [ ٢٤ : ١٦٧ ] ، ، تفسير القرطبي [ ١٢ : ٧٧ ] .

# المبحث الثانى

## أهميـــــــة القلـــــــب

القلب هو المخاطب والمقصود بإلزام الحجة لأنه موضع التميز والإختيار ، وأما سائر الاعضاء فمسخرة له باذن الله . والدليل على أنه موضع التميز والإختيار أن الله ذكر إستحقاق الجزاء على كسب القلوب كما في قوله تعالى :

" لا يؤآخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤآخذكم بما كسبت قلوبكم " [البقره : آيه ٢٢٥ ] .

كما أن الله الزم الحجة على وسائل الإدراك وهى السمع والبصر والفؤاد .

قال تعالى : " إن السمع والبصر والفوآد كل اولئك كان عنه مسئولا " [الاسراء : آيه ٣٦ ] .

وفي مثل قوله تعالى : " وجعل لكم السمع والأبصار والإفئدة لعلكم تشكرون" [ النحل : آيه ٧٨ ] .

ومن المعلوم أن السمع والبصر لا يستفاد منهما الا بما يؤد يانه الى الفؤاد، والفؤاد باطن القلب ولبه ، فكأن السؤآل عنهما في الحقيقة سؤال عن القلب .

# المبحث الثالث
# التعقل عمل من أعمال القلب

مما سبق يتضح أن التعقل عمل من أعمال القلب ، فالخطاب موجة اليه لتقوم به الحجة ، فلا يعرف بحال من الأحوال الا بافعاله فهو نور في القلب كالنور في العين يولد مع الإنسان ويزيد بالتعليم والإطلاع حتى يكون حجة لازمة للعبد .

قال تعالى : " وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى " [فصلت : آيه ١٧ ] .

فالله بين لهم ما يعقلوه بقلوبهم إن تدبروا ذلك ، فأستحبوا الضلالة . فالله خاطب العباد من قبل ألبابهم واحتج عليهم بما ركب فيها من عقولهم .

كما قال تعالى : " واتقون ياأولى الألباب " [ البقرة : آيه ١٩٧ ] .

وفي مثل قوله تعالى : " وما يذكر إلا أولوا الألباب " [ آل عمران : آيه ٧] وغيرها من الآيات فاذا أخذ معنى العقل على اللغة فالمراد به الفهم أو مطلق المعرفة فهو أمر مشترك بين أهل الهدى وأهل الضلال وبين المطيع والعاصى ، وهو فهم البيان كما قال تعالى عن أهل الكتاب " يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون " [ البقره : ايه ٧٥ ] قال ابن كثير : أى من بعد ما فهموه على الجلية ومع هذا يخالفونه على بصيره . <١>

وقال تعالى : " يعرفونه كما يعرفون أبناءهم " [ البقره : ايه ١٤٦ ] .

فهذا فهم وبيان يشترك فيه المؤمن وغيره ويسمى عقلاً فهؤلاء الكفار (لديهم التحقق والإتقان العلمي ) <٢> على صدق رسول الله في نبوته ومع هذا جحدوا هذه المعرفه وانكروا هذا الفهم .

---

١ ـ تفسير ابن كثير [ ١ : ١١٥ ] .

٢ ـ ابن كثير [ ١ : ١٩٤ ] .

# المبحث الرابع

## تعريـــــف الفهـــــم

والفهم ( هيئة للأنسان بها يتحقق معانى ما يحسن ) <١> وله مراتب ادناه الغريزه والملكة الفطرية في العبد ، وهو القدر المشترك بين الجميع واعلاه ما كان عن طريق الوحى لخصوصية العبد كقوله تعالى : " ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً " [ الانبياء : آيه ٧٩ ] .

وهذا الفهم تسمية العرب عقلاً . <٢>

فاذا اجتمع مع الفهم نور البصيرة والمعرفة بتعظيم قدرة الله في الحال والمآل لعظيم إحسانه وقدرته وعقابه معتنيا بطلب العلم النافع راغباً في الفهم الصحيح عاقلاً عن الله في كل ما جاء به ملتزماً بأدا به مجتنباً لنواهية فهذا هو العاقل .

ولا يلتزم بهذه المحاسن إلا عبد آمن وازداد ايماناً فيرتقى قلبه بزيادة إيمانه ويرتقى تعقله بنور قلبه .

اما من زال عن ذلك ومعه غريزة العقل التى يفرق بها بين العقلاء والمجانين فهو فاهم لما جاء من عند الله ولكنه ينكر هذا الفهم .

فقال تعالى عن الصنف الأول " وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون " [ العنكبوت : آيه ٤٣ ] * وكقوله تعالى : " إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون " [ الرعد : آيه ٤ ] .

وقال عن الصنف الآخر " يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه " [ البقره : آيه ٧٥ ] * وقال تعالى " أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها " [ الحج : آيه ٤٦ ] .

---

١ ـ المفردات [ ٣٨٦ ] .

٢ ـ القاموس المحيط [ ١٣٣٦ ] .

وهؤلاء قال الله في وصفهم " إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا " [الفرقان : آيه ٤٤ ] .

ومع هذا قال الحق عنهم " يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون " [ الروم : آيه ٧ ] .

قال ابن عباس - رضى الله عنهما - في معنى الآية : يعنى معايشهم متى يحصدون ومتى يزرعون ومتى يغرسون .

وروى عنه أنه قال : المراد الكفار يعرفون عمران الدنيا وهم في أمر الدين جهال . ‹١›

وقال الحسن البصرى رحمه الله : والله ليبلغ من أحدهم بدنياه أنه يقلب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلى . ‹٢›

## اقسام الناس بالنسبة للتعقل :

الحارث المحاسبى ‹٣› قسم الناس الى فرق نذكرها باختصار :

فرقة عقلت عن الله عظم قدره وقدرته وما وعد وتوعد فأطاعت وخشعت .

وفرقة عقلت البيان ثم جحدت كبراً وعناداً لطلب الدنيا كإبليس تكبر وعاند كبراً وكذلك اليهود الذين قال الله في حقهم " ليكتمون الحق وهم يعلمون " [البقره : آيه ١٤٦ ] .

وثالثة عقلت قدر الله عز وجل في تدبيره وتفرده بالصنع ، وعرفت قدر الإيمان في النجاة بالتمسك به وقدر العقاب في ضرره في مجانية الإيمان ، فأقرت وأمنت ولم تعقل عظيم قدر ثوابه وعقابه في إتيان معاصية والقيام بفرائضة فعصت

---

١ - تفسير الطبري [ ٢١ : ٢٢ ] .

٢ - تفسير ابن كثير [ ٣ : ٤٢٧ ] .

٣ - الحارث بن أسد المحاسبى ابو عبد الله - من اكابر الصوفيه - توفى ٢٤٣ هـ - صفة الصفوة ٢/ ٣٦٧

وضيعت وغفلت ونسيت ، إلا أنها علمت عظيم قدر الإيمان في النجاة وعظيم ضرر الكفر ، قد عقلته عن الله تعالى فهى قائمة به دائمة عليه ) ‹١› .

وعلى هذا التقسيم فالفرق التى عقلت بيان الله وآياته الكونيه فأقرت وآمنت سواء عقلت عظيم ثوابه فأطاعت وخشعت أو لم تعقل عظيم عقابه فعصت وضيعت هؤلاء هم الذين نطلق عليهم لقب عقلاء .

والفرق التى جحدت كبراً وعناداً او قلدت فعميت عن الحق فلديهم الفهم الغريزى الذى تسمية العرب عقلاً لتفريقهم بين العقلاء والمجانين ، وبهذا الفهم والادراك يكون حسابهم وتلزمهم الحجة .

## تعريف العاقل واقسام العقل

وفي الإحياء ( العاقل من أطاع الله وان كان ذميم المنظر ، حقير الخطر ، دني المنزلة رث الهيئة . وإن الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل المنظر ، عظيم الخطر ، شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحاً نطوقاً ، فالقردة والخنازير أعقل عند الله ممن عصاه ) ‹٢›

فالمدار مدار إيمان ورقى إيمان من مرتبة خشوع القلب حتى نهاية مراتبه ، فبداية التعقل بداية يقظة القلب بالقاء نور الاسلام فيه ، أى بانشراح الصدر . وارجح الناس عقلاً وافضلهم رأياً خاتم الانبياء محمد رسول الله - صلى عليه وسلم - ، فعقول الناس عند عقله كقطرة ماء في بحر لجى وعلى هذا فمن الممكن أن نعرف العقل فنقول : العقل نوعان -

---

١ - العقل وفهم القرآن [ ٢١٤ - ٢١٦ ] بتصرف / الحارث بن أسد المحاسبي ، تقديم د . حسين القوتلي ، دار الفكر ط ٣ / ١٤٠٢ هـ .

٢ - إحياء علوم الدين [ ١ : ١٤١ ] .

الأول : عقل الطبع والفطرة وهذا لعموم بين الإنسان وهو الذى قالوا عنه ذوى الإختصاص بالطب بأن مركزه المخ أو بينه وبين القلب ترابط ونوافق ذوى الاختصاص بالطب فيما قالوا عن مقره ان ثبت صحة الاستدلال لديهم عن مقره. ولم يسلبه الله من الكافرين فقال تعالى : " يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه " [البقره : آيه ٧٥] .

والثانى : نور الايمان في القلب وهذا مقصور على المؤمن يزداد برقية في درجات الإيمان ومسلوب عن الكافرين بدلالة قوله تعالى : "فتكون لهم قلوب يعقلون بها " [ الحج : آيه ٤٦ ] .

فالقلب كما اسلفنا من خصائصه التعقل وعمل من أعماله ، ولكن قبل نور الإيمان فهو مجرد معرفة قاصرة عن رسم منهج لحياة الإنسان تحقق الحياة التى يريدها الله او تصل الى الهدى . لهذا بعث الله الرسل وبدون الرسل لا يؤآخذ الناس كما قال تعالى : " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " [ الاسراء : آيه ١٥ ] ، وفي مثل قوله تعالى : " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل " [ النساء : آيه ١٦٥ ] .

فأول حياة القلب وبداية تيقظ العقل الإمتثال لما جاءت به الرسل قال تعالى : " ياايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون " [ الانفال : آيه ٢٤ ] .

فالرسالة من الله على لسان رسله توقظ العقل وتوجهه وتقيم له منهج النظر الصحيح وترفع عنه وعن الفطرة ركام الشهوات المضله .

# المبحث الخامس
# النظر الصحيح أول مراتب المعرفة

وأول يقظة القلب الرؤية الصحيحة بالنظر الموصل إلى المعرفة ، لهذا نجد اكثر السور المكية فيها التوجية للرؤية المنهجية فقد تكرر فيها كثيراً قوله تعالى : " أو لم يروا " في نطاق ما يشاهده الإنسان العادى قال تعالى : " أو لم يروا الى الأرض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم " [ الشعراء : آيه ٧ ] وقال تعالى " أو لم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا " [ النحل : آيه ٨٦ ] .

وغيرها من الآيات على هذا النسق التى تتحدث عن الطير مسخرات في جو السماء ، وعن النبات ، وعن الليل والنهار ، وعن بسط الرزق والمطر والأنعام .

وهذه الايات تدل على أن القلب قادر على التلقى وإدراك المدلولات فهذه وظيفته وفرصته في النور والهداية .

فالقلب بمصاحبة وحى الله وهداه بصير ، وبتكذيب وحى الله أعمى ، إذ فيه أجهزة استقبال ولكنها أجهزة قاصرة وإن كانت تهديه الى الأصل الأول أن له إلهاً ولكن لا تتعدى اكثر من ذلك ، والكمال الفطري كان مع أبى الانبياء ابراهيم عليه السلام إذ بنور الفطرة والنظر الصحيح في المشاهدة العادية للكون استدل على أن الخالق لا شريك ولا ند له .

قال تعالى : " وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدني ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون . إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين " [ الانعام : آيه ٧٥ - ٧٩ ] فقد استدل بمحض فطرته الى معرفه الله .

## العقل وسيلة من وسائل الإدراك :

والعقل السوى جزء من الفطرة السوية مثله مثل بقية وسائل الإدرك الأخر ، كالسمع والبصر ولولا ما اودع الله فيها من قابلية السمع لكانت وسيلة قاصرة وبدون الإيمان في القلب يكون تعقله وسيلة قاصرة محدودة في مسار الرقى الدنيوي بما اودع فيه من غزيزة التعقل .

أما إذا غمره الإيمان فسيظهر نور العقل ، وعلى سبيل المثال توضح مايعمله الإيمان في القلب قصة الصحابية : الخنساء بنت عمرو بن الشريد عندما قتل اخوها لابيها صخر اكثرت من الشعر في رثاه ، وملأت الدنيا بكاء وعويلاً ، وبعد ذلك أسلمت وجاء لها خبر أبنائها الأربعة في معركة القادسية إذ استشهدوا في المعركة . كان هذا أخاها وهؤلاء أولادها وكان اخوها واحد وهؤلاء اربعة . فماذا قالت ؟

قالت : ( الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجوا من ربى أن يجمعنى بهم في مستقر رحمته ) (١) .

فعندما عقل القلب استسلم واطمأن .

---

١ ـ الأصابة في تميز الصحابه [ ٨ : ٦٧ ] .

# المبحث السادس

## تـــــدرج رقــــى المعرفـــــة

فالمعرفة إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره ، وهو أخص من العلم ويضاده الإنكار ويقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله <١> وبين المبدأ والكمال يظهر تفاوت المعرفة .

فمن عرف الاسلام وأسلم لكن سيئاته رجحت على حسناته أى بمعنى أنه لم يلتزم بشرائع الله كاملة ولم يأخذ باسباب حياة القلوب فالنور في قلبه ضئيل ، ومادامت المعرفة فعل العقل ، والتعقل من أفعال القلوب المؤمنة فلدية معرفة محدودة لأنه عقل أن الإسلام ينجيه من الخلود في النار ، لكن نظراً لأن تعقله ومعرفته بالله على قدر إيمانه وإيمانه ضعيف لذا لم تكن له المعرفة الكاملة التى تمنعه عن معصية الله عز وجل .

وآخر عرف الاسلام وأسلم ولكن استوت حسناته وسيئاته أى خلط عملا سيئاً بعمل حسن واستويا عنده ذلك ، لأنه اطاع الله تعالى على قدر معرفته به تعالى ووقع في بعض المعاصى لان معرفته به تعالى لم ترتقى الى الدرجة التى توصله للتقوى المانعة له من الوقوع في المعاصى ومن ثم نقول عن أمثال هذا انه اطاع الله بقدر معرفته به وعصاه بقدر جهله به، فهؤلاء لم يدخل الإيمان قلوبهم بعد لأن الاستقرار في القلب تمكين ، وقد يشملهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

١ ـ المفردات [ ٣٣١ ] .

( **يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ..الحديث**) <٢> وفي روايه عبدالله بن عمر رضى الله عنهما ( **يامعشر من اسلم ولم يفض الإيمان الى قلبه**) فالمعرفة على قدر الايمان .

قال المحاسى : واعلم أن ما يصل العبد اليه من الفهم بقدر تقديم عقله وموجود علمه بتقواه لله وطاعته ، فمن وهب الله له العقل وأحياه بالعلم بعد الإيمان وبصره باليقين عيوب نفسه فقد نظمت له خصال البر ) <٢> .

فزيادة المعرفه بزيادة التدرج في سلم الإيمان . فمن أدى فرائض الله وترك ما حرم الله مقتصراً على ذلك لا يزيد عليه ولا ينقص منه ، فهذا هو المؤمن الذى عقل عن الله ما جاء به وهو من المفلحين ، فهم عن الله وعده بتكفير السيئات اذا أدى فرائضه واجتنب ما نهى الله عنه كما قال تعالى : " إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريما " [النساء : آيه ٣١]وعقل عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الصلوات الخمس ورمضان الى رمضان والجمعة الى الجمعة مكفرات لما بينهن ما لم يغش كبيره

## أعمال الخير دليل على ترقى الفهم

تظهر زيادة التعقل بزيادة القصد لأعمال الخير فمن فتح الله له باباً من ابواب الخير ولكنه اقتصره على نفسه كالصلاة والحج والعمرة والصيام وقراءة القرآن ونحوها ، مضافة الى اداء الفرائض واجتناب النواهي ، فقد أفلح وترقى

---

١ ـ سنن أبي داود رقم ( ٤٨٨٠ ) في الآدب باب الغيبه ، ونصه عن أبي برزه الأسلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( يامعشر بن آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لاتغتابو المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم فأنه من إتبع عوراتهم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته ، وهو حديث صحيح ، ورواه أحمد في مسنده [ ٤ : ٤٢١ ] ورواية عبدالله بن عمر في جامع الأصول [ ٦ : ٦٥٣ ].

٢ ـ رسالة المسترشدين [ ٩٣ ـ ٩٤ ] الحارث بن أسد المحاسبي ، تحقيق عبدالفتاح أبو غده ، ط ٢ ، مكتب المطبوعات الإسلاميه بحلب .

فهمه ، فإن صاحبه خشوع وهو اول مراتب تنوير القلب ، لابد أن يصاحب ذلك تنوير العقل ورقيه ، فزيادة الحب من الله للعبد بزيادة التقرب اليه بالنوافل بعد الفرائض ، كما في الحديث الصحيح ( **عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن الله قال : من عادى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب الى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه** ) ‹١›

فمن فتح الله عليه أبواب الخير فآثر الصدقه والاحسان وسار في قضاء حوائج الناس والصلح بينهم ، ودفع الاضرار عنهم فهو لم يؤثر الخير لنفسه بل تعداه للآخرين فهذا عقل أموراً منها على سبيل المثال

عقل معنى القرض بينه وبين الله في قوله تعالى : " من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم " [ الحديد : آيه ١١ ] كما عقل معنى أن يكون حسناً فأخرجه بطيب نفس طلباً لمرضات الله من طيب ماله بدون من ، ولاأذى كما أنه استحضر في ذهنه الحبة التى دفنت في الأرض فأنبتت سبع سنابل كما قال تعالى : " مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ، كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائه حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم " [ البقره : آيه ٢٦١ ] .

فقد نظر بقلبه كما تنظر العين الى هذه السنابل ، فجمع بين المشاهد بالعيان والمشاهد بالإيمان بما جاء به القرآن ، فتسخو نفسه وبالسخاء تصفوء ، ومنها أنه فقه عن الله تعالى أن قول المعروف أفضل من الصدقة التى يتبعها أذى كما قال تعالى : " قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والله غنى حليم " [ البقره : آيه ٢٦٣ ]

---

١ ـ فتح الباري [ ١١ : ٣٤١ ] كتاب الرقاق ، باب التواضع ، حديث رقم ( ٦٥٠٢ ) .

وفهم أن هناك في الآية حسنتين مستلزمه لبعضها ، فحسن الخلق والعفو مترابطان ، ولا يعرف الأول الا بالثاني والآخر يدل على الأول ولا يصل الى هذا الابالتفكر . وكلما ازداد تدرجاً في حياة القلب ومراتبه استنبط معاني أدق ، وفهم مراد الله من كلامه . والأمثلة على هذا كثيرة إقتصرنا على بعض منها .

فإذا أرتقى العبد في إيمانه ورجح الهدى على الهوى والآخرة على الأولي ، وعقد مع الله عقداً أن يبيع نفسه وماله لله مقابل عوض وهو الجنة ، وفهم مراد الله من قوله " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراه والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم " [ التوبه : آيه ١١١ ] فهذا أرجح عقلاً وأبين معرفة ممن قبله .

قال الإمام الرازى : ( هذا البدن يجرى مجرى الآلة والأدوات والمركب ، وكذلك المال خلق وسيلة إلى رعاية مصالح هذا المركب فالحق سبحانه اشترى من الإنسان هذا المركب وهذا المال بالجنة لأن الإنسان مادام يبقى متعلق القلب بمصالح عالم الجسم المتغير المتبدل وهو البدن والمال ، إمتنع وصوله الى السعادات العالية والدرجات الشريفة فاذا انقطع التفاته اليها وبلغ ذلك الإنقطاع إلى أن عرض البدن للقتل ، والمال للانفاق في طلب رضوان الله ، فقد بلغ الى حيث رجح الهدى على الهوى ، والمولى على الدنيا ، والآخرة على الأولى فعند هذا يكون من السعداء الأبرار والأفاضل الأخيار ) (١) .

وهذه المكانه يبلغها من اتصف ببعض صفات كلها تدل على كمال التعقل ، فقال تعالى عنهم في الآية التى تلى السابقة " التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين " [ التوبة : آيه ١١٢ ] .

---

١ ـ التفسير الكبير [ ١٦ : ٢٠٠ ] .

## المبحث السابع
## رعاية احوال القلب أهم من رعاية غيره

وهذه الأمور التسعة وإن كانت أعمال الجوارح إلا أن المقصود منها ظهور احوال القلوب لأن رعاية أحوال القلب أهم من رعاية احوال الظاهر فإذا استنار القلب بالتوبة والعبادة وكثرة الركوع والسجود ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وحافظ على حدود الله فهذا دليل على زيادة إيمانه وتيقظ قلبه مع الله تعالى فتزداد معرفته بزيادة قربه .

قال الحسن البصرى رحمه الله : مر أعرابى على النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو يقرأ هذه الآية ( إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ) فقال : كلام من هذا ؟ قال : كلام الله ، قال : بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله . فخرج الى الغزو وأستشهد . <١>

فهذا الإعرابى ارتقى إيمانه بمجرد سماعه كلام الحق من حبيب الخلق ، فأقسم على ربح هذا البيع حين لصقت هذه الكلمات بقلبه وجذبته اليها فأشرق في قلبه نور الايمان ، وارتقى تعقله فلم يضن بنفسه في سبيل الله تعالى ، لمعرفته بما بعدها وما يترتب عليها معرفة يقين .

ثم هناك فئة اخرى أعلى في المعرفة مما قبلها استحقت ظل الله تعالى يوم لا ظل الا ظله ازداد فيها نور الايمان في القلب فعقلت عن الله بيانه فكان للقلب دور في السيطرة على الاعضاء فأنقادت طائعة ملبية لأمر الله فيه .

ففي الحديث الصحيح عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : **( سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الامام العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق في المساجد ،ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته إمرأة ذات منصب وجمال فقال إنى اخاف الله ، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمنيه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه )** <٢>

---

١ - تفسير القرطبي [ ٨ : ٢٦٨ ] .

٢ - صحيح البخارى : كتاب الأذان باب (٣٦) انظر فتح الباري [ ٢ : ١٤٣ ] .

وقال ابن حجر ان العدد المذكور لا مفهوم له ، فقد وردت احاديث صحيحة أخر فيمن يظلهم الله تحت ظله عرشه غير هولاء السبعة .

والعادل هو الذى يتبع أمر الله بوضع كل شىء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط ‹١› والعدل من صفات النبوه قال تعالى : " وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم " [ الشورى : آيه ١٥ ] .

وكمال العقل والمعرفة لدى الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، فمن أتصف ببعض ما وصفهم الله دل على علو ايمانه ويقظة قلبه وفطنته .

والشباب مظنة غلبة الشهوة فملازمة العبادة منه مع غلبة الشهوة يدل على غلبة التقوى ، والتقوى من المراتب العليا في حياة القلوب ، وملازمة المساجد وتعلق القلب بها دليل على حبها .

وكذلك الحب في الله والخوف من الله ، والصدقة الخفيه يريد بها القرب من الله .

---

١ ـ فتح الباري [ ٢ : ١٤٥ ] .

# المبحث الثامن

## مكانـــــــة الخشيـــــــة

والخشية معرفة . ولا تدمع العين اثر ذكر الله الا من قلب عامر بالإيمان .

قال ابن حجر ( ففى حال اوصاف الجلال يكون البكاء من خشية الله وفي حال اوصاف الجمال يكون البكاء من الشوق اليه ) <١> .

ولا يبلغ هذه المرتبة الا بالمعرفة الصادقة ، والعلم النافع والصلاح التام ، الذي يرضاه الله ورسوله . ومن الممكن ان نطلق على اهل هذه الفئه الصالحين (وهم الذين لا يدخل في علمهم بالله تعالى ولا إيمانهم به وبما جاء من عنده سبحانه خلل ) <٢> .

وذلك تمشياً مع قول الحق تبارك وتعالى : " ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً " [ النساء : آيه ٦٩ ] .

والمراد بالشهداء في الآية أعم من أن يكون شهيد معركة بين الكفار والمسلمين

ففي الحديث الصحيح ( **الشهداء خمسة : المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله** ) <٣> .

---

١ ـ فتح الباري [ ٢ : ١٤٧ ] .

٢ ـ روح المعاني [ ٥ : ٧٧ ] .

٣ ـ صحيح الإمام البخارى : كتاب الجهاد باب الشهادة سبع سوى القتل انظر فتح الباري [ ٦ : ٤٢ ] .

وأنواع الشهداء عدهم بن حجر كمايلي [ المطعون ، المبطون ، الغريق ، صاحب الهدم ، المقتول في سبيل الله ، الحريق ، صاحب ذات الجنب ، المرأة تموت بجمع ، السل ، من قتل دون ماله ، من قتل دون دينه ، دون دمه ، دون أهله ، دون مظلمته ، من وقصه فرسه أو بعيره ، لدغته هامه أو مات على فراشه على أي حتف شاءالله تعالى ، موت الغريب ، المرابط في سبيل الله والذي يفترسه السبع ] .

وقال ابن حجر في ثانياً شرح الحديث ( وقد اجتمع لنا من الطرق الجيدة اكثر من عشرين خصله ) أى انواع الشهداء عشرون ، بالطرق الجيدة صحيحة أو حسنة والمهم أن هذه المرتبه في المعرفة تشمل العلماء العاملين ، أن الله لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الإزدياد من شيء الا من العلم فقال تعالى : " فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علماً " [ طه : آيه ١١٤ ] . أى زدني منك علماً . <١>

والعلماء متفاوتون في العلم فرب مبلغ أوعى من سامع . كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - **(فإن الشاهد عسى ان يبلغ من هو أوعى له منه)**<٢>

فقد يأتى في الآخرين من يكون أفهم ممن تقدموه ، وكلهم خير ، فالعلماء ورثة الانبياء والعلماء ربانيون ، كما قال ابن عباس - رضى الله عنهما - ( كونوا ربانيين حلماء فقهاء . ويقال : الرباني : الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره ) كما قال الامام البخاري في تفسيره لهذا القول . <٣>

## زيادة الفهم بزيادة الإيمان :

لا يؤتى العلم الا من قبيل الفهم ، والفهم : فطنه يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترن به من قول او فعل ، ففى حديث أبى سعيد الخذري - رضى الله عنه - ( **ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جلس على المنبر فقال : إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده ، فأختار ما عنده، فبكى ابو بكر وقال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا . فعجبنا له . وقال الناس : انظروا الى هذا الشيخ يخبررسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن عبد خيره الله**

---

١ ـ تفسير ابن كثير [ ٣ : ١٦٧ ] .

٢ ـ صحيح الإمام البخارى : كتاب العلم باب ( ٩ ) انظر فتح الباري [ ١ : ١٥٨ ] .

٣ ـ فتح الباري [ ١ : ١٦٠ ] كتاب العلم باب ( ١٠ ) .

**بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده وهو يقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المخير وكان ابو بكر هو اعلمنا به )** (١)

فأبو بكر الصديق رضى الله عنه بزيادة ايمانه فهم خطاب المصطفى اكثر من فهم غيره من الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين ، وهذه مرتبه الصديقية أعلى من مرتبه الشهداء والصالحين ، فقد قرنهم الله في كتابه بالانبياء في قوله تعالى : " ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبين والصديقين" [ النساء : آيه ٦٩ ] .

فهولاء راسخون في العلم هم خلفاء رسول الله وخاصته ذوى الإيمان التام الذى يستلزم العلم والعمل والدعوة الى الله بالتعليم والصبر عليه .

قال ابن القيم رحمه الله ( وهم كانوا السبب في وصول الإسلام الينا ، وفي تعليم كل خير وهدى وسبب تنال به السعادة والنجاة ، وهم أعدل الأمة فيما ولوه وأعظمها جهاداً في سبيل الله . والأمة في آثار علمهم وعدلهم وجهادهم الى يوم القيامة ، فلا ينال أحد مسأله علم نافع الا على أيديهم ومن طريقهم ينالها ، ولا يسكن بقعه من الأرض آمنا الا بسبب جهادهم وفتوحهم ، ولايحكم إمام ولاحاكم بعدل وهدى الا كانوا هم السبب في وصوله اليه ، فهم الذين فتحوا البلاد بالسيف ، والقلوب بالايمان وعمروا البلاد بالعدل ، والقلوب بالعلم والهدى ، فلهم من الأجر بقدر أجور الأمة الى يوم القيامة مضافاً الى أجر اعمالهم التى اختصوا بها )(٢) .

---

١ ـ صحيح البخارى : كتاب مناقب الأنصار باب ( ٤٥ ) وانظر فتح الباري [ ٧ : ٢٢٧ ] ، سنن الترمذي [ ٥ : ٦٠٦ ] كتاب المناقب باب ( ١٥ ) .

٢ ـ طريق الهجرين [ ٣٦٢ ] شمس الدين محمد بن قيم الجوزيه ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ .

## مراتب الانبياء في المعرفة :

ثم يرتقى العلم والمعرفة بالطاعة الكاملة التامة فيبلغ مداه ومنتهاه عند سادات البشر ، عند انبياء الله فيشتركون مع غيرهم في العلم النظرى والعملى والتفكر والتدبر ، ويتميزون بعلم من لدن الله بواسطة الوحى ، وهم ثلاث مراتب في المعرفة :

الأول : نبوة دون الرسالة ، فأشتركوا مع الرسل في الوحى ونزول الملائكة عليهم .

الثاني : رسل الله على مراتبهم من تفضليهم بعضهم لبعض .

الثالث : اولوا العزم من الرسل : وهم الطبقة العليا من الخلائق .

فهولاء المصطفون اختصهم الله بوحيه ، وجعلهم امناء على رسالته وخصهم بانواع كراماته فمنهم خليل الله ومنهم كليم الله ، ومنهم من رفعه الله مكاناً عليا ، خصهم الله بكمال العلم ، فخير الدنيا والآخرة إنما ناله العباد على ايديهم ، وبهم عرف المؤمنون ربهم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وبهم عبد واطيع ، اعطاهم كمال النور في قلوبهم وكمال النور يقتضى كمال الايمان ، وكمال الايمان يقتضى كمال العقل ، وكمال العقل ينبىء عن كمال العلم والمعرفة قال تعالى تعالى : " ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور " [ النور : آيه ٤٠ ] .

## خصوصيات المعرفة :

الفهم والمعرفة تزيد بزيادة نور الايمان في القلب ، وقد يكون في الطبقة الواحدة من هو أعلم من غيره ، ولايدل ذلك على زيادة ايمانه عنهم ، بل لخصوصية اختصه الله بها أو اختصه بها ، رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كابن عباس ـ رضى الله عنه ـ دعا له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يـزيـده فهماً وعلماً

كما في الحديث الصحيح ( عن ابن عباس قال : ضمني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال :( **اللهم علمه الكتاب** )<١> وفي رواية(اللهم علمه الحكمة) <٢> .

وقال ابن حجر في شرحه للحديث ( والمراد بالتعليم ما هو أعم من حفظه والتفهم فيه ) .

( وكذلك الحكمة : اختلف الشراح في المراد بها هنا ، فقيل القرآن ، وقيل العمل به وقيل السنة ، وقيل الإصابة في القول ، وقيل الخشية ، وقيل الفهم عن الله، وقيل العقل وقيل ما يشهد العقل بصحته ، وقيل نور يفرق بينه وبين الإلهام والوسواس وقيل سرعة الجواب مع الإصابه ) <٣>

وقال ابن كثير ، هي : الفهم والعلم والتعبير . <٤>

وكل المعاني الواردة تدل على زيادة في الفهم والادراك

وقد كان علقمه يقول لأصحابه امشوا بنا نزداد إيماناً : يعنى تفقها .<٥>

وفي الحديث ( **القلوب أوعيه وبعضها أوعى من بعض** ) <١>

فإذا امتلأ القلب إيماناً امتلأ معرفة وعلماً ، وقد يحتمل قلب عبد من المعرفة اكثر مما يحتمله قلب عبد آخر وكل ذلك فضل من الله تعالى .

---

١ ـ صحيح البخارى كتاب العلم ، باب ( ١٧ ) ، فتح الباري [ ١ : ١٦٩ ].

٢ ـ صحيح البخارى كتاب فضائل لصحابه ، باب ( ٢٤ ) ، فتح البارى [ ٧ : ١٠٠ ] .

٣ ـ فتح الباري [ ١ : ١٧٠ ] ، [ ٧ : ١٠٠ ] .

٤ ـ تفسير ابن كثير [ ٣ : ٤٤٤ ] .

٥ ـ الفقيه والمتفقه [ ٣٦ ] أحمد بن علي ثابت الخطيب البغدادي ، دار الكتب بيروت ، ط ٢ / ١٤٠٠ هـ .

٦ ـ مسند الإمام أحمد [ ٢ : ١٧٧ ] وقال ابن الأثير إسناده حسن ـ جامع الأصول [ ٤ : ١٥٣ ] وبه قال المنذرى في الترغيب [ ٢ : ٤٩٢ ] . .

## شرط كمال المعرفة :

والكمال في أن يقترن العلم بالعمل والتعليم ، وقد اجتمعت هذه الخصال في الصفوة الخيره من السلف الصالح ، كلما ازداد الفرد منهم علماً ازداد عمله وبث علمه لخلق الله تعليماً وسلوكاً ، فنشأت أمة لا تخشى في الله لومة لائم ، وبقدر نقص إحدى هذه الثلاث الخصال تنقص الأخرى وتقل المعرفة من القلب .

( فالانسان له قوتان : قوة علمية نظرية ، وقوة عملية إرادية ، وسعادته التامة موقوفة على استكمال قوتيه العلمية والارادية ، واستكمال القوة العلمية إنما يكون بمعرفة فاطره وبارئه ، ومعرفة أسمائه وصفاته ومعرفة الطريق التى توصل اليه ، ومعرفة آفاتها ، ومعرفة نفسه ومعرفة عيوبها ، فبهذه المعارف الخمس يحصل كمال قوته العلمية ، وأعلم الناس أعرفهم بها ، وأفقههم فيها ، واستكمال القوة العملية الإرادية لا تحصل الا بمراعاة حقوقة - سبحانة - على العبد والقيام بها إخلاصاً وصدقاً ونصحاً واحساناً ومتابعة وشهوداً لمنته عليه ، وتقصيره هو في اداء حقه ، فهو مستحى من مواجهته بتلك الخدمة لعلمه أنها دون ما يستحقه عليه ، ودون دون ذلك ، وأنه لا سبيل له إلى إستكمال هاتين القوتين إلا بمعونته فهو مضطر إلى أن يهدية الصراط المستقيم ، الذى هدى اليه اولياءه وخاصته ، وأن يجنبه الخروج عن ذلك الصراط إما بفساد قوته العلمية فيقع في الضلال ، واما في قوته العملية فيوجب له الغضب ) <١>

وهذه المعرف الخمس لا تحصل الا بزيادة رقى القلب في مراتبه ويقدر زيادة الإيمان تحصل المعرفة .

قال الجنيد <٢> : الرضا على قدر قوة العلم والرسوخ في المعرفة <٣>

---

١ - الفوائد [ ١٨ - ١٩ ] شمس الدين محمد ابن أبي بكر ابن قيم جوزيه ، مكتبة النهضه العلميه ، مكه .

٢ - الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز ، صوفي ، توفى ٢٩٧ هـ ، الأعلام ١٤١/٢ .

٣ - روح المعاني [ ٣٠ : ٢٠٦ ] .

## الخشية طريق جامع للمعرفة :

فالعلم إن كان بتدبر وانتفاع وتصديق وطاعة فهو في دائرة المعرفة والفهم ، فلا بد أن يؤدى إلى تعظيم الله والخوف منه وهذه هى الخشية <١> التى اودعها الله في صدور العلماء قال تعالى : " انما يخشى الله من عباده العلماء " [ فاطر : آيه ٢٨ ] ( أى انما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم )

أما مرضى القلوب أو موتاها فتجد الفرد عالم متمكن مما يقول ومعرفته قاصرة على الإستمتاع الدنيوى ، أو البحث عن مطاعن ماتعلم فيهوى في درك موت القلوب .

ونستطيع أن نقول : أن الأمر الجامع للمعرفة بالله والمعرفة بحق عبوديته ، والطريق الأمثل لرقي القلب في دائرة الايمان هو الخشية ولا تكون الخشية الابالعلم تزداد بزيادته وتنعدم بانعدامه ، ومدارنا على العلم الذى يؤدى الى العمل والتسليم والتعليم ، فاجتماع هذه الثلاث بداية يقظة القلب من نوم الغفلة ، وأول النور الذى يشرق فيه بعد نور الشهادتين وهذا دأب السلف الصالح .

---

١ ـ تعريف الخشية : خوف يشو به تعظيم ـ للاطلاع يراجع : المفردات [ ١٤٩ ] ، بصائر ذوي التميز [ ٢ : ٥٤٤ ] .

## أقسام المعرفة :

والمعرفة إما مباشرة للقلب : كالرؤى والإلهام ، أو غير مباشرة له .

فالمعرفة غير المباشرة تكون بوسائل الإحساس الخمس : السمع والبصر والذوق والشم واللمس ، وهذه حواس للإنسان التى بها يشعر . وهي حواس مباشرة للإنسان فالحاسة : إسم لما يقع به إدراك مخصوص وهو أول العلم . ‹١›

والإحساس :العلم بالحواس ، ويقال احسست بالشيء إذا علمته وعرفته . ‹٢›

ومنه قوله تعالى : " فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله " [ آل عمران : ٥٢ ] .

أى استشعر منهم التصميم على الكفر . ‹٣›

وتأتى بمعنى اليقين كما في قوله تعالى: " فلما أحسوا بأسنا إذاهم منها يركضون " [ الانبياء : آيه ١٢ ] أى تيقنوا أن العذاب واقع بهم لا محالة كما وعدهم نبيهم ‹٤›

أما القلب فليس من الحواسّ المباشرة للإنسان .

---

١ ـ الفروق اللغويه : [ ٧١ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ٦ : ٤٩ ] .

٣ ـ مختصر تفسير بن كثير [ ١ : ٢٨٥ ] .

٤ ـ تفسير ابن كثير [ ٣ : ١٧٤ ] .

# المبحث التاسع
## مكانه السمع وتعريفه

واهم الحواس السمع ، يتلوه البصر ثم ماعداهما لتقديم الله إياه في كتابه والتقديم دليل التفضيل . وأيضاً اكثر المعارف مدارها على السمع بل بعضها مستغن عن البصر تماماً وايضاً لارتباطه بالنطق فاذا تعطل السمع بطل النطق .

والسمع لا يجدى من لا تعقل له كما في قوله تعالى : " ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون " [ يونس : آيه ٤٢ ] .

( أى يسمعون كلامك الحسن والقرآن العظيم والأحاديث الصحيحة الفصيحة النافعة في القلوب والأديان والأبدان وفي هذا كفاية عظيمة . ولكن ليس ذلك اليك ولاإليهم ، فإنك لا تقدر على إسماع الأصم وهو الأطرش فكذلك لا تقدر على هداية هولاء إلا أن يشاء الله ) ‹١› .

فالسمع : إدرك المسموع والسمع اسم الآله التى يسمع بها ، فالذى يريده الله هو الادراك المؤدى الى معرفته والامتثال له ، والادرك لا يكون الا بالاصغاء .

والاصغاء : طلب ادراك المسموع بأماله السمع اليه . ‹٢›

فاذا امال السمع الى كلام الحق برغبة المعرفة المؤدية اليه كان الصغو محموداً ومطلوباً ، ونهاية السمع الحفظ .

والحفظ : هو العلم بالمسموعات دون غيره من المعلومات . ‹٣›

فلا يقال للعلم بالمشاهدات حفظ فلا يقال حفظت أن زيداً في البيت ، وانما يقال حفظت قولك : أى فهمته ، فيستعمل الحفظ في الكلام فقط أى في المسموعات . وايضاً الحفظ نقيض النسيان ، وهو أى الحفظ : التعاهد وقلة الغفلة . ‹٤›

أو هو : العلم بالشيء حالاً بعد حال من غير ان يتخلله جهل أو نسيان . ‹٥›

ولهذا سمى حفاظ القرآن حفاظا لأنهم رزقوا حفظ ما سمعوا وقلما ينسون شيئاً يعونه .

---

١ ـ تفسير ابن كثير [ ٢ : ٤١٨ ] .

٢ ـ سبق تعريف الأصغاء في ( صغو القلب ) .

٣ ـ الفروق اللغويه [ ٧٤ ]

٤ ـ لسان العرب [ ٧ : ٤٤١ ] .

٥ ـ الفروق اللغويه [ ٧٤ ] .

## المبحث العاشر

## النظـــــر واقسامـــــه

أما البصر : فهو أداة الرؤية ، والرؤية : ادراك المرئي بالبصر ، ولايجدى النظر اذا أنعدم البصر .

( والنظر : طلب معرفة الشيء من جهته ومن جهة غيره ) .

وحد النظر : طلب ادراك الشيء من جهة البصر أو الفكر ، ويحتاج في ادراك المعنى الى الأمرين جميعا ، كالتأمل للخط الدقيق بالبصر أولاً ثم بالفكر ، لأن ادراك الخط الدقيق التى بها يقرأ طريق الى ادراك المعنى وكذلك طريق الدلالة المؤدية الى العلم بالمعنى .

وأصل النظر المقابلة ، فالنظر بالبصر الإقبال به نحو المبصر ـ والنظر بالقلب الاقبال بالفكر نحو المفكر فيه ويكون النظر باللمس ليدرى اللين من الخشونه ) ‹١› .

فهنا النظر اما ان يكون مجرد تقليب العين طلباً للرؤية ، فهذا لايعنى في المعرفة شيء .

وقد يكون طلباً للهدى وهذا بحده نوعان :

الأول أن يكون بديهه :

( والبديهة : أول النظر ، يقال عرفته على البديهة أى في أول احوال النظر ، وله في الكلام بديهه حسنة ان كان يرتجله من غير فكر فيه ) ‹٢›

---

١ ـ الفروق اللغويه [ ٥٧ ـ ٥٨ ] .

٢ ـ الفروق اللغويه [ ٥٨ ] .

فبديهه القول ما يكون من غير فكر .

والنوع الثاني : ما كان بتفكر ، والفكر ما عدا البديهه . وهو تصرف القلب بالنظر في الدلائل ، والفكر جنس من النظر الذى هو سبب العلم . <١>

ويشمل التأمل والروية فالتميز والشهادة .

## تعريف التأمل ومراتبه :

فالتأمل : هو النظر المؤمل به معرفة ما يطلب ، ولايكون الا في طول مدة فكل تأمل نظر وليس كل نظر تأمل . <٢>

والتأمل التثبت ، وتأملت الشيء اذا نظرت اليه مستثبتاً له ، وتأمل الرجل : تثبت في الأمر والنظر . <٣>

والروية : آخر النظر ولهذا يقال للرجل اذا وصف بسرعة الاصابة في الرأى بديهته كروية غيره ، أو هى اشباع الرأى والإستقصاء في تأمله . <٤>

والروية في الأمر : ان تنظر ولا تعجل . <٥>

فالروية نظر وتفكر في الأمر فنقول للطالب تأمل في الأسئلة وتروى في الاجابة لتميز الرأى الصحيح من غيره .

والتميز : هو استعمال العقل بالنظر والفكر اللذين يؤديان الى تميز المعلومات .

---

١ ـ الفروق [ ٥٨ ] .

٢ ـ الفروق [ ٥٨ ] .

٣ ـ لسان العرب [ ١١ : ٢٧ ] .

٤ ـ الفروق اللغويه [ ٧٥ ] .

٥ ـ لسان العرب [ ١٤ : ٣٥٠ ] .

والتميز : قوة في الدماغ يستنبط بها المعاني . <١>

فاذا ميز شهد بوجود الشيء من قبيل ذاته .

فالشهادة أخص من العلم وذلك انها علم بوجود الأشياء لا من قبيل غيرها ولهذا يسمى ما يدرك بالحواس وما علم بالضرورة شاهد .

فالشهادة علم يتناول الموجود ، والعلم يتناول الموجود والمعدوم . <٢>

والمشاهد للشيء هو المدرك له رؤية .

وقال بعضهم : أو سمعاً ، وفي الرؤية اشهر . <٣>

وبقية الحواس من الشم واللمس والذوق تدخل في معنى النظر فاذا لمس الشيء ليدرى نعومته من خشونته فهو بمعنى لينظر وصفه ومثله لو شم أو ذاق مطعوماً .

## أهمية الحواس المباشرة للانسان بالنسبة للقلب :

فوسائل الاحساس المباشر للإنسان لابد ان تنتقل الى الحاسة غير المباشرة وهي حاسة القلب ليتم التعقل في ادراك الشيء المدل على صانعه جلت عظمته ، وقد فصل تعالى هذا المعنى في قوله : " ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون " [ الاعراف : آيه ١٧٩ ] .

فما تسمعه الآذان وتراه الابصار لا يجدى اذا لم يكن بتأمل وتفكر لآيات الله في خلقه ، وآياته المنزلة على رسله ، ومن أخبار التاريخ الداله على سننه تعالى في خلقه . فالآذان قد خلقت للانسان ليستفيد من كل مايسمع لامن القران فقط .

---

١ ـ المصباح المنير [ ٥٨٧ ] .

٢ ـ الفروق [ ٥٨ ] .

٣ ـ الفروق اللغوية [ ٧٦ ] .

كما ان الابصار خلقت له ليستفيد من كل ما يبصر وانما يكون ذلك بتوجيه ارادته الى استعمال كل منها فيما خلق له قال تعالى : " او لم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات افلا يسمعون ، أو لم يروا انا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون " [السجده : آيه ٢٦ ـ ٢٧ ] .

فقد ضرب الله فيها مثلين للآيات البصرية والسمعية وامثالهما كثير فلابد ان ترتبط الآت العلم والعرفان بمواهب القلوب لتتم المعرفة الدالة الى طريق الهدى والايمان ، فكثير من الخلق تجد نظره في منتهى الكمال وسمعه صحيح ويصل بأختراعاته الى ما يريد من ملاذ الدنيا قاصراً حواسه الظاهره والباطنه على ذلك ، فلا يستدل بما يبصر أو يسمع على وجود خالق ، وحتى ان استدل فلا يطيعه فيما أمر ، قال تعالى بعد ذكر هلاك عاد : " ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بايات الله " [ الاحقاف : آيه ٢٦ ] .

قال الامام الرازى ( والمعنى انا فتحنا عليهم ابواب النعم واعطيناهم سمعاً فما استعملوه في سماع الدلائل ، واعطيناهم أبصاراً فما استعملوها في تأمل العبر واعطيناهم افئدة فما استعملوها في معرفة الله تعالى ، بل صرفوا كل هذه القوى الى طلب الدنيا ولذاتها ، فلا جرم ما اغنى سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من عذاب الله شيئاً ) (١) فالذى يبحث في منافع الأشياء لأجل الانتفاع بها في هذه الحياة الدنيا من غير ملاحظة كونها آيات دالة على ان لها رباً خالقاً مدبرا عليما حكيماً يجب ان يعبد وحده فقد بعد عن منتهى كل غاية من الحياة ، واصبح علمه ناقصاً وكان الانتفاع به مشوباً بضرر عظيم فان الأمور بمقاصدها ، ( إنما الاعمال بالنيات ) والنيه عمل القلب ، وبهذا يصدق على العلماء الذين استعملوا عقولهم وأبصارهم وأسماعهم في استنباط حقائق العلوم ونفعها المادى العاجل ما يصدق على الذين اهملوا استعمالها انهم كالانعام .

---

١ ـ التفسير الكبير [ ٢٨ : ٢٩ ] .

## التقليد من اسباب نقص المعرفة :

وهنا نقطة نلاحظها انه بقدر تقليد أخذ العلوم عن مكتشفها في الانتفاع الدنيوى يكون نقص في المعرفة فعندما يمعن سليم النظر والسمع والفوآد في آيات الله في الأنفس والأفاق فيرى آيات الله في الانسان والجماد والنبات والحيوان والهواء والماء والبخار وسنن الضوء والكهرباء والهيئة الفلكية وغيرها يزداد إيماناً ويعمر قلبه النور الذى يهدية بخلاف لو اخذها تقليداً عن مكتشفها القاصر فتكون عادة لديه تدل بديهة على خالقه وهذا في فطرته فلا يرتقي في مراتب الإيمان بل ربما يحاربها ويتجه الى الشكليات المتعلقة بالحياة الدنيا وملذاتها ، فينصرف عن الجوهر المؤدى الى الايمان بالله والدار الآخره .

فالمهم ان عموم المعارف لابد ان تودى الى اعلى انواع المعرفة ، وهى معرفة الحق تبارك وتعالى ولا يكون ذلك الا عن طريق القلب العاقل الذى يشعر ثم يتدبر بما اكرم من بصيره .

## الشعور :

( والشعور علم يوصل اليه من وجه دقيق كدفة الشعر ، ولهذا قيل للشاعر شاعراً لفطنته لدقيق المعاني .

وقال بعضهم الذم للإنسان بأنه لا يشعر أشد مبالغة من ذمه بأنه لا يعلم لانه اذا قال لا يشعر فكانه اخرجه الى معنى الحمار ، وكانه قال لا يعلم من وجه واضح ولا خفى وهو كقولك لا يحس .

وهذا قول من يقول إن الشعور هو ان يدرك بالمشاعر وهى الحواس) ‹١› .

والتدبر : تصرف القلب بالنظر في العواقب . ‹٢›

---

١ ـ الفروق [٦٤] .

٢ ـ الفروق اللغويه [ ٥٨ ] .

والبصيرة تكامل العلم والمعرفه بالشيء . <1>

والخلاصة أن عموم الحواس الخارجية لابد ان تربط بالقلب فان كان القلب فيه نور الايمان كان تعقله فيما يرضى الله وينفع الاسلام والمسلمين ، والا كانت معرفته قاصرة على ملذات الدنيا . فلا عبرة بالمعرفة في هذا الحال كما ذكر الله ذلك في كتابه الكريم في آيات كثيرة ذكرت في ثنايا البحث .

---

١ ـ الفروق اللغويه [ ٦٤ ] .

# الفصل الثاني

# المعارف المباشرة للقلب

المبحث الأول : الرؤيا .

المبحث الثاني : الخاطر والإلهام والتحديث والفراسة .

المبحث الثالث : نزول كلام الله على انبيائه .

# المبحث الأول

## الرؤيـــــــــــا

وهناك معرفة مباشرة للقلب لادخل للجوارح فيها فالقلب الحى له معرفة يهبها الله له تزيده إيماناً وترفعه مكانة اعلى ، والقلب المريض له معرفة قد تكون من الله فتوقظه من سنة الغفوة وتعيد اليه حياته ، وقد تكون من الشيطان تزيده ضلالاً ومرضاً ، والقلب الميت له معرفة من الشيطان تزيد غوايته التى هى من الله وتكون مباشرة بالقلب .

واولى المعارف : الرؤيا .

والرؤيا : ما يراه الشخص في منامه وهى من الله تعالى .

والرؤيه : بالهاء إدراك المرء بحاسة البصر . <١>

( والرؤيا : إدراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على يدى ملك أو شيطان إما بأسمائها أى حقيقتها ، وإما بكناها أى بعباراتها ، وإما تخليط ) <٢> .

( والبعض من العلماء يرى أنها اعتقادات وليست إدراكات ، لأن الانسان قد يـرى نفسه في الرؤيا أو الحلم بهيمة أو طائر ، والاعتقاد قد يكون على خلاف المعتقد ) .<٣>

---

١ ـ المفردات [ ٢٠٩ ] ، لسان العرب [ ١٤ : ٢٩٧ ] .

٢ ـ فتح الباري [ ١٢ : ٣٥٢ ] .

٣ ـ فتح الباري [ ١٢ : ٣٥٣ ] .

كما اختلف في حقيقة الرؤيا الى اقوال كثيرة لانها امور لا تدرك بالعقل ولايقوم عليها برهان فمن ينتمى الى الطب مثلاً يرى انها اخلاط : أى زيادة خلط في جسم الإنسان يسبب له هذه الرؤيا ، ومن ينتمى الى الفلسفة يقول : ان صور ما يجرى في الأرض هى في العالم العلوى كالنقوش ، فما حاذى بعض النقوش منها انتقش فيها .

قال ابن حجر : ( والصحيح ما عليه اهل السنة ان الله يخلق في القلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان فاذا خلقها فكأنه جعلها علماً على أمور أخرى يخلقها في ثانى الحال ومهما وقع على خلاف المعتقد فهو كما يقع لليقظان ) ‹١› .

## انواع ما يراه النائم

واحاديث المنام نوعان : رؤيا واحلام ، ففي الحديث الصحيح عن ابى قتاده قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ( **الرؤيا من الله والحلم من الشيطان** ) ‹٢› .

وقد سمى الله تعالى هذين النوعين أحاديث ، كما في قوله تعالى : "وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك " [يوسف : آيه ٦ ] .

وفي قوله تعالى : " وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث " [ يوسف : آيه ٢١ ] .

وفي قوله تعالى : " رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث" [ يوسف : آيه ١٠١ ] .

---

١ ـ فتح الباري [ ١٢ : ٣٥٣ ] وسنتكلم في الرؤيا من ناحية أرتباطها بالقلب فقط أي من ناحية أنها معرفة قلبيه مباشرة .

٢ ـ صحيح مسلم : كتاب الرؤيا : باب (١) حديث رقم (٢٢٦١) ، شرح النووي [ ١٥ : ١٦ ] .

والأحلام قسمان :

الأول : حديث النفس ، كالحزن الذى يعترى الانسان ، والخوف والآمال وما يغشى قلب النائم الممتلىء من الطعام أو الخالى منه .

وقد ضرب لها النابلسى <١> بعض الأمثله فقال : مثل أن يرى الانسان مع من يحب قلبه أو يخاف من شىء فيراه ، او يكون جائعاً فيرى أنه يأكل ، او ممتلئاً فيرى انه يتقيأ ، او ينام في الشمس فيرى انه يحترق ، او في اعضائه وجع ويرى انه يعذب . <٢>

والثاني : تحزين الشيطان ، وهى ما يلعب الشيطان بالنائم كما ورد في الحديث الصحيح عن جابر قال : **جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله رأيت في المنام كأن راسى ضرب فتدحرج فأشتددت على اثره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاعرابى لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك )** <٣> .

قال ابن تيميه ( فهذان النوعان من وسواس النفس ، ومن وسواس الشيطان ، كلاهما معفو عنه فان النائم قد رفع القلم عنه ، ووسواس الشيطان يغشى القلب كطيف الخيال فينسيه ما كان معه من الايمان حتى يعمى عن الحق فيقع في الباطل ، فاذا كان من المتقين كان كما قال الله تعالى : " **ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون** " [ الأعراف : آية ٢٠١ ] . فان الشيطان مسهم بطيف منه يغشى القلب .

---

١ ـ النابلسي ، عبدالغني بن أسماعيل بن عبدالغني النابلسي ، متصوف عالم بالدين والآدب ، توفى عام ١١٤٣ هـ ، الأعلام ٣٢/٤ .

٢ ـ تعطير الأنام في تعبير المنام : [ ٤ ] ، عبدالغني النابلسي ، دار الفكر ، بيروت .

٣ ـ صحيح مسلم : كتاب الرؤيا حديث (١٥) ، انظر شرح النووي [ ١٥ : ٢٧ ] .

وقد يكون لطيفا وقد يكون كثيفا الا انه غشاوة على القلب تمنعه ابصار الحق ) <١> .

وبذلك تكون الرؤيا ثلاثة أنواع كما في الحديث الصحيح عن ابى هريرة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه قال ( **الرؤيا ثلاثة فرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه** ) <٢> .

## درجات الرؤيا :

والرؤيا توافق طبيعة الإنسان فبقدر إيمانه وبزيادته في درجات نور القلب تصدق رؤياه ففى الحديث الصحيح ( **أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا** ) <٣> .

ويقول ابن سيرين <٤> ( وقد يكون الإنسان صدوقاً في حديثه فتصدق رؤياه ويكون كذاباً في حديثه ويحب الكذب فتكذب عامة رؤياه ) <٥>

وهذا يوضح لنا درجات رؤيا المؤمن بالنسبة لدرجات النبوة فقد ورد في الحديث الصحيح ( **عن أنس بن مالك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوه** ) <٦> .

وورد في حديث ابى هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ( **رؤيا المسلم جزء من خمس واربعين جزءاً من النبوه** ) <٧> .

---

١ ـ الفتاوى [ ١٧ : ٥٢٢ ] .

٢ ـ صحيح مسلم [ ٤ : ١٧٧٣ ] كتاب الرؤيا حديث ( ٢٢٦٣ ) .

٣ ـ صحيح مسلم [ ٤ : ١٧٧٣ ] كتاب الرؤيا حديث ( ٢٢٦٣ ) .

٤ ـ ابن سيرين : محمد بن سيرين البصري الأنصاري ، تابعي أشتهر بالورع وتعبير الرؤيا ، توفى ١١٠هـ ، الأعلام ١٥٤/٦ .

٥ ـ منتخب الكلام في تفسير الأحلام : ١١/محمد بن سيرين ، بهامش تعطير الأنام ، دار الفكر بيروت .

٦ ـ صحيح البخارى كتاب الرؤيا، فتح الباري [ ١٢ : ٣٦١ ] صحيح مسلم بشرح النووي [ ١٥ : ٣٦٢ ] .

٧ ـ صحيح مسلم كتاب الرؤيا ، شرح النووي [ ١٥ : ٢٠ ] .

كما ورد في الحديث الصحيح ( **الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءاً من النبوه** ) <١> .

فحصل لدينا ثلاث روايات مشهورة ، في رواية : الرؤيا الصالحة ستة واربعين ، وخمسة وأربعين وسبعين جزءاً ووردت روايات اخرى في غير الصحيحين:

قال الامام النووى ( وفي غير مسلم من رواية ابن عباس من اربعين جزءاً وفي رواية من تسعة واربعين وفي رواية العباس من خمسين ، ومن رواية ابن عمر ستة وعشرين ، ومن رواية عبادة من اربعة واربعين ) <٢> .

وقد اوصلها ابن حجر الى خمسة عشر لفظاً ثم قال ( واما خصوص العدد فهو مما اطلع الله عليه نبيه لانه يعلم من حقائق النبوه مالا يعلمه غيره ) <٣> .

والحاصل ان الرؤيا علم من علم الغيب يكشفه الله لمن يشاء من عباده لهذا شبهه بجزء من اجزاء النبوه يحصل منها العبد بقدر صفاء قلبه فان كان قلبه أبيض مثل الصفا كانت الرؤيا جزء من خمسة واربعين جزءاً من النبوه .

وبقدر علو الايمان تنخفض الدرجات وبقدر نقص الايمان يزداد تفاوت الدرجات .

قال ابن حجر رحمه الله ( اذا قلت الأجزاء كانت الرؤيا أقرب الى الصدق وأسلم من وقوع الغلط في تأويلها بخلاف ماااذا كثرت ) <٤> .

---

١ ـ صحيح مسلم كتاب الرؤيا ، شرح النووي [ ١٥ : ٢٤ ] .

٢ ـ صحيح مسلم بشرح النووي [ ١٥ : ٢١ ] .

٣ ـ فتح الباري [ ١٢ : ٣٦٣ ] .

٤ ـ فتح الباري [ ١٢ : ٣٦٥ ] .

## الرؤيا الجليه

ومكن ان نستشف من العدد ميزة أخرى لعله والله اعلم كلما قل العدد كانت الرؤيا جليه لا تحتاج الى تأويل وكلما زاد العدد كانت الرؤيا خفيه تحتاج الى مفسر .

ومن الرؤى الجلية رؤيا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى كان هو يراها في بدء الوحى كما في الحديث الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : ( **اول ما بدىء به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الوحى الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءته مثل فلق الصبح** ) <١> .

فرؤيا الانبياء وحى ، بخلاف غيرهم ، والوحى لايدخله خلل لانه محروس من الحق تبارك وتعالى .

اما بعد الوحى الجلى فقد تؤول رؤيا الانبياء كما ورد في الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول ( **بينا انا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى أنى لأرى الرى يخرج في اظافيري ، ثم اعطيت فضلى يعنى عمر . قالوا فما أولته يارسول الله ؟ قال : العلم** ) <٢> .

## الرؤيا نوع من انواع الكرامة

والمهم ان الرؤيا : ( نوع من انواع الكرامات ، وتحقيق الرؤيا خواطر ترد على القلب واحوال تتصور في الوهم اذا لم يستغرق النوم جميع الاستشعار ومثاله : كالذى يكون في ضوء السراج عند اشتداد الظلمة فاذا طلعت الشمس عليه غلبت ضوء السراج فيتقاصر نور السراج بالاضافة الى ضياء الشمس .

فمثال حال النوم كمن هو في ضوء السراج ومثال المستيقظ كمن تعالى عليه النهار فإن المستيقظ يتذكر ما كان متصوراً له في حال نومه ) <٣> .

---

١ ـ صحيح البخارى : كتاب التعبير ، فتح الباري [ ١٢ : ٣٥١ ] .

٢ ـ صحيح البخارى : كتاب التعبير ، فتح الباري [ ١٢ : ٣٩٣ ] .

٣ ـ الرسالة القشيريه [ ٢ : ٧١٥ ] الأمام أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري ، تحقيق عبدالحليم محمود ، ط الأولى ١٣٨٥ هـ ، مطبعة دار التأليف مصر .

## الرؤيا في القرآن الكريم :

وقد أورد القرآن الكريم عدة رؤى منها : رؤيا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في موقعة بدر تثبيتاً من الله له وللمؤمنين ورفعاً لروحهم الجهادية الصادقة .

قال تعالى : " اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور " [ الانفال : آيه ٤٣ ] .

فالرؤيا النبوية صادقة لأن العدد المادى ليس كل شيء في حساب النصر فكانت الرؤيا البصرية اليقظة مؤيدة للرؤيا المنامية ثم قال تعالى : " واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً والى الله ترجع الأمور " [ الانفال : آيه ٤٤ ] .

ومن الرؤيا الجليه التى ذكرها الحق في كتابه الكريم رؤيا خليل الرحمان ابراهيم عليه السلام قال تعالى : " قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى " [ الصافات : آيه ١٠٢ ] .

ومنها رؤيا يوسف عليه السلام قال تعالى : " ياأبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين " [ يوسف : آيه ٤ ] .

وقد ورد تأويل هذه الرؤيا في نفس السورة " ورفع ابويه على العرش وخروا له سجداً وقال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً " [يوسف : آيه ١٠٠ ] .

وايضاً في نفس السورة رؤيا السجينين مع يوسف قال تعالى : " قال أحدهما اني اراني اعصر خمراً وقال الآخر إني اراني احمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه " [ يوسف : آيه ٣٦ ] .

وأولها لهما يوسف عليه السلام قال تعالى : " اما احدكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسة " [ يوسف : آيه ٤١ ] .

وفي السورة نفسها رؤيا الملك قال تعالى : " وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات " [ يوسف : آيه ٤٣ ] .

## الرؤيا في السنة المشرفة :

وقد ورد في السنة الصحيحة كثير من الرؤي رأها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو رآها الصحابة فسرها لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو فسروها فيما بينهم ، فلو لم تكن علماً من علم الله لما كان في تفسيرها أدنى فائدة ، ولكنها علم قلبى مباشر يختص به الله من يشاء من عباده ، فقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حريصاً على تأويل الرؤيا ففى الحديث الصحيح عن سمرة بن جندب قال : ( **كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا صلى الصبح اقبل عليهم بوجهه فقال هل رأي احد منكم البارحة رؤيا** ) <١> .

وقد قال النووى في شرحه لهذا الحديث ( وفيه استحباب السؤال عن الرؤيا والمبادرة الى تأويلها وتعجيلها أول النهار لهذا الحديث ولأن الذهن جمع قبل ان يتشعب باشغاله في معايش الدنيا ولأن عهد الرائى قريب لم يطرأ عليه ما يهوش الرؤيا عليه ولأنه قد يكون فيها ما يستحب تعجيله كالحث على خير او تحذير من معصية ونحو ذلك ) <٢> .

ثم هى من المبشرات كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ( **لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا و ما المبشرات ؟ قال الرؤيا الصالحة** ) <٣> .

وهذا كله يثبت لنا أن الرؤيا معرفة مباشرة للقلب حال نوم الانسان .

---

١ ـ صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الرؤيا [ ١٥ : ٣٥ ] .

٢ ـ صحيح مسلم بشرح النووي [ ١٥ : ٣٥ ] .

٣ ـ فتح الباري كتاب التعبير [ ١٢ : ٣٧٥ ] وللرؤيا الصالحة علامات وآداب ينبغي لمريد الرؤيا أن يفعلها وإذا رأى مايكره له خصال يفعلها هناك أوقات تقوى في الرؤيا وآداب لمعبر الرؤيا نحتاج إلى بحث مستقل يلتزم فيه الباحث بأصول الدين لينتفع به المسلمون والتوسع فيه يخرجنا عن المقصود .

# المبحث الثاني

## الخاطر والإلهام والتحديث والفراسة

أولاً : الخاطر .

وهناك معارف مباشرة للقلب حال يقظته خواطر ترد عليه .

والخاطر : ما يخطر في القلب من تدبير أوامر ، والخاطر : الهاجس <١> وعرف ايضاً بأنه ( مرور معنى بالقلب بمنزلة خطاب مخاطب يحدث بضروب الاحاديث ) <٢> .

والخاطر ان كان من الله فهو الإلهام ، وان كان من الشيطان فهو النزغ .

( والنزغ : هو الاغواء بالوسوسة ، واكثر ما يكون عند الغضب ، وقيل اصله الايعاز بالحركة الى الشر ، ويقال هذه نزغة من الشيطان للخصلة الداعية الى الشر ) <٣> .

فان كان صوتاً خفياً فهو الوسواس ( واصل الوسوسة الصوت الخفى ومنه يقال لصوت الحلى وسواس ، وكل صوت لا يفهم تفصيله لخفائه وسوسة ووسواس ) <٤> .

والنزع والوسواس من الشيطان قال تعالى : " إن الشيطان ينزغ بينهم " [ الاسراء : آيه ٥٣ ] وقال تعالى على لسان يوسف عليه السلام : " وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي " [ يوسف : آيه ١٠٠ ] .

وقال عن الوسواس : " فوسوس لهما الشيطان " [ الاعراف : آيه ٣٠ ] وكذلك في قوله تعالى : " فوسوس اليه الشيطان " [ طه : آيه ١٢٠ ] .

---

١ ـ لسان العرب [ ٤ : ٢٤٩ ] .

٢ ـ الفروق اللغويه [ ٦٠ ] .

٣ ـ الفروق اللغويه [ ٥١ ] .

٤ ـ الفروق اللغويه [ ٥١ ] .

ووسوسة الشيطان مقر ها الصدر قال تعالى : " من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس " [ الناس : آيه ٤ ـ ٦ ] .

قال الحكيم الترمذى (فهذا الصدر موضع دخول الوسواس والآفات)<١> .

وقال أيضاً ( وكذلك الشيطان يدخل بوسوسته في صدر العبد ، وهو آخر ولايه حد النفس ) <٢> .

وعلاج نزغ الشيطان الاستعاذه قال تعالى : " واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم " [ الاعراف : آيه ٢٠٠ ] وفي الأخرى قال تعالى : " واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم " [فصلت : آيه ٣٦ ] .

ثانياً : الألهام :

اما الإلهام ( فهو ان يلقى الله في النفس أمراً يبعثه على الفعل أو الترك وهو نوع من الوحى يخص الله به من يشاء من عباده ، والإلهام ما يلقى في الروع ، والهمه الله خيراً : لقنه اياه ) <٣> .

وعرفه مرتضى الزبيدى فقال ( الإلهام ما يلقى في الروع بطريق الفيض ويختص بما من جهة الله والملأ الأعلى ، ويقال : ايقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر يخص الله به بعض اصفيائه ) <٤> .

وهذا التعريف للإلهام نواجه فيه كلمة ( الفيض ) فإن كان المراد معناه اللغوى وهو : جريان الشيء بسهولة كما عرفه ابن فارس في معجم مقايس اللغه فلا بأس فهو عطاء من الله تعالى ، وان كان المقصود التعريف الصوفى كما عرفه

---

١ ـ الفروق بين الصدر والقلب [ ٣٥ ] .

٢ ـ الفروق بين الصدر والقلب [ ٤٠ ] .

٣ ـ لسان العرب [ ١٢ : ٥٥٥ ] .

٤ ـ تاج العروس [ ٩ : ٦٨ ] .

ابن عربى <١> فقال ( هو تجلى الذات الأحدية لنفسها في صور جميع الممكنات ) <٢> فهذا من الباطل ، ولكن الزبيدى اراد به المعنى اللغوى كما هو معروف من سيرته .

وعرفه ابن فارس فقال : اللام والهاء والميم اصل صحيح يدل على ابتلاع شىء ، ثم يقاس عليه . ومن هذا الباب الإلهام كانه شىء القى في الروع فألتهمه . <٣>

قال ابن تيمية رحمه الله ( والإلهام في القلب تارة يكون من جنس القول والعلم والظن والاعتقاد ، وتارة يكون من جنس العمل والحب والارادة والطلب فقد يقع في قلبه ان هذا القول ارجح واظهر للصواب وقد يميل قلبه الى أحد الأمرين دون الآخر.

وفي الصحيحين عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه قال ( **قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في امتى احد فعمر** ) <٤> .

والمحدث الملهم المخاطب وفي مثل هذا قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديث وابصة ( **البر ما اطمأنت اليه النفس وسكن اليه القلب والاثم ما حاك في نفسك وان افتاك الناس وافتوك** ) <٥> وهو في السنن وفي صحيح مسلم عن النواس عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ( **البر حسن الخلق والاثم ما حاك في نفسك وكرهت ان يطلع عليه الناس** ) <٦> .

---

١ ـ ابن عربي : محمد بن علي بن محمد بن محمد ابن عربي المعروف بمحي الدين بن عربي ، اشتهر بمذهبه الباطل في القول بوحدة الوجود ، ت ٦٣٨ هـ ، الأعلام ٢٨١/٦ .

٢ ـ المعجم الصوفي مادة (فيض) ص :٨٨٩ ، د : سعاد الحكيم ، ط الأولى١٤٠١هـ ، دندي للطباعة بيروت

٣ ـ معجم مقاييس اللغة [ ٥ : ٢١٧ ] .

٤ ـ فتح الباري [ ٧ : ٤٢ ] فضائل الصحابه باب (٦ ) حديث رقم (٣٦٨٩) وفيه ( زاد زكريا بن أبي زائدة عن سعد عن أبي هريره قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم " لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر " .

٥ ـ مسند أحمد [ ٤ : ١٩٤ ] .

٦ ـ صحيح مسلم : كتاب البر [ ١٤ : ١٥ ] .

وقال ابن مسعود : الاثم حزاز القلوب .

وايضاً فاذا كانت الأمور الكونية قد تنكشف للعبد المؤمن يقيناً أو ظناً فالأمور الدينية كذلك بطريق الأولى ، فانه الى كشفها احوج لكن هذا في الغالب لابد ان يكون كشفاً بدليل ، وقد يكون بدليل ينقدح في قلب المؤمن ولا يمكنه التعبير عنه وهذا احد ما فسر به الاستحسان ) ‹١› وقال رحمه الله ( ومن طرق ذلك (الإلهام ) فقد يلهم بعض عباده حال هذا المال المعين ، وحال هذا الشخص المعين وان لم يكن هناك دليل ظاهر يشركه فيه غيره .

وقصة موسى مع الخضر هى من هذا الباب ليس فيها مخالفة لشرع الله تعالى فانه لا يجوز قط لأحد لانبى ولا ولى ان يخالف شرع الله ، لكن فيها علم حال ذلك المعين بسبب باطن يوجب فيه الشرع مافعله الخضر ، كمن دخل الى دار واخذ ما فيها من المال لعلمه بأن صاحبها اذن له وغيره لم يعلم ، ومثل من رأى ضالة اخذها ولم يعرفها لعلمه بأنه أتى بها هدية له ، ونحو ذلك ، ومثل هذا كثير عند اهل الإلهام الصحيح ) ‹٢› .

وقال في موضع آخر رحمه الله ( واذا كانت الرؤيا على ثلاثة اقسام : رؤيا من الله ، ورؤيا من حديث النفس ، ورؤيا من الشيطان ، فكذلك ما يلقى في نفس الانسان في حال يقظته ثلاثة أقسام .

ولهذا كانت الأحوال ثلاثة رحمانى ، ونفسانى ، وشيطانى .

وما يحصل من نوع المكاشفة والتصرف ثلاثة اصناف : ملكى ، ونفسى ، وشيطانى ، فان الملك له قوة ، والنفس لها قوة ، والشيطان له قوة ، وقلب المؤمن له قوة ، فما كان من الملك ومن قلب المؤمن فهو حق ، وما كان من الشيطان ووسوسة النفس فهو باطل ) ‹٣› .

---

١ ـ مجموع الفتاوى [ ١٠ : ٤٧٦ ـ ٤٧٧ ] .

٢ ـ مجموع الفتاوى [ ١٠ : ٤٧٩ ] .

٣ ـ مجموع الفتاوى [ ١٠ : ٦١٣ ] .

## الفرق بين الهام الملك والقاء الشيطان :

وقد فرق ابن القيم رحمه الله بين الهام الملك وإلقاء الشيطان من وجوه فقال : الفرق بين الهام الملك وإلقاء الشيطان من وجوه .

( منها ) أن ما كان لله موافقاً لمرضاته وما جاء به رسول ، فهو من الملك ، وماكان لغيره غير موافقاً لمرضاته فهو من القاء الشيطان .

( ومنها ) أن ما اثمر اقبالاً على الله وانابة اليه وذكراً له وهمة صاعدة اليه فهو من القاء الملك ، وما اثمر ضد ذلك فهو من القاء الشيطان .

( ومنها ) أن ما أورث أنساً ونوراً في القلب وانشراحاً في الصدر فهو من الملك ، وما أورث ضد ذلك فهو من الشيطان .

( ومنها ) أن ما أورث سكينه فهو من الملك ، وماأورث قلقاً وانزعجاً واضطراباً فهو من الشيطان .

فا الالهام الملكى يكثر في القلوب الطاهرة النقية التى استنارت بنور الله ، فللملك بها إتصال وبينه وبينها مناسبة ، فإنه طيب طاهر لا يجاور الا قلباً يناسبه ، فتكون لمة الملك بهذا القلب اكثر من لمة الشيطان .

واما القلب المظلم الذى قد اسود بدخان الشهوات والشبهات فإلقاء الشيطان ولمته به اكثر من لمه الملك ‹١› .

## الفرق بين التحديث والإلهام :

استشهد ابن تيمية عند ذكره للإلهام بحديث ابى هريرة الصحيح الذى فيه ( **لقد كان فيمن كان قبلكم من الامم ناس محدثون** .. الحديث ) فما الفرق بين الحديث والإلهام ؟ .

قال ابن حجر ( اختلف في تأويله فقيل : ملهم ، قاله الاكثر قالوا : المحدث

---

١ ـ الروح : [ ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ] شمس الدين بن قيم الجوزيه ، ط ٣ ، ١٣٨٦هـ ، محمد علي صبيح ، الأزهر.

بالفتح هو الرجل الصادق الظن وهو من القى في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى فيكون كالذى حدثه غيره به ، وبهذا جزم أبو أحمد العسكرى ، وقيل من يجرى الصواب على لسانه من غير قصد ، وقيل مكلم أى تكلمه الملائكة بغير نبوه ) ‹١› .

## التحديث ومرتبته :

فالمحدث من تتكلم الملائكة على لسانه ويؤيده الحديث الصحيح ( **لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى اسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا انبياء فإن يكن في امتى منهم أحد فعمر** ) ‹٢› .

فعلى هذا فمرتبة التحديث اعلى من مرتبه الإلهام . سواء رأى الملائكة أم جرى اللفظ على لسانه بإلهام من الله تعالى .

وعمر بن الخطاب ـ رضى الله ـ خير الملهمين والمحدثين يقول عن نفسه (وافقت ربى عز وجل في ثلاث : قلت يارسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت قول الله تعالى : " واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى " [ البقره : آيه ١٢٥ ] وقلت يارسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن . فنزلت آية الحجاب ، واجتمع على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نساؤه في الغيره فقلت لهن : " عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجاً خيراً منكن " [ التحريم : آيه ٥ ] فنزلت كذلك ‹٣›

وبلغ التحديث في عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : ان خرج رضوان الله عليه يوم الجمعة الى الصلاة فصعد المنبر ثم صاح : ياسارية بن زنيم الجبل ؛ يا سارية بن زنيم الجبل ؛ ظلم من استرعى الذئب الغنم ، فلم يدر الناس ما يقول حتى قدم سارية المدينة على عمر ـ رضى الله عنه ـ فقال : يأمير المؤمنين ـ كنا

---

١ ـ فتح الباري [ ٧ : ٥٠ ] .

٢ ـ فتح الباري [ ٧ : ٤٢ ] كتاب فضائل الصحابه حديث رقم ( ٣٦٨٩ ) .

٣ ـ مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ابن الجوزى [ ٢٢ ] ، تفسير ابن كثير ( ١ : ١٦٩ ) .

محاصرى العدو ، وكنا نقيم الأيام لايخرج علينا منهم أحد ، نحن في خفض من الأرض وهم في حصن عال ، فسمعت صائحاً ينادى بكذا وكذا فعلوت باصحابى الجبل ، فما كان الا ساعة حتى فتح الله علينا ، ولما سئل عمر قال والله ما القيت له بالاً شيء أتى به على لسانى . <١>

## على قدر الطاعة والاتباع تكون المخاطبة والمكاشفة :

وذكر ابن تيمية رحمه الله ( ان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كان يقول إقتربوا من افواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون فانه تتجلى لهم امور صادقه ) وهذه الأمور الصادقة التى اخبر بها عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ انها تتجلى للمطيعين هى الأمور التى يكشفها الله عز وجل لهم ، فقد ثبت ان لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات وافضل هولاء في هذه الأمة بعد أبى بكر ، عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فان خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر .

وقد ثبت في الصحيح تعين عمر بأنه محدث في هذه الأمة . وأى محدث ومخاطب فرض في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فعمر أفضل منه . <٢>

وقال الشاطبى رحمه الله : ( إن جميع ما اعطيته هذه الأمة من المزايا والكرامات والمكاشفات والتأييدات وغيرها من الفضائل انما هى مقتسبة من مشكاة نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكن على مقدار الاتباع فلا يظن ظان انه حصل على خير بدون وساطه نبوته ، كيف وهو السراج المنير الذى يستضىء به الجميع ، والعلم الأعلى الذى يهتدى في سلوك الطريق ) <٣> .

---

١ ـ ذكر القصة كثير من العلماء على سبيل المثال ، الفرقان لابن تيمية : ٢٦٧ مناقب عمر لابن الجوزي [١٧٢] ، ختم الولاية للحكيم الترمذي [ ٣٩١ ] .

٢ ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : ٢٩ ، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيميه ، دار الكتب العلميه ، بيروت .

٣ ـ الموافقات في أصول الشريعة [ ٢ : ٢٥٩ ، أبو أسحاق الشاطبي ، المكتبة التجاريه ، مصر .

ومما ذكره ابن حجر رحمه الله في شرحه للحديث الصحيح ( **لم يبق من النبوة الا المبشرات** ) <١> .

قال : وقال ابن التين <٢> : معنى الحديث ان الوحي ينقطع بموتي ولايبقى مايعلم منه ما سيكون الا الرؤيا ، ويرد عليه الإلهام فإن فيه اخباراً بما سيكون وهو للانبياء بالنسبة للوحي كالرؤيا ، ويقع لغير الانبياء ، كما في الحديث الماضي في مناقب عمر ( **قد كان فيمن مضى من الأمم محدثون** ) ، وفسر المحدث بفتح الدال : بالملهم بالفتح أيضاً ، وقد اخبر كثير من الأولياء عن أمور مغيبة فكانت كما اخبروا ، والجواب ان الحصر في المنام لكونه يشمل آحاد المؤمنين بخلاف الالهام فانه مختص بالبعض ومع كونه مختصا فانه نادر ، فإنما ذكر المنام لشموله وكثرة وقوعه ، ويشير الى ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - ( فإن يكن ) وكأن السر في ندور الإلهام في زمنه وكثرته من بعده غلبة الوحي اليه - صلى الله عليه وسلم - في اليقظة وارادة اظهار المعجزات منه ، فكان المناسب ان لا يقع لغيره منه في زمانه شيء ، فلما انقطع الوحي بموته وقع الإلهام لمن اختصه الله به للأمن من اللبس في ذلك . وفي انكار وقوع ذلك مع كثرته واشتهاره مكابرة ممن انكره ) <٣> .

وهكذا تبين لنا ان اكثر العلماء كابن تيمية وابن القيم وابن حجر وغيرهم يثبتون المعرفة المباشرة للقلب والأعتماد عليهم أولى ، لأن اقناع البعض بثبوته وارتباطه بالقلب ليس باليسير ، وفتح هذا الباب على مصراعيه يدخله كثير من الشك ، فهو أمر غيبي بحت يطلعه الله من يشاء من عباده ، فالواجب ان يراعي بشرط ان لا يخرم حكماً شرعياً ولاقاعدة دينيه ، والا كان خيالاً ووهماً من القاء الشيطان ولايستمد منه حكماً شرعياً ، فالاحكام الشرعية تبنى على الظاهر . اما انكاره بالكلية بعد اثباته فمكابره والأخذ به بالكلية لايحفظ ترتيب الظواهر التى هى مبنى الشريعة ، فليت هذا الأمر يتقصى فهو بحث مستقل حباه الله خلقه الاصفياء المخلصين .

---

١ - صحيح البخاري كتاب التعبير ، باب المبشرات ، حديث ( ٦٩٩٠ ) .

٢ - عبدالواحد ابن التين السفاقسي المالكي المعروف بابن التين أحد شراح الصحيح،كشف الظنون ١/٥٤٦

٣ - فتح الباري [ ١٢ : ٣٧٦ ] .

الفِراسة :

ومن باب الإلهام الفِراسة : وقسمها الامام الرازى الى قسمين :

فقال ( احدهما : ان يحصل خاطر في القلب ان هذا الإنسان من حاله وخلقه كذ وكذا من غير ان يحصل هناك علامة جسمانية ، ولا أمارة محسوسة . والسبب فيه : ما ثبت ان جواهر النفوس الناطقة مختلفة بالماهيات فمنها ما يكون في غاية الاشراق والتجلى والبعد عن العلائق الجسمانية ، ومنها مالا يكون كذلك ، وكما ان النفس تقدر على معرفة الغيوب في وقت النوم ، فكذلك النفس المشرقة الصافية قد تقدر على معرفة المغيبات حال اليقظة ، والنفوس التى شأنها ذلك تكون أيضاً مختلفة المعنى بالكم والكيف ) <١> .

اما النوع الآخر وهو الاستدلال بالاحوال الظاهرة على الاخلاق الباطنة فهذا علم مستقل لا دخل للإلهام فيه ولكنه علم له اصول وفروع مجال بحثها كتب استقلت به .

والمهم : ان من الفراسة علم لا دخل للمدارك المحسوسة فيه بشىء إنما هو ضرب من إشراق القلوب .

فهذه الفراسة إستنباط الأسرار بالنظر الثاقب المعزز بنور البصيرة وسببه رقى القلب في مراتب حياته .

قال ابن تيمية في ذكر فوائد غض البصر ( أنه يورث نور القلب والفراسة قال تعالى عن قوم لوط : " لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون " فالتعلق في الصور يوجب فساد العقل وعمى البصيرة وسكر القلب بل جنونه .

وقال : وذكر سبحانه آية النور عقب آيات غض البصر فقال : ( الله نور السموات والأرض )

---

١ ـ الفراسة : ٣٠ ، محمد بن عمر فخر الدين الرازي ، تحقيق مصطفى عاشور ، مكتبة القرآن ، القاهره

وكان شاه بن شجاع الكرماني <١> لا تخطىء له فراسه وكان يقول : من عمر ظاهره باتباع السنة ، وباطنه بدوام المراقبة ، وغض بصره عن المحارم ، وكف نفسه عن الشهوات ، وذكر خصلة خامسة وهى أكل الحلال ، لم تخطىء فراسته . والله تعالى يجزى العبد على عمله بما هو من جنس عمله فغض بصره عما حرم يعوضه الله عليه من جنسه بما هو خير منه ، فيطلق نور بصيرته ويفتح عليه باب العلم والمعرفة والكشوف ونحو ذلك مما ينال ببصيرة القلب ) <٢> .

وقد ورد في الحديث عن ابى سعيد الخدرى - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ( **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله** ) <٣> .

فراسة المؤمن على قدر إيمانه :

الفراسة على حسب قوة الإيمان في القلب ، فليس كل مؤمن ذا فراسة أما من كان إيمانه اقوى كان أحد فراسة وليس لأحد ان يدعيها لانها هبة في القلوب فعلى المؤمن ان يتقى الفراسة من الغير لا ان يدعى الفراسة .

وذكر ابن القيم ( عن ابن مسعود - رضى الله عنه - انه قال : افرس الناس ثلاثة : العزيز في يوسف حيث قال لامرأته " اكرمي مثواه عسى أن ينفعنا او نتخذه ولداً " [ يوسف : آيه ٢١ ] وابنه شعيب حين قالت لأبيها في موسى "استأجره " [ القصص : آيه ٢٦ ] وابو بكر في عمر - رضى الله عنهما - حيث استخلفه ، وفي رواية اخرى : وامرأة فرعون حين قالت : " قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا او نتخذه ولداً " [ القصص : آيه ٩ ] . <٤>

---

١ - شاه بن شجاع الكرماني ، صوفي ذكره الأصفهاني في ترجمة ( ٥٦٦ ) وقال أنه صحب أبا تراب النخشبي وأبا عبيد البسري ولم يذكر تاريخ وفاته ، حلية الأولياء [ ١٠ / ٢٣٧ ] .

٢ - مجموع الفتاوى [ ٢١ : ٢٥٦ - ٢٥٨ ] وقول شاه الكرماني ذكره أيضاً ابن القيم في مداج السالكين [٢ : ٥٠٥] .

٣ - سنن الترمذي [ ٥ : ٢٩٨ ] كتاب التفسير باب (١٦) حديث [٣١٢٧] وقال الترمذي هذا حديث غريب إنما تعرفه من هذا الوجه وقد روى عن بعض أهل العلم .

٤ - مدارج السالكين [ ٢ : ٥٠٦ ] .

# المبحث الثالث
## نزول كلام الله على انبيائه

واخيرا ننتقل الى اعلى مراتب المعرفة في القلب ، كلام الله للعبد ومنه الوحى .

والواو والحاء والحرف المعتل : اصل يدل على القاء علم في اخفاء أو غيره الى غيرك . <1>

والوحى : الاشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفى وكل ما القيته الى غيرك يقال : وحيت اليه الكلام . <2>

وقيل : اصله التفهيم . وكل مادللت به من كلام او كتابه او رسالة او إشارة فهو وحى .

وشرعاً : الاعلام بالشرع <3> وقد يطلق الوحى ويراد به اسم المفعول منه أى الموحى وهو كلام الله المنزل على نبى من انبيائه عليهم الصلاة والسلام .

ومن التعريف اللغوى نلاحظ ان كلمة الوحى تشمل وحى الإلهام ووحى الرسالة ، وقد تحدثنا عن وحى الإلهام في قلوب المؤمنين .

اما وحى الرسالة فمختص بأنبيائه ورسله عليهم السلام .

### أقسام المعرفة لدى الأنبياء عليهم السلام :

فالمعرفة لديهم على اقسام ثلاثة :

احدها : سماع كلام الله تعالى : كسماع موسى عليه السلام . كما في قوله تعالى : " ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليماً " [ النساء : آيه ١٦٤ ]

---

١ ـ مقاييس اللغه [ ٦ : ٩٣ ] .

٢ ـ لسان العرب [ ١٥ : ٣٧٩ ] .

٣ ـ فتح الباري [ ١ : ٩ ] .

وهذا منتهى مراتب الوحى واعلاها ، وقد وقع التكليم أيضاً لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - في الاسراء كما ثبت في صحيح الآثار من ذلك حديث المعراج وفيه مراجعة رسول الله مع موسى عليه السلام اذ قال له ( **فأرجع الى ربك فأساله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عنى عشراً** .. الحديث ) <١> .

قال ابن تيمية ( وقد فرق سبحانه بين ايحائه الى غير موسى وبين تكليمه لموسى في قوله تعالى :" انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح " الى قوله " حجة بعد الرسل " < ٢ > فرق سبحانه بين تكليمه لموسى وبين ايحائه لغيره ووكد تكليمه لموسى بالمصدر ، وقال تعالى : " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض " * الى قوله تعالى : " روح القدس " * وقال تعالى : " وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا " الى آخر السورة ، فقد بين سبحانه انه لم يكن لبشر ان يكلمه الله الا على احد الأوجه الثلاثة :

إما وحيا ، او من وراء حجاب ، واما ان يرسل رسولاً فيوحى باذنه ما يشاء ، فجعل الوحى غير التكليم والتكليم من وراء حجاب كان لموسى ) <٣>

وقال ايضاً - رحمه الله - فالله تعالى يقول : " إنا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب والإسباط " * الى قوله : " وكلم الله موسى تكليماً " ففضل موسى بالتكليم على غيره ممن اوحى اليهم ، وهذا يدل على أمور : على ان الله يكلم عبده تكليماً زائداً عن الوحى الذى هو قسيم التكليم الخاص ، فإن لفظ التكليم والوحى كل

---

١ - صحيح البخارى :كتاب المعراج حديث رقم ( ٢٧٠ ) ، عمدة القاري [ ١٧ : ٢٢ ] .

٢ - " إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً " [ النساء : آيه ١٦٣/١٦٤ ] .

٣ - مجموع الفتاوى [ ١٢ : ٣٩ ] .

منهما ينقسم الى عام وخاص ، فالتكليم هو المقسوم في قوله : " وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب او يرسل رسولا " والتكليم المطلق هو قسيم الوحى الخاص ليس هو قسماً منه ، وكذلك لفظ الوحى قد يكون عاماً فيدخل فيه التكليم الخاص كما في قوله لموسى ( فاستمع لما يوحى ) وقد يكون قسيم التكليم الخاص كما في سورة الشورى ، وهذا يبطل قول من يقول : الكلام معنى واحد قائم بالذات ، فانه حينئذ لا فرق بين التكليم الذى خص به موسى والوحى العام الذى يكون لآحاد العباد ، ومثل هذا قوله في الآية الاخرى : "وماكان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى باذنه ما يشاء " فانه فرق بين الإيحاء وبين التكليم من وراء حجاب وبين ارسال رسول يوحى باذنه ما يشاء ، فدل على ان التكليم من وراء حجاب ـ كما كلم موسى ـ أمر غير الإيحاء ) <١>

## ثانيا : الوحى بواسطة الملك .

القسم الثاني : وحى رسالة بواسطة ملك معروف حامله مستيقن طريقه ، مشهودة رحلته يراه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى العين والقلب من غير وهم ولاخداع بصر ، ورؤيا القلب اثبت في المعرفة لانها تنفى خداع النظر وتثبت ان حامل الوحى رسول ربه اليه ليعلمه ويكلفه تبليغ مايعلم ، فهى رؤية محققة ويقين جازم ومعرفة مؤكده ، والمبلغ عن الحق تبارك وتعالى كريم عند ربه ، قوى بوصف الله له ، أمين على وحيه ، مكين في مقامه ومكانته ، مطاع في الملأ الاعلى .

القسم الثالث : وحى تلق بالقلب ( **كقوله عليه الصلاة والسلام إن روح القدس نفث في روعى** ) أى في نفسى وقيل كان هذا حال داود عليه السلام . <٢>

---

١ ـ مجموع الفتاوى [ ١٢ : ١٢٨ ـ ١٢٩ ] .

٢ ـ عمدة القاري [ ١ : ٤٠ ] ( الحديث قال عنه ابن حجر = أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعه وصححه الحاكم عن طريق ابن مسعود ) فتح الباري [ ١ : ٢٠ ] .

## أقسام الوحى بواسطة الملك :

واما صور المعرفة بالوحى فلها ، احوال مختلفة :

الأول : المنام . كما جاء في الحديث الصحيح ( **أول ما بدئ به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الوحى الرؤيا الصالحة في النوم فكان لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح** ) <١> أى مبينه واضحه مثل مجيء الصبح ، ورؤيا الانبياء وحى صادق لم يسلط فيها ضغث ولا تلبس شيطان ، وقد ذكرنا في الرؤى ان الله يخلق في قلب النائم أو في حواسة الاشياء كما يخلقها في اليقظان ، وهو سبحانه يفعل ما يشاء لا يمنعه نوم ولا غيره فربما يقع ذلك في اليقظة كما رآه في المنام .

وسبب ابتداء النبوة بالرؤيا الصالحة كما قال البدر العينى ( لئلا يفجأه الملك ويأتيه بصريح النبوه ولا تحتملها القوى البشرية فبدئ بأوائل خصال النبوه وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا مع سماع الصوت وسلام الحجر والشجر عليه بالنبوه ورؤية الضوء ثم اكمل الله له النبوه بارسال الملك في اليقظة وكشف له عن الحقيقة كرامة له ) <٢> .

## مدى تأثير الوحى :

والوحى سواء كان مناماً او يقظة أو إلهاماً ، سلطانه أقوى من ان يقاوم وله سلطة على طبع الموحى اليه لابد ان ينقاد له قال تعالى : " **واوحينا الى أم موسى أنْ أرضعيه فاذا خفت عليه فالقية في اليم ولا تخافي ولا تحزني** " [القصص : آيه ٧ ] .

وكذا فعلت فألقته ولم تخالف ، مع ان الحالة تؤذن انها القته في الهلاك ، ولكنها لم تتردد ولاحكمت عليها النفس البشرية بأن إلقاءها في اليم في تابوت من اخطر الأشياء . لأن المعرفة بالوحى من اصدق المعارف واقواها وانفذها الى قلب

---

١ ـ صحيح البخارى : كتاب الوحي حديث رقم ( ٣ ) ، عمدة القاري [ ١ : ٤٦ ] .

٢ ـ عمدة القاري [ ١ : ٦٠ ] .

الإنسان فتصل الى فوآده وتنفذ اليه ولا كذب في رؤيا الفوآد ، وكذلك ابراهيم عليه السلام قال تعالى : " قال يا بني إني أرى في المنام أني اذبحك فانظر ماذا ترى قال ياابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين "[الصافات :آيه ١٠٢ ]أسلم وأستسلم وانقاد إنفاذاً لأمر ربه يقيناً فلم يشك وأسلم وتله للجبين .

الثانيه : ان يأتيه الوحى مثل صلصلة الجرس .

والصلصلة : في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ثم اطلق على كل صوت له طنين ، والصلصلة أيضاً صفاء صوت الرعد . <١>

( والحكمة في تقديمه ان يقرع سمعه الوحى ، فلا يبقى فيه مكان لغيره ، وقال شيخ الاسلام البلقينى <٢> : سبب ذلك ان الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمة للإهتمام به ) <٣> .

وهذا أشد انواع الوحى كما في الحديث الصحيح **( ان الحارث بن هشام ـ رضى الله عنه ـ سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ احياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشد على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال )** <٤> .

وشدة هذه الصلصلة ( ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما يسمع وألقن لما يلقى ) <٥> .

والوعى هنا قبل الفصم لابعده بدلالة الحديث .

---

١ ـ لسان العرب [ ١١ : ٣٨٢ ] .

٢ ـ شيخ الإسلام البلقيني : صالح بن عمر بن رسلان الشافعي ، من علماء الحديث والفقه ، ت : ٨٦٨هـ ، الأعلام ٣ / ١٩٤ .

٣ ـ فتح الباري [ ١ : ٢٠ ] .

٤ ـ صحيح البخارى : كتاب بدىء الوحي حديث رقم (٢ ) ، فتح الباري [ ١ : ١٨ ] .

٥ ـ الروض الأنف [ ١ : ٢٦٩ ] أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي ، ط : ١٣٩٨ هـ ، دار المعرفه، بيروت .

قال البدر العينى رحمه الله ( إن قيل ما الحكمة في ضربه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الجواب بالمثل المذكور ـ مثل صلصلة الجرس ـ أجيب بانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان معتنيا بالبلاغة مكاشفاً بالعلوم الغيبية وكان يوفر على الأمة حصتهم بقدر الاستعداد فاذا أريد ان ينبئهم بما لاعهد لهم به من تلك العلوم صاغ لها أمثله من عالم الشهادة ليعرفوا بما شاهدوه مالم يشاهدوه ، فلما سأله الصحابى عن كيفية الوحى وكان ذلك من المسائل الغويصه ضرب لها في الشاهد مثلاً بالصوت المتدراك الذى يسمع ولايفهم منه شىء ، تنبيها على ان اتيانها يرد على القلب في لبسه الجلال فيأخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلوب ويلاقى من ثقل القول مالا علم له بالقول مع وجود ذلك ، فاذا كشف عنه وجد القول المنزل بينا فيلقى في الروع واقعاً موقع المسموع وهذا معنى قوله ( فيفصم عنى ) وهذا الضرب من الوحى شبيه بما يوحى الى الملائكة على ما رواه ابو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : **( اذا قضى الله في السماء أمرا ضربت الملائكه باجنحتها خضعاناً لقوله كانها سلسلة على الحجر ) فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير)** <١> .

الثالثة : ان ينفث في روعه الكلام .

واصل النفث : خروج شىء من فم او غيره بأدنى جرس ، منه نفث الراقى ريقه . <٢>

والنفث شبيه بالنفخ وفي الحديث **( ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ان روح القدس نفث في روعى وقال : ان نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها فأتقوا الله واجملوا في الطلب )** <٣> .

---

١ ـ عمدة القاري [ ١ : ٤٤ ] .

٢ ـ معجم مقاييس اللغه [ ٥ : ٤٥٧ ] .

٣ ـ الحديث رواه الحاكم (٤/٢) من طريق آخر مطولاً وأوله " ليس من عمل يقرب إلى الجنه إلا وقد أمرتكم به ولاعمل يقرب إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه " وقال صحيح على شرط مسلم ، مسند الشهاب [ ٢ : ١٨٥ ] رقم ١٨٥/٢/٧٢٨ ، القاضي محمد بن سلامة القضاعي ، تحقيق حمدي السلفي ، ط : ١: ١٤٠٥/١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

قال ابو عبيد : هو كالنفث بالفم شبيه بالنفخ ، يعنى جبريل أى أوحى والقى <١> وهو أقل من التفل لا يكون الا ومعه شيء من الريق . <٢>

قال مجاهد ( نفث ينفث في قلبه فيكون الهاماً ) <٣> .

وقد ذكرنا الإلهام ، فكل الهام وحى وليس كل وحى الهام ، لأن الوحى يقين يكمن في القلب بأنه من قبل الله سواء كان بواسطة او بغير واسطة بخلاف الالهام الذى ينساق معه القلب الى ما يمليه عليه الإلهام .

الرابعة : ان يتمثل له الملك رجلاً .

وقد ورد ذلك في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (واحياناً يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعى ما يقول ) <٤> .

وفيه دليل ان الملائكة تتشكل بالصورة البشرية بالقدرة الآلهية .

قال السهيلى رحمه الله ( فقد كان يأتيه في صورة دحيه بن خليفة .رضى الله عنه ـ ويروى ان دحيه اذا قدم المدينه لم تبق معصر الا خرجت تنظر اليه لفرط جماله ) <٥> .

وقال العينى رحمه الله ( كان يأتيه في صورة دحيه ـ رضى الله عنه ـ واختصاص تمثله بصورة دحيه دون غيره من الصحابه ـ رضوان الله عنهم ـ لكونه احسن اهل زمانه صورة ، ولهذا كان يمشى متلثما خوفا ان يفتن به الناس ) <٦>

---

١ ـ لسان العرب [ ٢ : ١٩٥ ] .

٢ ـ النهاية في غريب الحديث [ ٥ : ٨٨ ] .

٣ ـ تفسير القرطبي [ ١٦ : ٥٣ ] .

٤ ـ عمدة القاري [ ١ : ٣٦ ] كتاب كيف بدء الوحي حديث رقم ( ٢ ) وأوله ( أن الحرث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحي .. ) الحديث .

٥ ـ الروض الأنف [ ١ : ٣٦٩ ] والمعصر : المرأة إذا أكتملت أنوثتها .

٦ ـ عمدة القاري [ ١ : ٤٠ ] .

ولعل هذه الحالة من المعرفة هي اهون الحالات بدلالة قوله عليه السلام (**فيكلمنى فأعى ما يقول** ) فالملك تشكل بالصورة البشرية ثم يكلم الرسول ثم يعى مايقول .

فالفاء للعطف المشير الى التعقيب فالوعى حال المكالمة لا قبلها وفي الحالة (الثانية ) التى يأتيه الوحى مثل صلصلة الجرس وهو اشد انواع الوحى الذى يرد على القلب في لبسة الجلال فياخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلوب يكون الوعى اثناء التلبس بالصفات الملكية ، فحالة تشكل الملك بالصفات البشرية اهون من تحول الطباع البشرية الى الأوضاع الملكية فيوحى اليه كما يوحى الى الملائكة.

الخامسة : ان يتراءى له جبريل عليه السلام في صورته التى خلقها الله تعالى كما في الحديث الصحيح قوله عليه الصلاة والسلام ( **بينما انا امشى اذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه** فرجعت فقلت زملونى ) الحديث . <١>

وفي شرح السنة ( عن الشيبانى قال : سألت زراً <٢> عن قوله عز وجل : "فكان قاب قوسين أوأدنى " [ النجم : آيه ٩ ] قال اخبرنا عبدالله ان محمداً - صلى الله عليه وسلم - رأى جبريل - رضي الله عنه - له ستمائه جناح . <٣>

وقال السهيلى في روضه ( يتراءى له جبريل في صورته التى خلقه الله فيها له ستمائه جناح ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت ) <٤>

---

١ - صحيح البخارى [ ١ : ٤ ] كتاب كيف بدء الوحي حديث رقم (٣) .

٢ - زر بن حبيش أبو مريم الأسدي مخضرم كثير الحديث ، ت ٨١ هـ ، طبقات الحفاظ ، ٢٠ .

٣ - صحيح البخارى كتاب التفسير " سورة النجم " باب قوله تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى ، فتح البارى [ ٨ : ٤٧٠ ] ومسلم ( ١٧٤ ) ( ٢٨٢ ) . .

٤ - الروض الأنف [ ١ : ٢٧٠ ] .

السادسة :ان بكلمة الله تعالى من وراء حجاب اما في اليقظة كما مر في ليلة المعراج واما في النوم كما جاء في سنن الترمذى من حديث ابن عباس قال : ( **قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أتانى الليلة ربى تبارك وتعالى في احسن صورة قال أحسبه في المنام فقال يا محمد : هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى ؟ .**

**قال قلت لا . قال فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى او قال في نحرى ، فعلمت ما في السموات وما في الأرض ، قال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى ؟ قلت نعم ...** ) الحديث . <١>

وقد روى أيضاً من حديث معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال ( **احتبس عنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس ، فخرج سريعاً فثوب بالصلاة فصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتجوز في صلاته فلما سلم دعا بصوته قال لنا : مصافكم كما انتم ثم انفتل الينا ثم قال : أما أنى سأحدثكم ما حبسنى عنكم الغداة : إنى قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لى فنعست في صلاتى حتى استثقلت ، فاذا انا بربى تبارك وتعالى في احسن صورة ، فقال يا محمد : قلت لبيك رب قال فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت لا ادرى قالها ثلاثاً ، قال فرأيته وضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله بين ثديى فتجلى لى كل شىء وعرفت فقال يا محمد قلت لبيك رب ...** الحديث ) <٢>.

فهنا المعرفة بين الحق وبين الخلق رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ربه في المنام في احسن صورة أو رأه في اليقظة من وراء حجاب رؤيه فوآد ولا كذب في رؤية الفوآد وعلمه الحق تبارك وتعالى علم كل شىء في الملأ الاعلى أو علم

---

١ - سنن الترمذي [ ٥ : ٣٦٦ ] كتاب التفسير باب ( ٣٩ ) حديث رقم ( ٣٢٣٣ ) ، وكذلك رقم ( ٣٢٣٤ )، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . (ومعنى ثوب بالصلاة:أى أقام الصلاة - النهاية : ١/٢٢٦)

٢ - سنن الترمذي [ ٥ : ٣٦٨ ] كتاب التفسير باب ( ٣٩ ) حديث رقم ( ٣٢٣٥ ) قال الترمذي هذا الحديث حسن صحيح ، سألت محمد بن أسماعيل عن هذا الحديث فقال : هذا حديث حسن صحيح .

ما في السموات ومافي الأرض كما في الحديث السابق ، فلما سأله الحق فيم يختصم الملأ الاعلى ؟ قال نعم . لانه قد علمه في جملة ماعلمه الله وكان قبل ذلك لايعلمه .

وهنا طرفه احببت ذكرها تدخل معنا فرعاً لا اصلاً وهى ان الخلق متفاوتون في المعرفة والفهم فكما ان بنى آدم متفاوتون في الفهم نجد أيضاً الملائكة متفاوتون بدلالة الحديث وفيه ( **يا محمد قلت لبيك رب قال فيم يختصم الملأ الاعلى قلت في الكفارات قال ما هن قلت مشى الاقدام الى الحسنات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ، واسباغ الوضوء حين الكريهات ، قال فيم ، قلت : إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام** .. الحديث ) <١> .

## كلام شيخ الاسلام في رؤية الله تعالى :

قال ابن تيمية ( إن ائمة السنة والجماعة متفقون من ان الله لايراه احد بعينه في الدنيا ولم يتنازعوا الا في نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - خاصة ، وقد روى نفى رؤيتنا له في الدنيا ، عن النبى - صلى الله عليه وسلم - من عدة اوجه : منها مارواه مسلم في صحيحه عن النبى - صلى الله عليه وسلم - انه قال لما ذكر الدجال قال : ( واعلموا ان احداً منكم لن يرى ربه حتى يموت ) وموسى ابن عمران عليه السلام قد سأل الرؤية فذكر الله سبحانه قوله ( لن ترانى ) وما اصاب موسى من الصعق . <٢>

وقال أيضاً : ( وقد خطب عروة بن الزبير من عبدالله بن عمرابنته وهو في الطواف فقال : انحدثنى في النساء ونحن نتراءى الله في طوافنا ؟ فهذا كله ومأشبهه لم يريدوا به ان القلب ترفع جميع الحجب بينه وبين الله حتى تكافح الروح ذات الله كما يرى هو نفسه فإن هذا لا يمكن لاحد في الدنيا ومن جوز ذلك انما جوزه للنبى - صلى الله عليه وسلم - كقول ابن عباس : رأى محمد ربه بفوآده

---

١ - نفس الحديث السابق .

٢ - مجموع الفتاوى [ ٥ : ٤٩ ] .

مرتين ، ولكن هذا التجلى يحصل بوسائط بحسب ايمان العبد ومعرفته وحبه ، ولهذا تتنوع احوال الناس في ذلك كما تتنوع رؤيتهم لله تعالى في المنام فيراه كل إنسان بحسب ايمانه ويرى في صور متنوعه ) <١> .

والمهم ان المعرفة بالوحى بتعدد انواعه محفوظة من الخطرات الشيطانيه والهواجس النفسية لأن الموحى اليه معصوم من كل ذلك : بخلاف المعارف الأخر لابد ان يرجع فيها الى ما اتى عن المعصوم ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

## بيان أن الصديق افضل من المحدث :

قال ابن تيمية ( ان المكاشفات يقع فيها من الصواب والخطأ نظير ما يقع في الرؤيا وتأويلها ، والرأى ، والرواية ، وليس شىء معصوماً على الاطلاق الا ما ثبت عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولهذا يجب رد جميع الأمور الى مابعث به ولهذا كان الصديق المتلقى عن الرسول كل شىء ، مثل أبى بكر أفضل من المحدث مثل عمر ـ رضى الله عنهما ـ وكان الصديق يبين للمحدث المواضع التى اشتبهت عليه حتى يرده الى الصواب ، كما فعل ابو بكر بعمر يوم الحديبية ، ويوم موت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وفي قتال ما نعى الزكاة وغير ذلك ) <٢> .

ولاريب ان سيد الأعضاء ، هذه المضغة التى نزل القرآن عليها الا وهى القلب ، هو محل العلم ، وهو الملزم بالحجة ، اذا قذف فيه نور البصيرة والمعرفة ازداد قرباً من الله فازداد علماً ، يرتقى فيه تعقله ، فالمدار مدار ايمان ويقظة ، مع كل ما اتى عن الحق تبارك وتعالى ، فيؤتيه الله علماً من عنده بسبب طهارة قلبه وهو ما يسمى بالعلم اللدنى .

---

١ ـ مجموع الفتاوى [ ٥ : ٤٩٢ ] .

٢ ـ مجموع الفتاوى [ ١١ : ٤٢٩ ] .

كلام شيخ الاسلام في العلم اللدنى :

قال ابن تيمية : واما العلم ( اللدنى ) فلاريب ان الله يفتح على قلوب اوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه ، واتباعهم ما يحبه مالا يفتح به على غيرهم ، وهذا كما قال على ـ رضى الله عنه ـ الا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه ، وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع كقوله تعالى : " ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتا . وإذا لآتيناهم من لدنا اجراً عظيماً . ولهديناهم صراطاً مستقيما " [ النساء : آية ٦٦ ـ ٦٨ ] .

فقد أخبر أنه من فعل مايؤمر به يهديه الله صراطاً مستقيماً (١) .

نسأل الله أن يعلمنا ماينفعنا وينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علماً من عنده

وختاماً سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .

---

١ ـ مجموع الفتاوى [ ١٣ : ٢٤٥ ] .

# الخاتمة

# الخاتمة

أما بعد حمدالله الذي هو فاتحة كل كتاب والصلاة على رسله التي هي خاتمة كل خطاب نشكره جلت عظمته أن حبانا بنعمه وأغدق علينا من فضله .

كل صنعة يخترعها العبد لابد أن تحوي دليلاً يوضح كيفية العناية بهذه الآلة وطرق وقايتها وأسباب إتلافها ، وكذلك الإنسان هو صنعة الخالق جلت عظمته أعطاه ينبوع الإسلام الأول يقلب في ثناياه ماشاء وسيجد في كل آية من الكتاب المفصل مايشفي صدره ويعالج قلبه ويجعله يسيطر بروحه على بدنه ويسمو بنفسه فوق حسه .

وكان الهدف الأسمى من هذا البحث معرفة هذه اللطيفه الربانيه المرتبطة إرتباطاً معنوياً باللحم الصنوبري الشكل المودوع في الجانب الأيسر من الصدر ولهابه تعلق وثيق ولاأقصد بالمعرفة الكشف التام إنما لمسات منيره أوضحها الذكر الحكيم والسنة المطهرة واقتبستها منهما مع الاستدلال والإستئناس بأقوال الأكابر من العلماء على مختلف الطبقات والأشربه مع التحفظ عن المجاز ومشتقاته .

أوضحت بقدر الإمكان معاني القلب ومترادفاته والتوضيح يظهر الفوارق فالفؤآد اشترك مع القلب في الصغو والتقليب وأنفرد بالفراغ والرؤيا والتثبيت وغيرها فهو جزء من القلب أختص ببعض الأحوال من معرفة وخواطر تتقارب مع اللب حينا وتغايره أحياناً ، كما أن العقل نور يقذف في القلب يستعد به لإدراك الأشياء وليس عيناً قائمة بذاتها إنما التعقل عمل من أعمال القلب المؤمن الحي ، وبالتتبع وجدنا أن الصدر أستقل ببعض الأحوال فهو يضيق أحياناً وينشرح أخرى وهو أول مقامات القلب وموضع نور الإسلام والقلب مقره ومكمنه .

وبالنسبة للفطره توصلت إلى أنها أعم من أن تكون في قلب أو صدر فهي تهيئة النفس لقبول الحق ، وميثاق أقدم من الرسل والرسالات ولكنها تتعرض إلى الإجتيال بالشبهة أو الشهوة ولاحادي لها سوى الإسلام وبه ترتقي إلى حقيقة التوحيد ، ومع الإيمان تصور وقفة بين الحظ الأدنى والأعلى وعلى قدره يكون النور

في القلب وبقدر عظم النور يحترق الإجتيال وفيه تم التفريق بين الإسلام والإيمان إذا افترقا وذكرنا بعضاً من أنوار لاإله إلا الله بقدر ماصرح به الوحي .

ويتتبع أحوال القلب الحي حالة بعد أخرى إستقصاءً بقدر مايسر الله بين الكتاب والسنة وأقوال العلماء مع المحافظه على لغة الذكر الحكيم تبين لنا من النصوص أن أول ما يطالب به العبد بعد سلامة القلب الخشوع حتى يترقى في الثواب ويسلم من العقاب وبينا معاني ورود الحالة في كتاب الله وأقوال العلماء فيها، ثم أثر تلك الحالة على الجوارح وعلى المجتمع سلباً وإيجاباً، ومقدار دوام الحالة في الأمة، وماينتج عن ذلك وكيف يتم الإنتقال في درجات الإحسان ، ومن هو المحظوظ بهذه المكانة من الأمة ، وحين ترد الحالة في اللغة تحتمل المدح والذم فصلت لمن تكون تلك الأحوال كشدة القلوب مثلاً مرغوبة في وقت ومرفرضة في وقت آخر وأن من الأحوال ملكات في أستطاعة العبد أن ينميها حتى يطمئن قلبه إلى ذكر الله فيزول مافيه من القلق والوحشه ، ومن التتبع تبين أن أعلى حالات القلب الحي ومنتهى الكمال وأقصى ماتتحمله طاقة القلب الغين عليه وهي من مراتب النبوة التي أختص بها المفضل بالشافعة صلى الله عليه وسلم .

وتبين لنا أن لله تبارك وتعالى أفعالاً في قلوب عباده يعطيها لمستحقها إذا بلغ مرحلة من مراحل القلب سواء كانت تلك المرحلة رقياً أو دركاً فالطهارة والتزين والتثبيت والهداية من خلق الله أو إنشائه في القلوب المترقيه وللدرك أحوال اخرى ، ولاتتفق القلوب على المودة والألفه إلا بالمحبة الخاصة التي وعدالله أهل التقوى أن يؤتيهم كفلين منها .

والإنسان وإن كان يولد بقلب سليم على الفطره إلا أنه قابل للإنحراف لاعاصم له من وساوس الجن والأنس إلا بالتمسك بما يحيه ويرتقى به في مراتب الإيمان وهو محل الميل والإرادة فإذا مال إلى الهدى فهذه إرادة الرحمن وإن مال إلى الضلال فبغية الشيطان ، والقلب المريض أتضح لنا أنه لايخلو من أحوال كالغل والغلظة والغيظ والإباء وكلها مراحل كبر أو نفاق أو كفر لايخرجان عن الملة ، وفصلت القول مستشهداً بقول السلف في هذه الأجوال متى تكون مرضاً من

أمراض القلوب ومتى تخرج من الملة وكيفية معالجة هذه الأمراض مع توضيح لأثر الذنوب على القلوب مستدلاً على ذلك بنصوص الوحي الكريم .

وحتى أوضح آخر مراحل موت القلب فصلت تعريف الموت وأنواعه وأوجه وروده في القرآن الحكيم مع ذكر الآيات التي تدل إشارة إلى موته فلابد من الحيطة أذ كثير من المشركين ازيحت الغشاوة عن قلبه فآمن وهذا يعني بالضرورة أنهم لم يبلغوا المرحله النهائيه من مراحل موت القلب وتبين لنا أن هناك صفات وحالات تمر على القلب المتهالك في المرض فتقوده إلى الموت التام كاللهو والغمر والإنكار والاشمئزاز والإكنان وماتابعهم من صفات حتى يشرب القلب حب المعاصي فتقوده إلى الطبع ثم الختم عليه وكل ذلك راجع إلى ماكسب العبد من الخطايا والرزايا .

وتحدثت عن مقر العقل والفرق بينه وبين الفكر والنظر وبينت أن التعقل عمل من أعمال القلب وليس هناك عين بذاتها في الإنسان تسمى العقل مستأنساً بأقوال العلماء في شرح الآيات والأحاديث الدالة على ذلك فقادنا هذا إلى أن موضع التميز والإختيار والزام الحجة هو القلب ، وحتى يتم التوضيح أكثر عرفت الفهم ومراتب الناس بالنسبة للتعقل وتعريف العاقل كل ذلك ليقودنا إلى مراتب المعرفة عند الإنسان سواء كانت معرفة مباشرة أو غير مباشرة للقلب وظهر لنا أن زيادة أعمال الخير فتح من الله تبارك وتعالى تدل على ترقي الفهم الذي يقود إلى التعقل ولايتم ذلك إلا بزيادة الإيمان أؤ بخصوصية المشرع للصفوة الطاهرة برجحان القوة العمليه الإرادية أو القوة العلمية النظرية .

والمهم أن يكون العلم بتدبر وإنتفاع وتصديق وطاعة حتى يؤدي ذلك إلى تعظيم الله أما العلم القاصر على الإستمتاع الدنيوي فقط فهو درك يهوي بصاحبه ، وتحدثت عن وسائل المعرفة الغير المباشرة للقلب كالسمع والبصر ووظائف كل منهم بقدر ما يحتاج إليه البحث مع بيان أهميتها بالنسبة للإنسان .

أما المعرفة المباشرة فهي الرؤي والأحلام وظهر أنه بقدر الإيمان وبرقيه تزداد المعرفة عن طريق الرؤي وكذلك الخاطر والإلهام والتحديث وتقيد كل معرفة بقيود شرعيه موافقة لمرضات الله مع توضيح مراتب كل معرفة ومايترتب على ذلك

من مخاطبات ومكاشفات وإسناد ذلك كله على أقوال السلف الطاهر ثم الفراسة بصفتها نوع من أنواع المعرفة وختمت أبواب المعرفة بكلام الله لأنبيائه بصفتة أعلى أنواع المعارف وأشرفها وأرقاها مع تفصيل مستند من الوحي .

وأتمنى على الله تبارك وتعالى أن يتبع هذه البحث ببحوث متممة تسانده وتوضحه أكثر وأجلى لتتم الإستفادة منه على ماينبغي ومن ذلك التوضيح التام لكل حالة تكرر ذكرها في الكتاب والسنة بتفصيل كالتقوى والطمأنينه والسكينه وكذلك المعرفة فهي أنواع كل نوع تتكون منه رسالة علميه يستفيد منها المسلمون كالرؤي فقد كان أهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بها كثيراً فلا بد من وضع قواعد لها مستقاه من الشرع وكذلك التحديث والإلهام وفراسة المؤمن .

ومن المواضيع التي يحتاجها هذا البحث معرفة النفس أحوالاً وتفصيلاً لادراسة عامة كما هو مشاهد بل حوت من الأحوال والمصفات أكثر من ثمانين حالة ما بين حياة ومرض وموت ومدى إرتباط الحالات بالقلب مع التركيز على التفريق بين أمراض النفوس وأمراض القلوب فدراسة فردية يمكن أن تلم بالموضوع أمر من الصعوبة بمكان فأشد الناس حماقه أقواهم أعتقاداً في فضل نفسه وأثبت الناس عقلاً أشدهم أتهاماً لنفسه نسأل الله جلت عظمته أن يلهمنا الصواب في القول والعمل ومما نختم به قول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ( كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ) (١) .

## وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

١ ـ صحيح البخارى : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى ونضع الموازين بالقسط ، حـ ٩ ، ص ١٩٩ .

# فهرس الآيات

| آيه | ( سورة البقرة ) | رقم الصفحه |
|---|---|---|
| ١-٢ | " آلم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين " | ٦٥, ٧٣, ١٩٦ |
| ٦ | " إن الذين كفروا سواء عليهم " | ١٥٩, ١٧٨, ٢٣٠ |
| ٧ | " ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم " | ١٥٩, ٢٠٩, ٢١٠, ١٧٨, ٢٣٠, ٢٣١, ٨٠, |
| ١٠ | " في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا" | ١٠, ١١٤, ١٣٠, ١٣١ |
| ٢٠ | " يكاد البرق يخطف أبصارهم" | ١٥٠, ١٦٧ |
| ٣٤ | " واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا " | ١٣١, ١٣٤, ١٤٨, ١٥١ |
| ٤٤ | " أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم " | ٣٤ |
| ٤٥ | "واستعينوا بالصبر والصلاة" | ٦٢, ٦٣ |
| ٥٦ | "ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون " | ١٧٤ |
| ٧٤ | " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك " | ٢٤٧ |
| ٧٥ | " أفتطمعون أن يؤمنوا لكم " | ٣٤, ٢٦٥, ٢٦٦, ٢٦٩ |
| ٨١ | " بلي من كسب سيئة واحاطت به خطيئته " | ٢٢١ |
| ٨٨ | " وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم " | ٢٠١ |
| ٩٣ | وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم " | ١٣٤, ٢٠٥ |
| ٩٧ | " قل من كان عدوا لجبريل فأنه نزله علي قلبك " | ٢٣٣, ٢٦٣ |
| ١٠٠ | " في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا " | ١٥٧ |
| ١١٨ | " كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم " | ٢٣٢ |
| ١٣٤ | " تلك أمة قد خلت لها ما كسبت " | ٢٥٥ |
| ١٤٥ | " ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية " | ١٧٨ |

( سورة الانعام )

( سورة يونس )

( سورة الفرقان )



( سورة الشعراء )

( سورة النمل )



( سورة القصص )



( سورة العنكبوت )



( سورة الروم )

# فهرس الأحاديث

حرف الباء

# تراجم
# بأسماء الرجال

حرف الألف | رقم الصفحه

حرف الشين


حرف الضاد


حرف الطاء


حرف العين

حرف القاف

حرف اللام



حرف الميم

# فهرس المصادر والمراجع

١ ـ اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين
السيد محمد الحسيني الزبيدي
ط ـ دار الفكر .
٢ ـ الإحكام في اصول الأحكام
سيف الدين ابي الحسن علي بن ابي علي الآمدي
ط : ١٤٠٠هـ – دار الكتب العلمية – بيروت .
٣ ـ احياء علوم الدين
ابو حامد محمد بن محمد بن محمد احمد الغزلي
ط – الأولى ١٣٩٥هـ – لجنة نشر الثقافة الاسلامية .
٤ ـ الأربعين الطبية ـ المستخرجة من سنن ابن ماجة .
شرحها :عبد اللطيف البغدادي ـ عمل : الحافظ محمد يوسف البرزالي
حقيق : عبد الله كنون .
مطبعة فضالة المحمدية ـ المغرب .
٥ ـ ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم
ابي السعود بن محمد العمادي الحنفي
تحقيق : عبد القادر احمد عطا
ط : ١٤٠١ هـ – مكتبة الرياض الحديثة
٦ ـ اضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .
الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي .
الطبعه الثانية .
٧ ـ إعراب القرآن
ابي جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس .
تحقيق : الدكتور زهير غازي زاهد .
الطبعة الثانية ـ ١٤٠٥ ـ عالم الكتب ـ بيروت .

٨ ـ الإعلام ـ قاموس تراجم .
خير الدين الزركلي .
الطبعه السادسة ـ ١٩٨٤م ـ دار العلم للملايين ـ بيروت .
٩ ـ اغاثه اللهفان من مصائد الشيطان .
الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيه .
تحقيق : محمد حامد الفقي .
دار الكتب العلميه ـ بيروت .
١٠ – الجامع لأحكام القرآن .
ابو عبد الله محمد بن احمد الإنصاري القرطبي .
دار إحياء التراث العربى ـ بيروت .
١١ ـ إنباء الرواة على أنباه النحاه .
جمال الدين ابو الحسن علي يوسف القفطي .
تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم .
الطبعه الأولى ـ ١٣٦٩هـ ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة .
١٢ ـ ايضاح المكنون فى الذيل عن كشف الظنون .
إسماعيل باشا البغدادي .
الطبعه عام ١٤٠٢هـ ـ دار الفكر .
١٣ ـ بدائع الفوائد
ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزيه .
دار الفكر العربى ـ بيروت .
١٤ ـ البداية والنهاية
ابو الفداء الحافظ ابن كثير .
الطبعه عام ١٣٨٩هـ ـ دار الفكر ـ بيروت .

١٥ ـ بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز .

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادى .

تحقيق : محمد على النجار .

المكتبة العلمية – بيروت .

١٦ـ بغية المرتاد فى الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنيه أهل الإلحاد .

شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن تيمية .

تحقيق الأولى عام ١٤٠٨هـ – مكتبه العلوم والحكم .

١٧ـ بيان الفروق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب .

ابو عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى .

تحقيق : الدكتور نقولا هير .

مكتبه الكليات الازهرية ـ الأزهر ـ القاهرة .

١٨ـ تأويل مشكل القرآن

ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة .

شرحه ونشره : السيد احمد صقر .

الطبعه الثانية ١٣٩٣هـ دار التراث ـ القاهرة .

١٩ـ تاج العروس من جواهر القاموس .

محب الدين ابى الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى الحنفى .

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٢٠ـ التبيان فى أقسام القرآن

شمس الدين محمد بن ابى بكر المعروف بابن قيم الجوزية .

تصحيح وتعليق : محمد حامد الفقى .

دار المعرفة ـ بيروت .

٢١ـ التعريفات
الشريف علي بن محمد علي الجرجاني .
الطبعه الأولى ـ ١٤٠٣هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .
٢٢ـ تعطير الأنام في تعبير المنام .
عبد الغني بن اسماعيل بن عبد الغني النابلسي .
دار الفكر ـ بيروت .
٢٣ـ تفسر البحر المحيط
محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي .
الطبعه الثانية ـ ١٤٠٣هـ ـ دار الفكر للطباعه والنشر ـ بيروت .
٢٤ـ تفسير الجلالين
جلال الدين المحلي ، جلال الدين السيوطي .
بتعليق : الشيخ علي محمد الضباع .
طبعه عام ـ ١٣٧٠هـ ـ مطبعه عبد الحميد احمد حنفى .
٢٥ـ تفسير روح البيان
الشيخ اسماعيل حقي البرسوي .
دار احياء التراث العربى ـ بيروت ـ لبنان .
٢٦ـ تفسير غريب القرآن
ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
تحقيق : السيد احمد صقر .
طبعه عام ١٣٩٨هـ ـ دار الكتب العلميه ـ بيروت .
٢٧ـ تفسير القاسمي ـ المسمى : محاسن التأويل .
محمد جمال الدين القاسمي .
الطبعه الثانية ـ ١٣٩٨هـ ـ دار الفكر ـ بيروت .

٢٨ـ تفسير القرآن الحكيم ـ ١٣٩٨هـ ـ بيروت .
السيد محمد رشيد رضا .
الطبعه الثانية ـ دار المعرفة ـ بيروت .
٢٩ـ تفسير القرآن العظيم .
اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي .
المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر .
٣٠ـ التفسير القيم للإمام ابن القيم .
جمعة : محمد أويس الندوي .
حققه : محمد حامد الفقي .
لجنة التراث العربى ـ بيروت .
٣١ـ التفسير الكبير
الإمام محمد بن عمر الفخر الرازي .
الطبعة الثالثة ـ دار احياء التراث العربى ـ بيروت .
٣٢ـ تفسير النهر الماد من البحر المحيط .
محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي .
الطبعة الثانية ـ ١٤٠٣هـ ـ دار الفكر للطباعة والنشر .
بهامش البحر المحيط .
٣٣ـ تفصيل آيات القرآن الحكيم .
جول لابوم ، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي .
دار الكتاب العربي ، بيروت .

٣٤ـ تلخيص المستدرك .

شمس الدين محمد بن احمد الذهبي .

طبعة عام : ١٣٩٨ ـ دار الفكر ـ بيروت .

بهامش المستدرك .

٣٥ـ تهذيب التهذيب .

شهاب الدين احمد بن علي بن حجر العسقلاني .

الطبعة الأولى : ١٣٢٥هـ – حيدر اباد – الهند .

٣٦ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان .

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ

تحقيق : محمد زهري النجاري ـ

طبعة عام ١٤٠٤هـ ـ الرئاسة العامة لادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض .

٣٧ـ الجامع لأحكام القرآن .

ابو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي .

طبعة أوفست ـ دار إحياء التراث العربى ـ بيروت .

٣٨ـ جامع البيان عن تأويل آى القرآن .

ابو جعفر محمد بن جرير الطبري .

دار الفكر .

٣٩ـ الجامع المسند الصحيح ـ المختصر من امور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه .

ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري الجعفي .

الطبعة السلطانية عام ١٣١١هـ عن النسخة اليونانية ـ دار احياء التراث العربى ـ بيروت .

٤٠ـ جامع الأصول في احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .
مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري .
تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط .
الطبعة الثانية ـ ١٤٠٣هـ دار الفكر ـ بيروت .
٤١ـ جسم الإنسان
كتاب المعرفة ـ علوم .
انتاج عام ١٩٨٧م ـ شركة اتحاد النشر والتسويق ـ بيروت .
٤٢ـ الامام ابى حامد الغزالى الطوسى .
تحقيق الشيخ : محمد رشيد رضا القباني .
الطبعة الثانية ـ ١٤٠٦هـ ـ دار إحياء العلوم ـ بيروت .
٤٣ـ الجواهر في تفسير القرآن الكريم .
المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات
الشيخ : طنطاوي جوهري .
٤٤ ـ حياة الصحابة .
محمد يوسف القائد هلوي .
الطبعة الأولى عام ١٣٩٤هـ دار الفكر .
٤٥ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب .
عبد القادر بن عمر البغدادي .
تحقيق عبد السلام محمد هارون .
ط : الثانية ـ ١٩٧٩م الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٤٦ ـ خلق الإنسان بين الطب والقرآن
الدكتور : محمد علي البار .
ط : الثالثة ١٤٠٢هـ الدار السعودية للنشر والتوزيع .

٤٧ ـ دائرة معارف القرن العشرين
محمد فريد وجدى
دار الفكر ـ بيروت ٠
٤٨ ـ دائرة المعارف
بطرس البستانى .
دار المعرفة – بيروت .
٤٩ – الدر المنثور فى التفسير بالمأثور
الإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطى .
الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ – دار الفكر – بيروت
٥٠ – الدر اللقيط من البحر المحيط
تاج الدين الحنفى النحوى .
الطبعه الثانية عام ١٤٠٠هـ – دار الفكر – بيروت .
بهامش البحر المحيط
٥١ – الداء والدواء – أو – (الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى .
ابن قيم الجوزية .
الطبعة عاكم ١٤٠٣هـ – دار المدينى – جده .
٥٢ – دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب
الشيخ : محمد الأمين الجكنى الشنقيطى
الطبعه الثانية : فى آخر المجلد التاسع من أضواء البيان .
٥٣ – دلائل النبوه ومعرفة احوال صاحب الشريعة
ابو بكر احمد بن الحسين البيهقى
توثيق وتعليق : الدكتور عبد المعطى قلعجى .
الطبعه الأولى ١٤٠٥هـ – دار الكتب العلميه – بيروت .

٥٤ – ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث
الشيخ عبد المغني النابلسي
انتشارات اسماعيليان – تهران – ناصر خسرو – باشار مجيدي .
توزيع : دار الباز للنشر والتوزيع .
٥٥ – الأذكياء
ابي الفرجة عبد الرحمن بن علي بن الجوزي .
المكتبه التجارية – بيروت .
٥٦ – ذيل الأضداد .
الحجسن بن محمد الصاغاني الحنفي .
نشر الدكتور : اوغست هفنر – فى آخر كتاب الأضداد .
دار الكتب العلمية – بيروت .
٥٧ – رسالة المسترشدين
ابو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري .
تحقيق : عبد الفتاح ابو غده .
الطبعه الثانية – مكتب المطبوعات الاسلاميه – حلب
٥٨ – الرسالة القشيريه
الإمام ابي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري .
تحقيق الدكتور : عبد الحليم محمود
الطبعه الاولى ١٣٨٥هـ – مطبعة دار التأليف – مصر .

٥٩ ـ الروح
فى الكلام على ارواح الأمـوات والأحـيـاء بالدائل من الكتـاب والسنة والآثار
واقوال العلماء .
شمس الدين ابى عبد الله بن قيم الجوزيه .
الطبعه الثالثه ١٣٨٦هـ – مطبوعات محمد على صبيح – الأزهر – مصر .
٦٠ – روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى .
ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الحسينى الألوسى .
طبعه : ادارة الطباعة المنيريه .
دار احياء التراث العربى – بيروت – لبنان
٦١ – الروض الأنف
ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد السهيلى .
طبعة عام ١٣٩٨هـ – دار المعرفة للطبعة والنشر – بيروت .
٦٢ – زاد المسير فى التفسير
الإمام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على الجوزى القرشى البغدادى .
المكتب الاسلامى .
٦٣ – زهر الربى على المجتبى .
جلال الدين السيوطى .
بهامش سنن النسائى .
٦٤ – سنن الدارمى .
ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى .
دار احياء السنة النبوية .

٦٥ – سنن أبى داود
سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي .
تعليق : محمد محي الدين عبد الحميد
دار الفكر للطباعة والنشر
٦٦ – سنن النسائى
ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي .
المكتبه العلميه – بيروت .
٦٧ – سنن الترمذى
ابو عيسى محمد عيسى بن سورة الترمذي .
تحقيق وتعليق : ابراهيم عطوه عوض .
دار احياء التراث العربى – بيروت .
٦٨ – سنن ابن ماجه
الحافظ ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه
تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي
٦٩ – سير اعلام النبلاء
شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي .
الطبعه الأولى ١٤٠٥هـ – مؤسسة الرسالة – بيروت .
٧٠ – السيرة النبوية ( سيرة ابن هشام ) .
ابو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري .
طبعة عام ١٣٥٥هـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى – مصر .
٧١ – شذرات الذهب فى أخبار من ذهب .
عبد الحي بن العماد الحنبلي .
دار الفكر – بيروت .

٧٢ ـ شرح السنة

الإمام الحسين بن مسعود البغوي .

تحقيق : شعيب الأرناؤوط

الطبعة الثانية – ١٤٠٣هـ – المكتب الاسلامى – بيروت .

٧٣ – شرح العقيدة الطحاوية .

الإمام ابو جعفر احمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي .

تحقيق : جماعة من العلماء ، وتخريج : ناصر الدين الألباني .

الطبعه السادسة : ١٤٠٠هـ المكتب الاسلامى – بيروت .

٧٤ – صفة النفاق وذم المنافقين

أبو بكر الفريابي .

تحقيق : محمد عبد القادر عطا

الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ – دار الكتب العلمية – بيروت

٧٥ – صحيح مسلم بشرح النووى .

محي الدين ابو زكريا يحي بن شرف الشافعي النووي .

الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ – المطبعه المصرية .

٧٦ – صحيح مسلم

الإمام ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري .

ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي .

دار احياء التراث العربى .

٧٧ – صفة الصفوه

جمال الدين ابي الفرج ابن الجوزي .

تحقيق : محمود فاخوري .

الطبعة الرابعة – ١٤٠٦هـ – دار المعرفة – لبنان .

٧٨ – الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة .
شمس الدين محمد ابي بكر بن قيم الجوزيه .
تحقيق الدكتور : علي بن محمد الدخيل الله
الطبعه الأولى ١٤٠٨هـ – دار العاصمة – الرياض .
٧٩ – الأضداد
عبد الملك ابن قريب الباهلي الإصمعي .
٨٠ – الأضداد
سهل بن محمد بن عثمان السجستاني .
٨١ – الأضداد
يعقوب بن اسحاق ابن السكيت
٨٢ – الثلاثه الكتب نشرها الدكتور أوغست هفنر في مجلد واحد .
دار الكتب العلمية – بيروت
٨٣ – طبقات الشافعية الكبرى .
تاج الدين عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي .
الطبعه الثانية – دار المعرفة – بيروت .
٨٤ – الطبقات الكبرى
ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري .
دار صادر – بيروت
٨٥ – طريق الهجرتين وباب السعادتين .
شمس الدين محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزيه .
الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ – دار الكتب العلمية – بيروت .

٨٦ – العقل وفهم القرآن .
الحارث بن أسد المحاسبي .
تقديم د . حسين القوتلي .
الطبعه الثالثة : ١٤٠٢هـ – دار الفكر للطباعة والنشر .
٨٧ – عمدة القارى شرح صحيح البخارى .
الامام : بدر الدين بن محمد محمود العيني .
نشر ادارة الطباعة المنيريه .
تصوير – دار احياء التراث العربى .
٨٨ – عون المعبود شرح سنن أبى داود
محمد شمس الدين الحق العظيم أبادي .
الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ – دار الفكر للطباعة والنشر .
٨٩ – غرائب القرآن ورغائب الفرقان
نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري .
تحقيق : ابراهيم عطوة عوض .
مطبعة مصطفى البابى الحلبى – مصر .
٩٠ – غريب الحديث
الإمام أبي اسحاق ابراهيم بن اسحاق الحربي
تحقيق د. سليمان بن ابراهيم العايد
الطبعه الأولى – مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى .
دار المدنى للطباعة – جده

٩١ – فتح البارى شرح صحيح البخارى .
احمد بن على بن حجر العسقلانى .
ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقى .
دار المعرفة – بيروت
٩٢ – فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية وعلم التفسير
محمد بن على بن محمد الشوكانى
طبعه عام ١٤٠١هـ – دار الفكر
٩٣ – الفراسة دليلك الى معرفة اخلاق الناس .
محمد بن عمر بن الحسن البكرى فخر الدين الرازى .
تحقيق : مصطفى عاشور
مكتبة القرآن – القاهرة
٩٤ – الفرقان بين اولياء الرحمن وأولياء الشيطان
تقى الدين احمد بن تيمية
دار الكتب العلمية – بيروت .
٩٥ – الفروق اللغوية
الإمام ابو هلال العسكرى
تحقيق : حسام الدين القدسى
الطبعه ١٤٠١هـ – دار الكتب العلمية – بيروت
٩٦ – فقه اللغة وسحر البلاغة وسر العربية
الإمام ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى النيسابى
طبعه دار الكتب العلمية – بيروت
٩٧ – الفقيه والمتفقة
احمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى
الطبعه الثانيه ١٤٠٠هـ – دار الكتب العلمية – بيروت

٩٨ – فهرس البداية والنهاية ونهاية البداية والنهاية

محمد سليمان الأشقر

الطبعه الأولى ١٤٠٤هـ – دار الارقم – الكويت

٩٩ – الفوائد

شمس الدين محمد بن ابى بكر بن قيم الجوزية

مكتبه النهضة العلمية – مكة المكرمة

١٠٠ – فى ظلال القرآن

الشهيد سيد قطب

الطبعه السادسة :١٣٩٨هـ – دار الشروق .

١٠١ – القاموس المحيط

مجد الدين محمب بن يعقوب الفيروز أبادى .

تحقيق مكتب تحقيق التراث

الطبعه الأولى ١٤٠٦هـ – مؤسسة الرسالة

١٠٢ – قاموس القرآن – أو – إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم

الحسين بن محمد الدامغانى

تحقيق : عبد العزيز السيد الأهدل

الطبعه الثانية ١٩٧٧م – دار العلم للملايين – بيروت

١٠٣ – قاموس القلب الطبى

محمد رفعت

الطبعه الأولى ١٤٠٥هـ – دار مكتبه الهلال – بيروت

١٠٤ – القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته

محمد احمد جمال

رابطة العالم الاسلامى – كتاب دعوة الحق عدد (٨) .

١٠٥ – القضاء والقدر فى الاسلام
د : فاروق احمد الدسوقي .
الطبعه الثانية ١٤٠٦هـ – المكتب الإسلامى – بيروت
١٠٦ – القلب فى الصحة والمرض
الدكتور : سعيد الصايغ
الطبعه الأولى ١٩٨٣م – دار العلم للملايين – بيروت
١٠٧ – الكافى الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف
الإمام احمد بن حجر العسقلاني
بذيل الكشاف
١٠٨ – كتاب المعرفة – جسم الإنسان
طبعه عام ١٩٨٧م – شركة انماء النشر والتسويق – بيروت .
١٠٩ –الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل
ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي
دار المعرفة – بيروت
١١٠ – كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون
مصطفي بن عبد الله الحنفي المعروف بحاجي خليفه
طبعه عام ١٤٠٢هـ – دار الفكر –
١١١ – كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ فى اللغة
ابو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل ابن الأجابي
ملحق بكتاب – فقه اللغة للثالبى .
دار الكتب العلمية – بيروت

١١٢ – كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب صلى الله عليه وسلم
والمعروف بكتاب – الخصائص الكبري
ابو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابى بكر السيوطى
دار الكتب العلمية – بيروت .
١١٣ – كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال
علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندي البرهاني فوري
الطبعه الخامسة ١٤٠٥هـ – مؤسسة الرساله – بيروت .
١١٤ – لسان العرب
الإمام ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم أبى منظور الإفريقى المصري
١١٥ – مجموع فتاوى شيخ الاسلام
احمد بن عبد الحليم بن تيمية
جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدى
الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين
١١٦ – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين
ابو عبد الرحمن محمد بن ابى بكر أيوب بن قيم الجوزيه
دار الكتب العلمية – بيروت
١١٧ – المستدرك على الصحيحين فى الحديث
أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري
طبعه عام ١٣٩٨هـ – دار الفكر – بيروت
١١٨ – المسند
الإمام أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل
طبعه عام ١٣١٣هـ – المطبعه الميمنيه بالقاهرة – بمصر

١١٩ - مسند الشهاب
القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامه القضاعي
تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي
الطبعه الأولى ١٤٠٥هـ - مؤسسة الرساله - بيروت
١٢٠ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعى
احمد بن محمد بن المقري الفيومي
المكتبه العلميه - بيروت
١٢١ - معالم التنزيل فى التفسير والتأويل
ابو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي
طبعه عام ١٤٠٥هـ دار الفكر - بيروت
١٢٢ - معترك الأقران فى اعجاز القرآن
جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي
تصحيح : احمد شمس الدين
الطبعه الأولى ١٤٠٨هـ - دار الكتب العلمية - بيروت
١٢٣ - المعجم الصوفى
د . سعاد الحكيم
الطبعه الأولى ١٤٠١هـ - دندره للطباعة والنشر - بيروت
١٢٤ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
محمد فؤاد عبد الباقي
طبعه عام ١٣٧٨هـ مطابع الشعب
١٢٥ - معجم الأدوات والضمائر فى القرآن الكريم
تكمله المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
د. اسماعيل احمد عمايره ، د. عبد الحميد مصطفي السيد
الطبعه الأولى عام ١٤٠٧هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت

١٢٦ – المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى

نشر الدكتور أ. ى. ونسنك

عام ١٩٣٦م – مطبعة بريل – ليدن

١٢٧ – معجم مقايس اللغة

ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا

تحقيق : عبد السلام محمد هارون

الطبعه عام ١٣٩٩هـ – دار الفكر

١٢٨ – المغرب فى ترتيب العرب

الإمام ابو الفتح ناصر بن عبد السيد بن على الطرزى الخوارزمى.

دار الكتاب العربى – بيروت

١٢٩ – المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الاحياء من الأخبار

زين الدين ابو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقى

بهامش احياء علوم الدين

١٣٠ – المفردات فى غريب الحديث

ابو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى

تحقيق : محمد سيد كيلانى

دار المعرفة ـ بيروت

١٣١ ـ منتخب كنز العمال

علاء الدين على بن حسام الدين الهندى

طبعه عالم ١٣١٣هـ – المطبعه الميمنيه – مصر

١٣٢ – منتخب الكلام فى تفسير الأحلام

محمد بن سيرين البصرى الأنصارى .

بهامش تعطير الأنام

دار الفكر – بيروت

١٣٣ – منع جواز المجاز فى المنزل للتعبد والإعجاز
محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي .
الطبعه الثانية ١٤٠٠هـ
١٣٤ – الموافقات فى اصول الشريعة
ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي ابو اسحاق الشاطبي
ترقيم الشيخ عبد الله دراز
المكتبه التجارية – مصر
١٣٥ – الموطأ
الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي
تصحيح وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي
دار احياء التراث العربى – بيروت
١٣٦ – الموسوعة العلمية الحديثه
المجلد الخامس – الجسم البشرى
ميتشل ولسن
عام ١٩٨٥م – الأهلية للنشر والتوزيع
١٣٧ – النجوم الزاهره فى ملوك مصر والقاهرة
جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي
طبعه ١٣٨٣هـ – المؤسسة المصريه العامة للتأليف والنشر
١٣٨ – نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر
جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي
تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي
الطبعه الثانية ١٤٠٥هـ – مؤسسة الرسالة

١٣٩ – النهاية فى غريب الحديث والأثر

مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير)

تحقيق : طاهر احمد الزواوي ، محمود الطناحي

دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت

١٤٠ – هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين

اسماعيل باشا البغدادي

الطبعه ١٤٠٢هـ – دار الفكر – بيروت

١٤١ – هدى الساري مقدمة فتح البارى

احمد بن علي بن حجر العسقلاني

تخريج : محب الدين الخطيب

دار المعارف للطباعة – بيروت

١٤٢ – ولله الأسماء الحسنى

جمع وترتيب : احمد عبد الجواد

دار الكتب العلميه – بيروت .

# فهرس الموضوعات